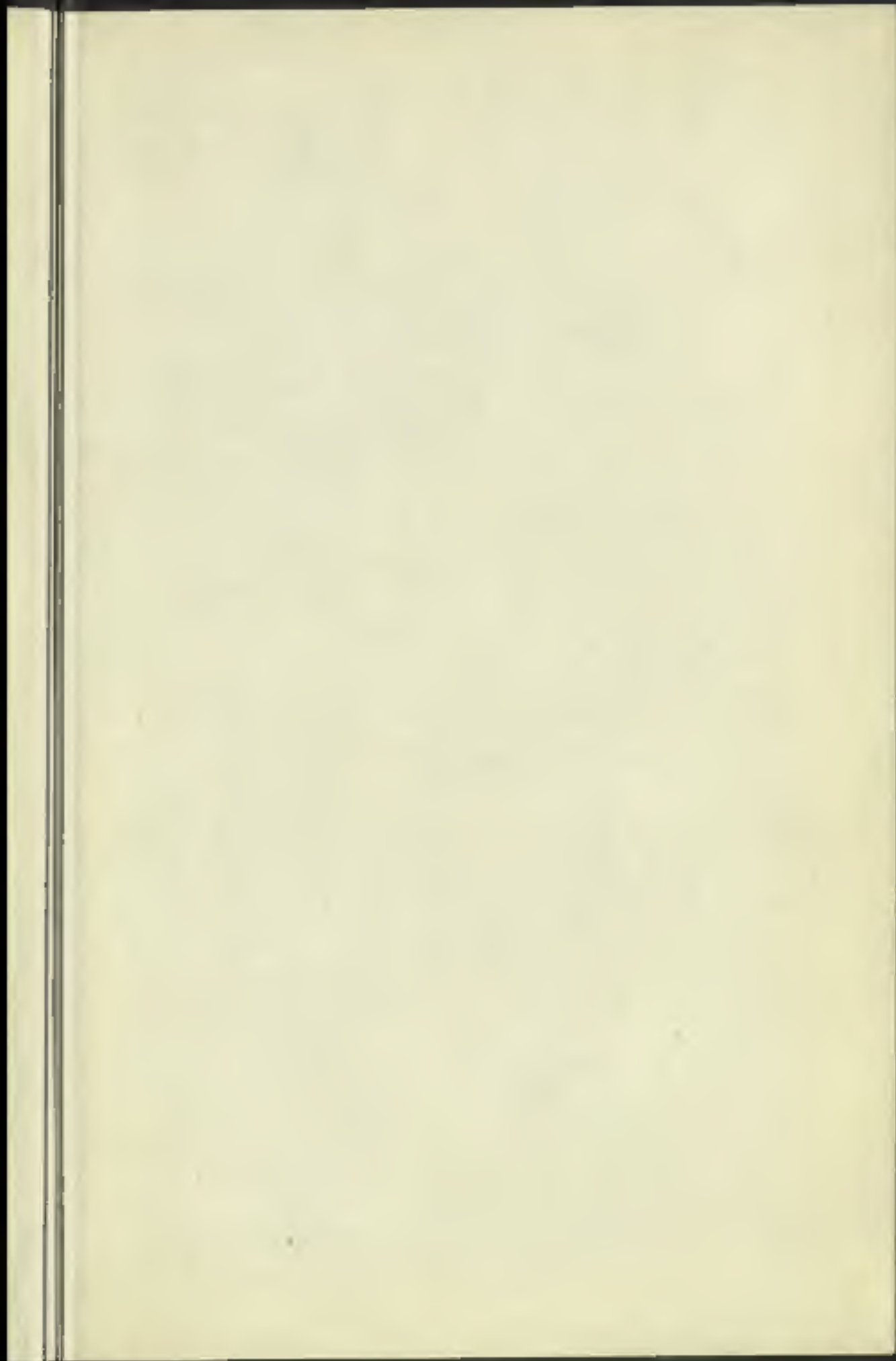
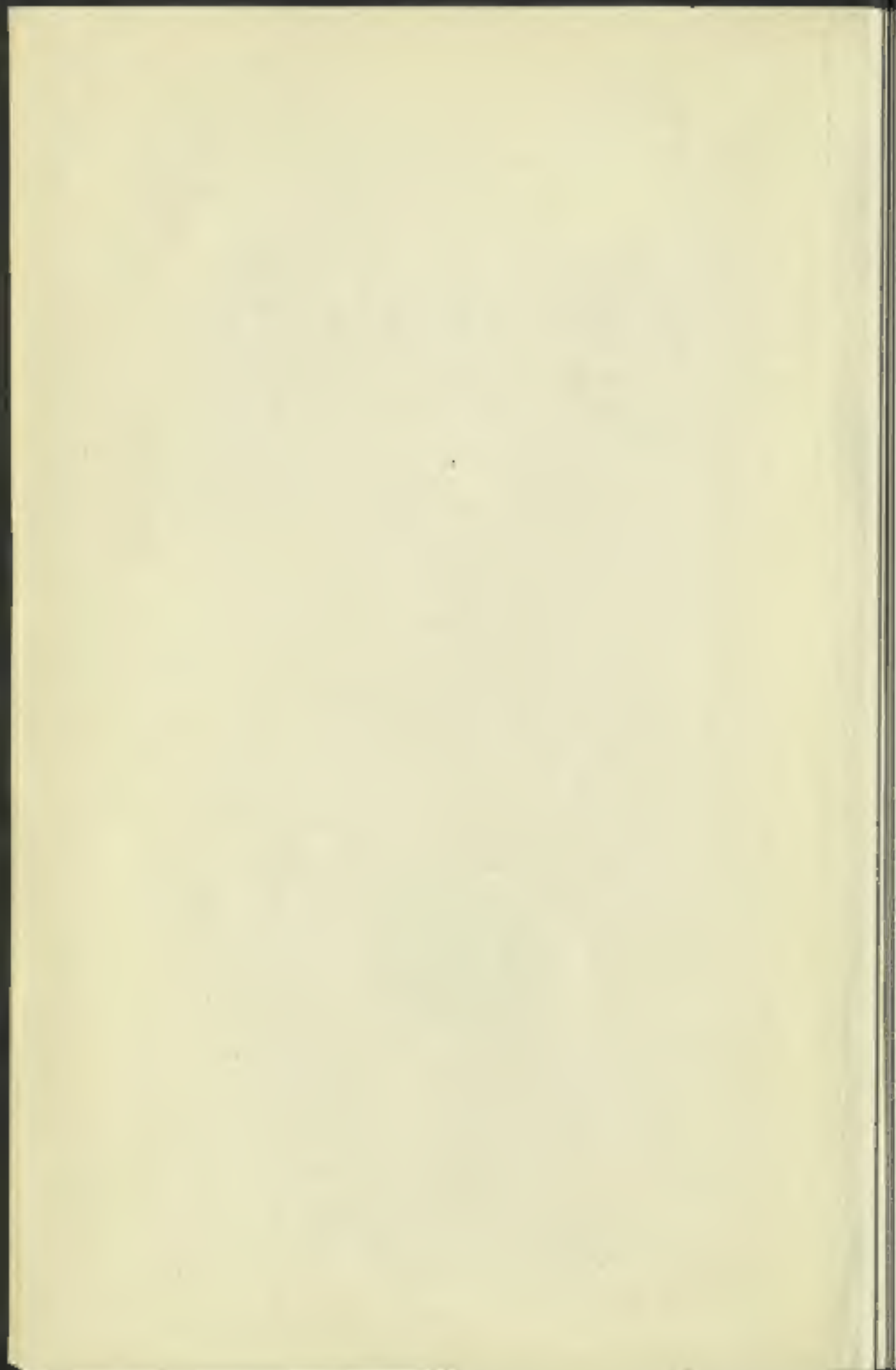
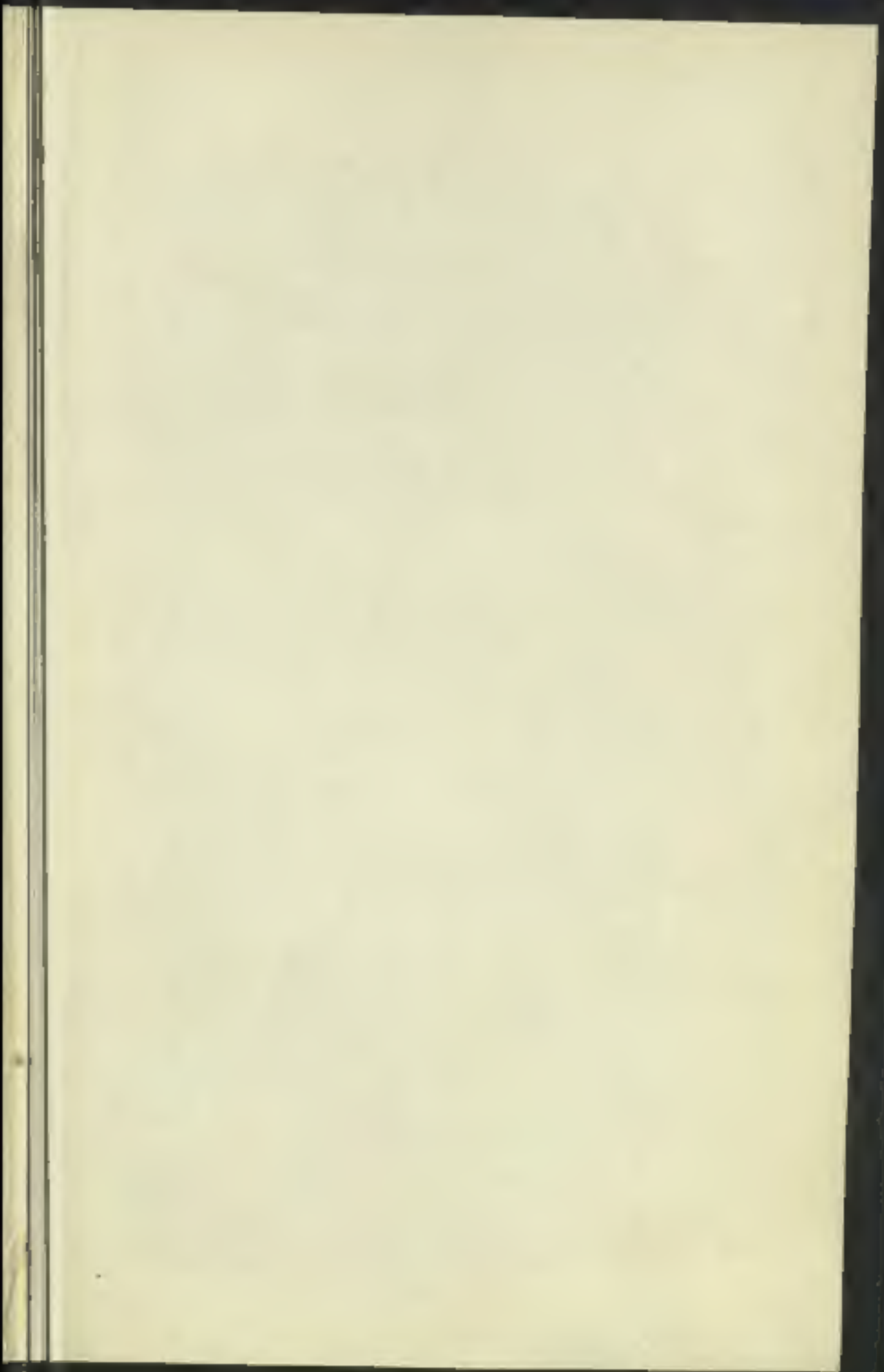


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF THEOLOGY

N. MAKHOUL
BINBERY
-1 8 MAY 1972
DL 248456







١٩١٤
لجنته التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

تاريخ اليهود في بلاد العرب

CH
296
045618
C1



في الجاهلية وصدر الإسلام

تأليف الدكتور

سليمان بن عبد الله

اسرائيل ولفنسون

(ابو زبيب)

استاذ اللغات السامية بدار العلوم

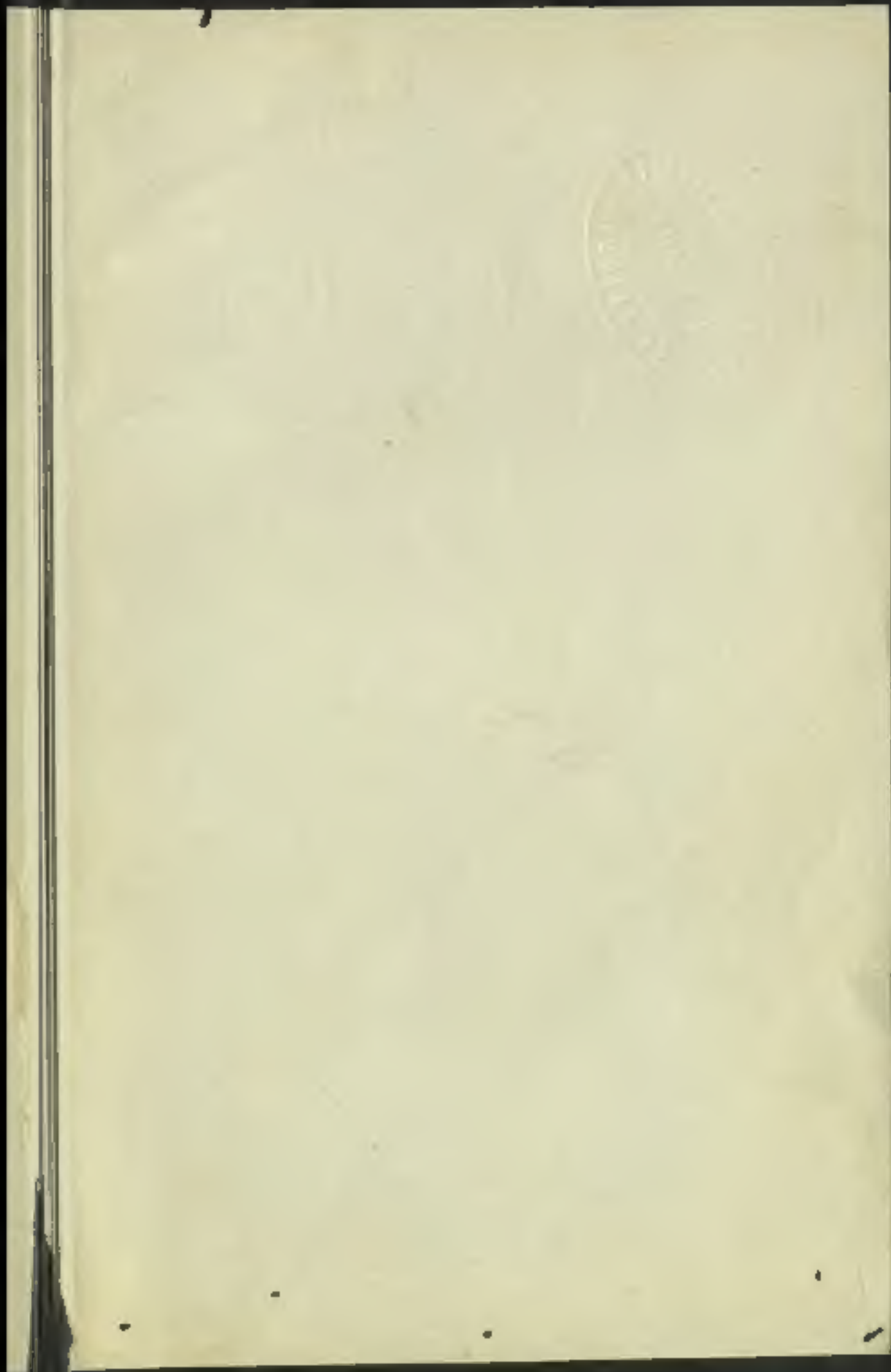


« حقوق الطبع محفوظة »

49370

مطبعة الإعتدال بشارع حسن الكبريتية

١٣٤٠ - ١٣٢٧



مقدمة

لحضرة الأستاذ الكبير والنفادة الشريفة الدكتور طه حسين

الدكتور اسرائيل ولغزون عالم شاب يسر في أن أكون أنا مقدمه
الى جمهور المستعيرين من الذين يكلفون بالبحث عن الأدب والتاريخ .
أقبل الى مصر وأن له ثقافة متينة متنوعة ، قد اتقن من اللغات
الأوروبية الحية أرفاها وأمسها بالبحث العلمى التاريخى ولا سيما فيما يتعلق
بالمسائل الشرقية العربية ، و اتقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة
فى الدين والأدب والعلم ، ولم تقف ثقافته عند اتقان هذه اللغات بل
درس من آدابها حفظاً موفوراً فكان له مزاج معتدل من هذا القديم
السامى والجديد الأوروبى يمدّه أحسن اعداد لتناول المسائل التاريخية
والأدبية الرقيقة لذا نهأت له مناهج البحث كما ألفها علماء أوروبا فى هذا
المصر الحديث . وماهى الا أن اتسب الى الجامعة المصرية القديمة
واختلف الى أسانذتها يسمع دروسهم ويعمل معهم حتى نهى له من ذلك
ما كان يحب . ولقد كان يختلف الى دروسى فى التاريخ القديم فكان
يعجبى منه ميل ظاهراً الى البحث وحرص شديد على الاجادة والاتقان
ونشاط غريب الى القراءة والاطلاع . وكنت أرى فيه عناية خاصة بكل
ما يتصل باليهود فى عصور السيطرة اليونانية والرومانية على العالم
القديم . فرأيت أن أوجه بحثه هذه الوجهة وأشجعه على المضى فيها .

ولست أنسى محاضرات تمرينية القاها في مثل هذه الموضوعات تركت
في نفسي أحسن ما ترك أعمال التلميد المجد في نفس استاذ من الأثر .
ثم ظفر بشهادة الالباس في الآداب من الجامعة القديمة وأخذ
بستمد لشهادة الدكتوراه فلم يرقه من المباحث التي كانت تثار في الجامعة
على كثرتها الا هذا المبحث الذي يتصل دائما باليهود وهو تاريخ اليهود
في بلاد العرب قبل الاسلام وأبان ظهوره

والموضوع في نفسه قيم جليل الخطر بميد الأثر جدا في التاريخ
الأدبي والسياسي والديني للأمة العربية . فليس من شك في أن هذه
المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرا قويا في الحياة العقلية والأدبية
للجاهليين من أهل الحجاز . وليس من شك في أن الخصومة كانت عنيفة
أشد العنف بين الاسلام ويهودية هؤلاء اليهود وفي أنها قد استحوذت
من المحاجة والمجادلة الى حرب بالسيف انتهت باجلاء اليهود عن البلاد
العربية . ولم يكن تاريخ هؤلاء اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام معروفا
على وجهه ، انما هي طائفة من الأخبار والأحاديث يروى بها القصص في
غير تحفظ ولا عناية بالدقة والتحقيق ونكث فيها المبالغات من الناحية
اليهودية والاسلامية لاغراض مختلفة مملوكة . وكان المستشرقون قد
عرضوا لهذا الموضوع من نواحي مختلفة فوفقوا بعض التوفيق ولكن
أخطائهم الأصابة في كثير من الأحيان لأن معظمهم من الثقافة العربية
السامية لم يكن يعدل معظمهم من القدرة على استنساخ مناهج البحث الحديث ،
فاضطروا الى طائفة من الأغلاط لم يكن منها بد . على أن مباحثهم هذه
القيمة كانت وما زالت مجهولة في الشرق العربي لا يلم بها الا الذين

يتخذون هذا النحو من العلم غرضاً يسمون اليه ويتقنون عليه جهودهم
 فإذا كان علمنا الشاب قد وفق إلى خير في هذا الكتاب الذي قدمه
 إلى الجامعة المصرية ونال به شهادة الدكتوراه والذي أقدمه أنا الآن إلى
 القراء سعيدياً مقتبلاً فتوقيقه مضاعف : ذلك لأنه وفق إلى تحقيق
 أشياء كثيرة لم تكن قد حقت من قبل . ووفق إلى عرض مباحث
 المستشرقين حول هذا الموضوع في اللغة العربية وما تكن قد عرفت
 من قبل . ووفق بمباراة موجزة إلى أن يسطر تاريخ اليهود في البلاد
 العربية قبل الإسلام وأبان ظهوره بسطاً علمياً أدبياً لذيذاً متمماً في
 كتاب كانت اللغة العربية في حاجة إليه فأضمرها بهذه الحاجة

وإذا كان لي أن أتمنى للدكتور إسرائيل والمندون شيكاً فأنما أتمنى
 له نجاحاً أن يفضي في غنائه بهذه الناحية من حياة اليهود والعلة بينهم
 وبين الأمة العربية بعد الإسلام كما تنى بها قبل الإسلام . متدياً بهدى
 العلم الصحيح الذي لا يعرف ممالة ولا مشايعة ولا يرى للمسلم إلا
 غرضاً واحداً مقدساً هو السعي إلى الحق وإنجد في الوصول إليه ما

ط م هـ

٢٠ يونيو سنة ١٩٢٧

تصدير

ان الذي يدرس تاريخ العرب في الجاهلية وسدور الاسلام ليلس
حاجة اللغة العربية الى مؤلف خاص في تاريخ اليهود الذين لا ينكر أحد
ما كان لهم من الأثر في جزيرة العربية لذلك العهد. وبعبعب كيف حرمت
اللغة العربية من مثل هذا المؤلف في الآتي

وأقرب ما يخطر بالبال في تعييل هذا التقصير هو أن متأخرين
من مؤرخي العرب لم يولوا ما كافي بتاريخ الجاهلية . ولولا ذلك
لما أغفلوا تاريخ قسم كبير من سكان جزيرة كان له من الحوادث
السياسية والتوقيع الخريفة والآثار الاجتماعية ما يستوجب إفراذه
بمناخمة من المؤلفات ، إذ كان الباحث في تاريخ جاهلية يتوقف نجاحه
على معرفة تاريخ اليهود في بلاد العرب عامة وفي أقاليم الجزيرة بوجه
خاص

وقد يرجع السبب في هذا التقصير في جهل المؤرخين بالنتائج
المنظمة التي تترتب على معرفة تاريخ اليهود ، ولو أنهم اهتموا به لوجدوا
في المراجع العربية القديمة مادة غريزة تمكن الباحث للتحقق من سد هذا
النقص واعمينه على التثبت من تاريخ العرب في ذلك الحين

ان للبحث في تاريخ يهود الجزيرة العربية أهمية عظيمة في حل
المشكلات التي يتخبط فيها كثير من الناس وإمامة الشام عن لهجات
العرب ودياناتهم وعاداتهم ما بين اليهود والعرب من رابطة الدم ولما
بين اللغة العبرية واللغة العربية من التشابه والاقتراب

ومع أنه قد وجدت أمة سامية قبل بني إسرائيل بألاف من السنين
فإن الباحثين يرون في اللغة العبرية وآدابها مضيئاً صادقاً للبحث في جميع
اللغات السامية. إذ كان بنو إسرائيل أقدم أمة سامية تركت ميراثاً
روحانياً عظيماً في الأدب والمدون يعتبر أكبر مجموعة قديمة من أثر الفرع
السامية، لأن الذي وصل إلينا من آثار البابليين والاشوريين والآراميين
منيل جداً بالمقاييس التي ما وصل إلينا من ثرات بني إسرائيل.

على أن اللغة العبرية من أهم اللغات السامية. فقد كانت شائعة
قبل نشوء بني إسرائيل وظهورهم في العالم. إذ كانت لغة أهل فلسطين
الكنعانية ولغة كثير من القبائل في حوض سيناء وشرق لاردن، وكان
من أمم تلك الأمم بنو أدوم وعمون ومواب وقبائل عماليقية ومديانينة
واسماعيلية ثم ظهرت بطون بني إسرائيل بين هذه الأقوام في حوض سيناء
وأطراف حجاز وانتشرت بها إلى الأقاليم الأخرى وبقيت هذه اللغة
صاحبة السطوة والنفوذ مدة طويلة إلى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات
الكنعانية وهي الآرامية، فأخذت اللهجات العبرية والكنعانية الأصلية

تضمحل مع التغييرات السياسية الى أن أصبحت أغاب بطون فلسطين
وسوريا والعراق وطور سيناء تتكلم باللهجات الآرامية
ثم أخذت هذه اللهجات في القرون الاولى ب. م تتدهور تدريجياً
في أطراف الجزيرة العربية، وأخذت تنكش وتتضال أمام اللغة العربية
التي كانت في ذلك حين تمتد وتنتشر بسرعة حتى اضطرت بعض القبائل
الآرامية والعربية الى أن تختلط بالمتنصر العربي الأصلي وتندمج فيه شيئاً
فشيئاً^(١)

وقد كنت فكرت في أن أخص أقوام طور سيناء ببحث منفرد
أكثر فيه بعض ما غمض من أحوالهم معتدلاً على بعض الاخبار التي
وصات اليها من مراجع عبرية ويونانية قديمة، وعلى بعض الاكتشافات
الاقابية التي ظهرت حديثاً عن هذه الاقوام البائدة ولكني رأيت أن في
هذا خروجاً عن الموضوع الذي نحن بصدده، فأجلت هذا البحث الى
فرصة أخرى . . .

على أن سكان طور سيناء وأطراف الجزيرة العربية من جهة الشمال
الذين نعتبر بلادهم كمنطقة حبيمية بين بلاد العرب وبين فلسطين ومصر
بنى اسرائيل . قد أثروا تأثيراً شديداً في العرب وبنى اسرائيل معاً،
فليس في استطاعتنا وإمكانة هذه أن نوفي موضوعاً ثانياً حقها من البيان
والنقصيل إلا بعد النظر الطويل والبحث العميق في تاريخ تلك الامم
وحاجتنا الى هذا الموضوع في بحثنا هذا كحاجة الباحث في تاريخ

(١) راجع مقالنا عن اللغة الآرامية وفهمنا انتشارها في السياسة الاسبورية بتاريخ ٢٠
نوفمبر سنة ١٩٢٦

روما القديم الى لائلته بتاريخ بطون وفيات لاينية ويونانية قديمة
عاشت في بلاد ايطاليا قبل نشوء مدينة روما

• • •

لقد صرح لي غير واحد من الاصديقاء بانهم يوجسون خيفة من
ثوران عواطف بعض الاندية من المسلمين واليهود من جراء التعرض
لموضوع الخلاف الذي نشأ بين الرسول ويهود يثرب . وأن ميلنا الى
احدى القشتين قد يكون سببا في إثارة سخط الطائفة الاخرى
لكننا نعتقد ان رسالتك موجهة الى طائفة المذكرين الذين
لا يثرون دموع خاصة في كتاباتهم بل يقصدون دغا في البحث الجرد
عن المواقف القومية والمدنية

وما من احد يظن باننا و تصاف الى حوادث اليهود والانصار
في يثرب دون ان تعني نفسه بشعور الاجيال الفتية . لأن الفضل
الغني الذي وقع بينهما قد برهن على ان هذا النزاع كان من الامور
المقدرة في حسان كل من تابع الحوادث الى وقعت في المدينة بعد ان
هاجر اليها الرسول . فقد كانت الضرورة الطبيعية لتجرح مشروعات
المسلمين فاضى حتما بوقوع المراء الشديد بين "الطرفين"

ومن اجل ذلك فقد تغيرت حالة كثير من الجوهريين بعد ان انتهت
الخصومة السياسية بين الرسول و بطون يثرب . حتى شرع اليهود ينظرون
بميوون الاكبار و الاحترام الى جيوش المسلمين التي كانت تغمر كالسيل
أقطار الماء ونوحيه . وكانت هذه جيوش قد قضت على سيطرة الدولة
الرومية في اقاليمها القاسية ولدينية . تلك الدولة التي ملأت تاريخها

بمحوادث الظلم والعسف واهراق الدماء مدة طويلة من الزمان
وقد كان اليهود في أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش
المسلمين بالحفاوة والاكرام لانهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم اذ يرون
فيهم قوماً يؤمنون بالله موسى وابراهيم

واتقد ازدادت هذه الروابط متانة مع امتداد الزمن حتى دخل
اليهود في جيوش المسلمين ليقاتلوا معهم في اقاليم الاندلس
وبنيوني ألا يغيب عن البال أن الخسارة القليلة التي لحقت يهود
بلاد الحجاز ضئيلة بالمقاييس في الفائدة التي اكسبها المعسكر اليهودي من
ظهور الاسلام ، فقد نفذ الفاتحون المسلمون آلاف من اليهود كانوا
منتشرين في اقاليم الدولة الرومية ، وكانوا يقاتلون الواناشي من العذاب
زد على هذا أن اتصال اليهود بالمسلمين في الاقاليم الاسلامية كان
سبباً في نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها في تاريخ الآداب
العربية والعبرية زمناً طويلاً . . .

• • •

ويجمل بنا أن نلفت الأنظار الى أننا نسبنا كل ما لم يكن من رأينا
سواء كان كبيراً أو صغيراً الى صاحبه وذلك قديمة عصب في أغلب الظروف
جهداً غير قليل

أما الآراء التي نسبها لغيرنا فهي بطبيعة الحال جديدة وبعضها
عرضة للنقد والشك ونعتقد أنه لو رجعت صحتها لكان ذلك لنا مكافأة
عظيمة برئاح لها العنبر وبعضها إليها خطاير

• • •

ولا يسعني بعد هذا إلا أن أرفع خالص الشكر للقائين بأمر الجامعة
المصرية وأساتذتها الأجلاء

وهذه المناسبة أقدم تهنيتي الطيبة وعاطف ثنائي خضرة الاستاذ
المعاليه الشيخ عبد الوهاب التجار الذي أسدى إلي الكثير من
النصح والارشاد

أما رجل اليوم أستاذي الدكتور فنه حسين الذي تفضل وقبل
الأشراف على رسالتي وبذل الكثير من وقته الثمين في قراءتها فإلى نبوغه
النادر المثال في النقد يرجع الفضل في هدايتي إلى بعض دقائق هذا البحث
الذي أرجو أن يظفر برضاه القراء الكرام والسلام

اسرائيل وفنفسوه

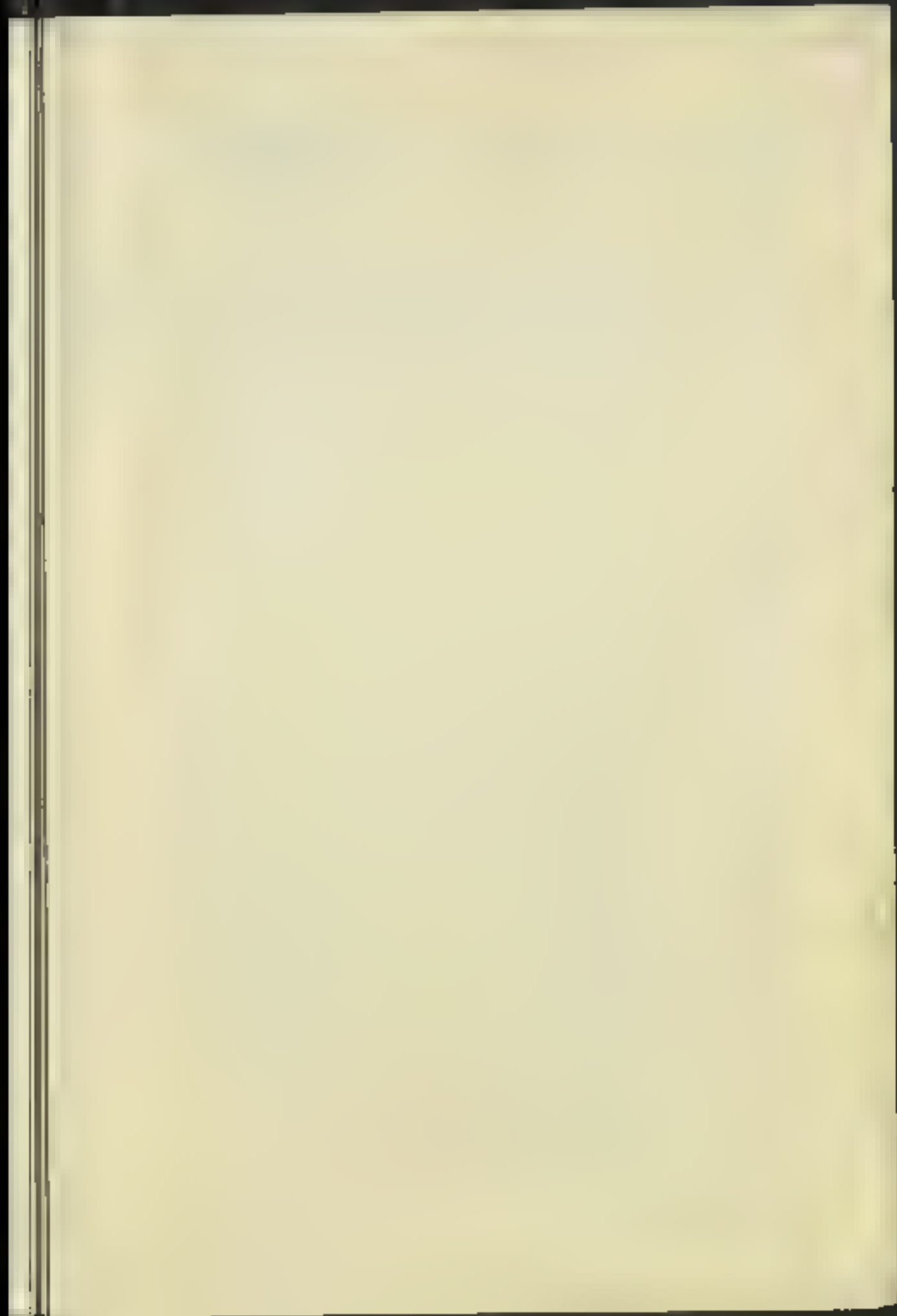
٢٤ يونيو سنة ١٩٢٧

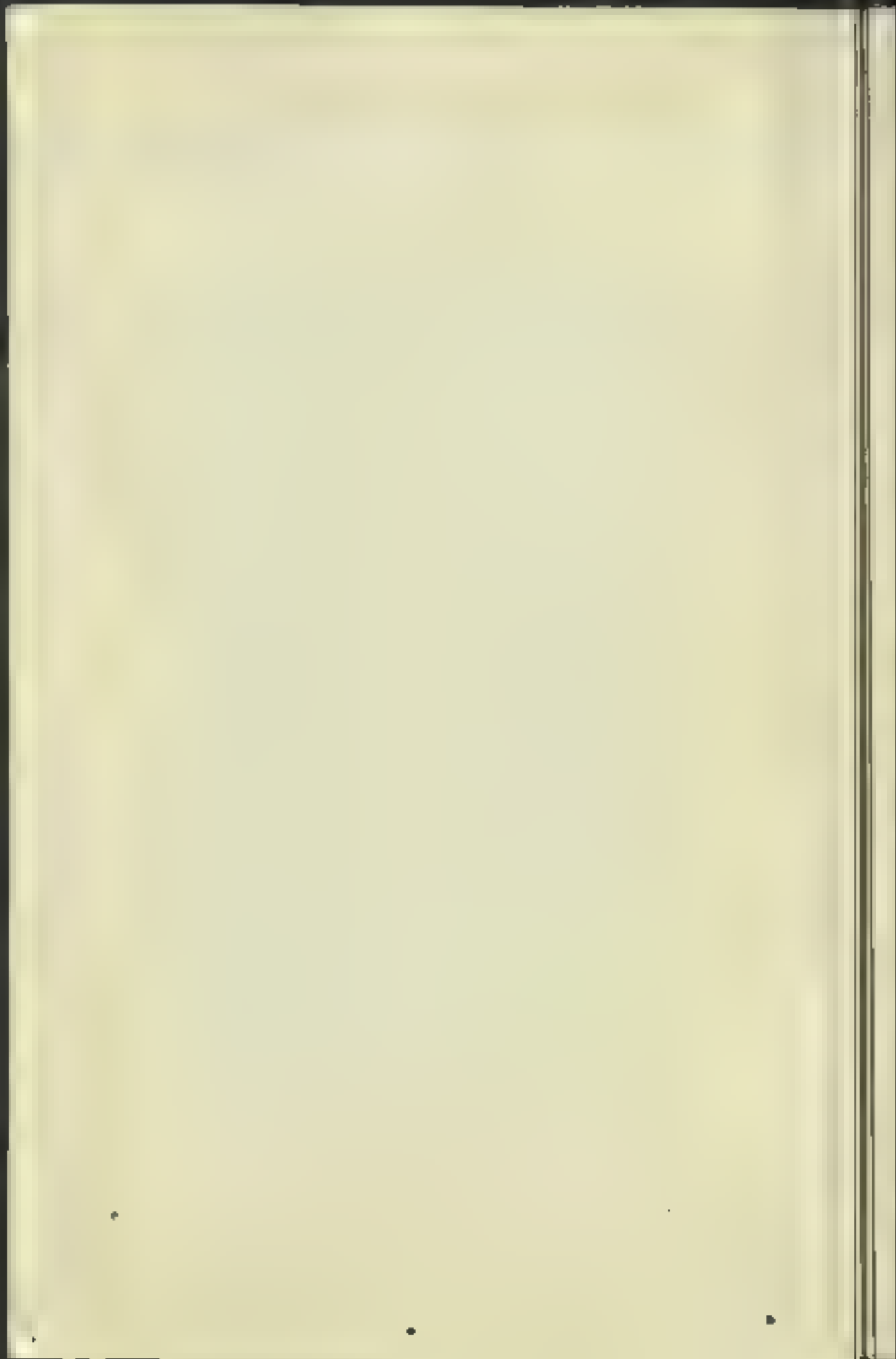
(أودعها)

نقدم جزيل الشكر إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كلفت
نفسها مؤنة لا تقاى على طبع كتابنا هذا . وليس ذلك بغير من هيئة
اللجنة التي جعلت ديدنها العناية والاهتمام بنشر العلوم والمصنفات

المؤلف

٢٥ يونيو سنة ١٩٢٧

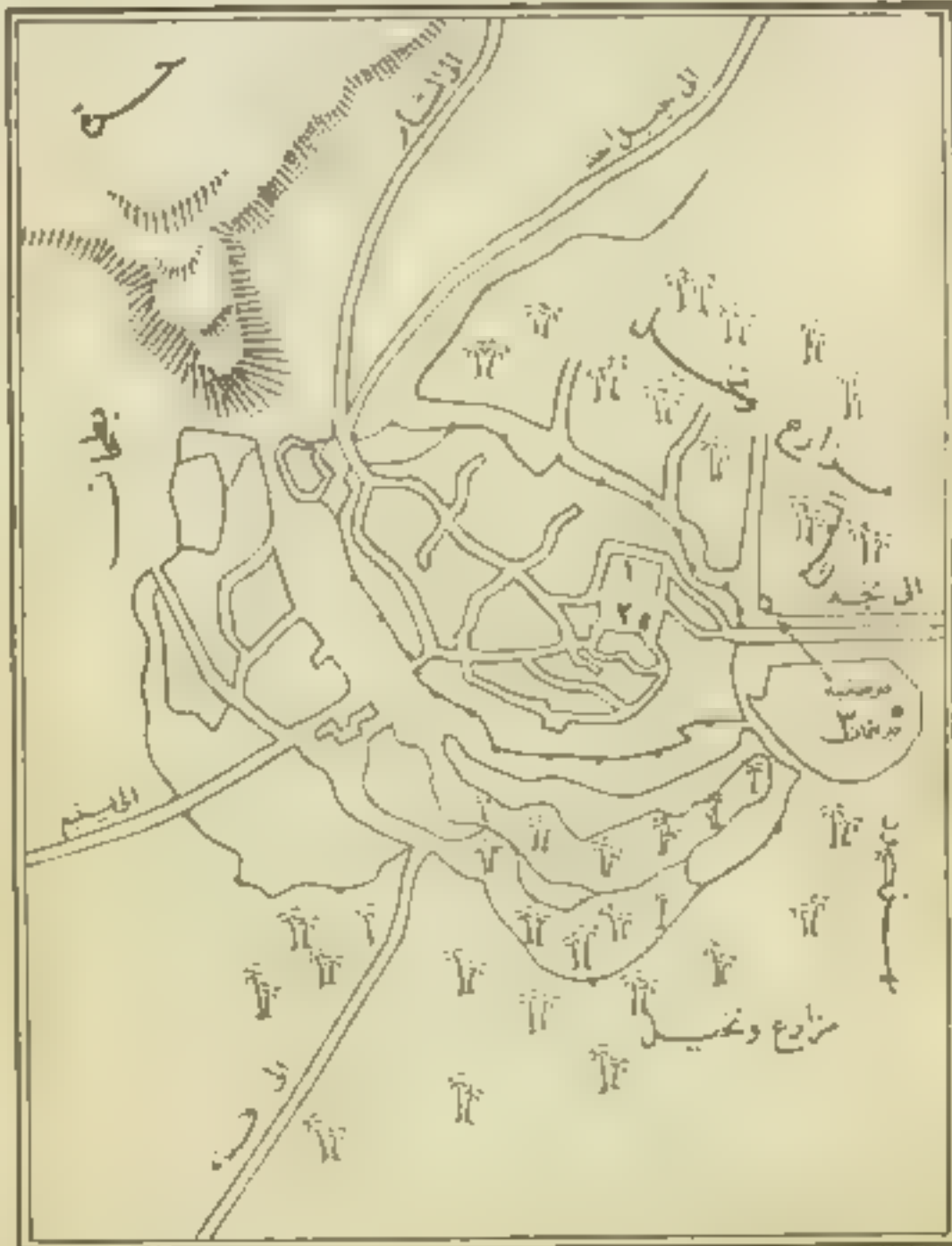




المدينة المنورة (يثرب)

مقياس الرسم ١ : ١٢,٥٠٠

ملحوظات : ١١ الجامع الكبير (٢) قبة النبي (٣) جبالناات



وضعت الخرائط تاريخ اليهود في بلاد العرب في الناحية ومصدر الاسماء المذكور في السجل والاعشون .

انتهى بنو بطون شمعون وتخريفهم لأقوام من البطون الغمانية شمر منذ^(١)
 ومع ما لهذه الرواية من عظم القيمة في بحث فانت ترى فيها غموضاً وإبهاماً
 إذ لا نستطيع أن نعلم منها متى تزحلت بطون بني شمعون إلى جزيرة العرب
 غير أن العالم دوزي يحاول في مصنفه عن بني إسرائيل في مكة^(٢) أن يثبت
 أن الهجرة الشعمونية حدثت قبيل عصر ملك داود حوالي عام ١٠٠٠ ق م في
 حين يعارضه المستشرق مرجوليوث في كتابه عن علاقة العرب بالبطون
 الاسرائيلية قبل ظهور الاسلام^(٣) ويقول أنها لم تحصل الا في عصر ملك حزقيا
 الذي حكم بلاد يهوذا من سنة ٧١٧ - ٦٩٠ ق م.

وأما بعض المحققين من العلماء والدين لا يريدون أن يخوضوا غمار المناقشة
 مع هذين العالمين فلهذا ينصرفون إلى قولهم ولكنهم يرون أنه لا يمكن
 التعويل على هذه الرواية المنقولة من الكتاب المقدس لقلة الموضوعات التاريخية
 القاطعة عن وجود بني شمعون حتى أن الذي يتبعه بعض العلماء القديري لا يجد شيئاً
 عن قبيلة شمعون في تاريخ بني إسرائيل سوى رواية تدل على اشتراكها مع
 بطون بني يهوذا في فتح فلسطين^(٤) وسوى ما جاء عن نزوحهم من الديور
 الاسرائيلية.

مثال هذه الأقوال القليلة دفعت هؤلاء المحققين من المستشرقين إلى أن
 يشكوا في أن تكون قبيلة شمعون هذه كان لها وجود في عام الحقيقة^(٥)
 ولكننا نرى أن إنكار وجود قبيلة شمعون أمر غير مبسور وقد كان لها ١٢

(١) أخبار الأيام فصل ١ آية ٣٨ - ٤٢

(٢) Dozy : Die Israeliten zu Mekka ٩٨ - ٤٠

(٣) Margolioth : The relation between Arabs and Israelites

prior to the rise of Islam

(٤) قضاء فصل ١ آية ٣

(٥) Burney : Israel's settlement in Canaan ٢٧ - ٢٨

مدينة في جنوب فلسطين دخلت في حوزتها بعد استيلائها يوشع بن نون على
البلدان الكنعانية وقامت فيها مدة طويلة (١)

على أن نزيد ملاحظة على الرواية المنقولة من كتب أخبار الآرية عن هجرة
بنى شمعون طلباً للمري على قضا وهي أنك تسجد كل الأسبوع ثم تخرج جميع يهون
شمعون من فلسطين إلى ستة مدن وترونها مرة واحدة في وقت واحد إلى بلاد
أخرى يستأصحب من بلادهم بنسبة كبيرة إلى است هناك فوارق طبيعية
بين البلاد وقد تكون البلاد التي تقول روية يهون من بلادهم طلباً للمري عند
جدياً من بلادهم التي يهون عنهم ثم لا يعودون إلى موطنهم الذي منه نشأوا وفيه
عشوا على كل زمن ومرور الأيام.

معقول أن تخرج سائر أهل الفخمة الناس عن موطنهم وانفسهم إلى أن يرحلوا
عند أيحدوا مرفقاً بهم ولكنهم لا يرجعون عن بلادهم جهة واحدة ولا يقدرون
جهة معينة وهم محبسون إلى يفرقون هذا وهذا وتقسد كل فئة ناحية من النواحي
الضيقة والقرية من الأحياء من يهون يهون يهون من أسد العيش ثم
لا يقدرون أن يعودوا إلى بلادهم وموطنهم يستأصحبهم جهة واحدة الواحدة
ثم أن يخرجهم من بلادهم جهة واحدة ويقصدوا جهة معينة وهم جهة ولا
يعودوا إلى بلادهم مطلقاً وهذا لا يكاد يوجد في تاريخ بني إسرائيل

ولو أنشأنا النظر عن كل هذه الامتيازات وعرفت صحة هذه الرواية
وصدق أن هذه الهجرة قد وقعت كما يظنهم تلك النقص المنقول من سفر أخبار
الآرية فذلك اعتقد أن تكون قد حدثت في زمن قديم جداً في القرن الثاني عشر
في . . . على أقل تقدير لأنه يمكن يوم إسرائيل قد عرفوا بعد تدوين الخواص
التي تقع في صحف . . . أي أنها حدثت في زمن غير بعيد من عهد الاحتلال
لإسرائيل للبلاد

(١) كتب يوشع بن نون فصل ١٩ آية ١ - ٩ وصحف الأخبار ١٠ فصل ٤ آية ٢٨

وكما أن حوادث الفتح لم تصل اليه وضحة وفيه كذلك وصلت أخبار شعوب
في روايت غامضة وذلك لأن بي سرتين بعد توغهم في فلسطين بقوا اياما غير
قليل مختلفين بعضهن وميزهن سكنة الصعاري في أحلاقهم وعدتهم وقاديتهم
ونفوذهم من كل أنواع التغير والتجديد

وقد وصلت عليهم قرون عدة وهم في محيبتهم الأولى حتى تدرأ من دورته
وأخذت الاحوال الاجتماعية والاقتصادية تتبدل وتتحول في أن ظهر عند الشعراء
والفكرين مبال شديد في تصوير العصور الماضية ودخولهم في التمثيل
الاسرائيلية وبيان أوضاع التي نزلت عن والظروف التي دعت إلى تركها وكان
غرضهم من ذلك أن يوفقوا على أنفسهم وأن يشهدوا أن كل خم من بعد وسودد
أما فيما يتعلق ببلاد وفلسطين من أن فلسطين قد انفرد على أنها قد
سكنت بين جهات غرب وشرق وبهم يدور في ذلك على أن يعرف في سائر
الذي جاء بهما دون الخبرة العربية واليه على هذا النحو

فدائل من وصفهم في

فدائل من وصفهم في

دولة ثم وكانت في جهات رب السب

ملكه حصر موت ووصفهم في

ووصف من وصفهم في (Lilias) لاه من شأنه كانوا على جانب

عظيم من القوة والبطش وكثرة العدد ووفرة المال (١) وبسيرة العدة جالرو

(Glaser) في كتابه الذي حمله عن بلدان الخبرة العربية حوادث كثيرة ليعطون

معان وعلاقاتهم مع أمم فلسطين وأسس بعنه قوائم على معلومات قديمة عنهم في

جهات مختلفة من تلك الأمم (٢)

(١) دوزي ص ٦٦ - ٦٨ مرجعيات ص ٥١

Glaser : Skizzen und Geschichte Arabiens bis (٢)

Moh. Glaser : Sammlung

وتذكر لنا صحف العهد القديم من أخبار بني إسرائيل عدا هذه الجزيرة أن
بلاد طور سين وشمال الجزيرة توجه عم كانت ملجأ يتحصن إليه كثير من بني
إسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك والحكام الظالمين^(١) ثم في عهد الملك
مخنصر فإنه حين غزا أورشليم قصدت جموع من اليهود أرض الجزيرة^(٢)
ولم تغفل المصادر العربية الإشارة إلى أن قبائل سريلية كانت تسكن
بلاد العرب منذ زمن قديم جداً فقد قال صاحب الأغاني^(٣) وكان ساكنو المدينة
في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمامية يقال لهم العماليق وكانوا
قد تفرقوا في البلاد وكانوا أهل غزو وبني شديد وكان ملك الجزيرة منهم
يقال له الأرقم يرسله إلى بني نجا إلى فلك وكانوا قد ملأوا المدينة ولهم بها محل
كثير وزرع وبني موسى بن عمران قد بعث اليهود إلى الجزيرة برفق من أهل
القرى يفرونهم ومعه موسى بن العماليق حبشاً من بني إسرائيل وأمرهم أن
يقدمهم جميعاً إذا ضموا عليهم ولا يستبقوا منهم أحداً فقدم الجيش الحجار
فأظهروا الله على العماليق فقتلهم أجمعين لا يبق إلا رفق كان وذهبوا جميعاً فصنوا به
على القتل وفعلوا بذهب به إلى موسى فيرى فيه رأيه فرجعوا إلى الشام فوجدوا
موسى قد توفي فقاتلهم بنو إسرائيل وسمعوا فقالوا أظهروا الله عليهم فقتلهم
والبقي منهم أحد غير غلام كان غريباً حبلاً فقتل به عن القتل وقتل باقي به
موسى فيرى فيه رأيه فقتلوه هذه معصية قد أمرتم ألا تستبقوا منهم وأنت
لا تدخلوا عليهم إلا ما أبدأ قد صنعوا ذلك فلو كان خيراً لك من مصادي القوم
الذين قتلهم بلخبر يرجع إليهم فنتقم به فرجعوا على حديدهم حتى قدموا مدينة
قزولها وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود بمدينة^(٤)

(١) ملوك - ١ فصل ١٩

(٢) أرميا فصل ٤٠ آية ١١

(٣) الأغاني ج ١ - ١١ ص ٩٤ (لقد مؤدحى العرب لما تمكن منهم كتبوا في ذلك

ويضيف ابن خلدون الى هذه الرواية أنه يشك في صحتها لأنها لا توجد عند اليهود ولأن اليهود لا يعرفون هذه القصة^(١)

ثم يحدث ابن خلدون أن داود لما خلع بنو إسرائيل حاشته وخرجوا عليه فر مع سبط يهوذا الى خيبر ومثل ابنه الشهم ونحوه بخيبر الى أن قتل ابنه وبعده الى وطنه فيظهر من هذا أن عمراته كان منعزلاً بين يرب ويحورده الى خيبر^(٢)

غير أني ترى أنه لا يمكن التعويل على أقصيص من هذه الموشى مبريتها المراجع العربية على أنها طبعاً شائعة ورويت غير حميدة ولا اعتقاد عليها وإذا ما يكن مؤرخو العرب قد استطاعوا أن يصلوا الى أخبار ابنه موثوق به عن بني النضير وفريضة ومعنى كان ظهروهم في بلاد العرب فكيف يستطيعون أن يصلوا الى أخبار حقيقية عن ملوكهم إسرائيليين قديمة بدت وتدرت من قبل أني وجد بنو السميم وفريضة ...

كذلك لا يمكن أن نعتمد على الأعداد القليلة التي وصلت عنهم بطريقة غير مباشرة صحف العهد القديم عن وصول جموع إسرائيليين الى الجزيرة العربية ولا يستطيع أن تثبت هذه الأخبار أنها حقيقية

والذي ينبغي أن نقوله على سبيل النظر اعتماداً على هذه الأخبار هو أن القدماء قد اشتدوا أنه قد وجدت في جهات يرب وخيبر بقايا إسرائيليين قبل وصول جموع اليهود الى الأحصاح العربية في الدور الثاني

ويؤيد هذه النظرية ما نجده في كتب العهد القديم من النص على وجود علاقة

وهي أن يسلو على ما رأوا في سفر العدد من حروب بني إسرائيل والمدينين والاموريين وغيرهم ويتوسعون في ذلك الى أرض الحجاز ويترددون على ما عند الاسرائيليين بنو سلطان أئامه (أرى الأستاذ الشيخ النجار)

(١) تاريخ ابن خلدون جزء ٢ ص ٨٨

(٢) تاريخ ابن خلدون جزء ٢ ص ١٨٩ أنه رواية ابن خلدون أن داود ذهب الى

خيبر ولا يوجد ما يصحده وداود لما يجاور محب

مدينة بين بلاد فلسطين وبلاد جزيرة العرب

كانت فلسطين بمثابة القاطرة التي تربط بلاد العرب وسورية من جهة ومصر
والعراق من جهة أخرى وكانت القوافل العربية تأتي من بلادهم إلى أسواق مدن
بنى إسرائيل وكنعان^(١) وكان تجار اليهود يرحلون إلى هناك في عهد سليمان وبعده^(٢)
كذلك على أن بعض ملوك بني إسرائيل انعموا بالتصاريح بمرور
القوافل العربية وسوقهم فخرهم وسهموا في وصولها إلى أرض الجزيرة^(٣)
وهم أيضاً من مدينة العقبة (ب) كانت في عصر من العصور القديمة
يهودية^(٤) ولاحقاً من عند بني إسرائيل يقيمون فيها فوجدوا حريصين من ديارهم إلى
الاقليم العربية في عصور مختلفة ولا سيما في غير تلك المدة كما يثبت ذلك
عبرهم بكثرة ما أتى من آباءهم سوى أنهم

وفد حواري بعض مستشرقين من بعدهم علاقة بين هذه كانت وقعت لها على
عرباً قديمة من جرم وغيرها ومن جهة أخرى من يكون لهم شهادة فربما كانت
في جزيرة العرب^(٥) لا تخرج إلا عن طريق الحجاز واليمن لم يصب من كتب
في هذا الباب من مستشرقين ولكن في بلادهم هذا لا كمال لهذا المقام
لأنهم إلى السكك التي تسمى "اليهود الثاني" في بلاد العرب

لقد وجدت جموع كثيرة من اليهود في تربة لاوس والثاني عند بلادهم عبر في
البحر العربية منهم في أرواح الجزيرة يجمع خاص ولا شك أنه كانت
هناك أسباب دفعت هذه الجموع إلى ترك وطنهم والمغادرة إلى البلاد
العربية ويمكن أن نحصل هذه الأسباب فيما يأتي :

(١) مزقيد فصل ٢٧ آية ٢٦

(٢) مزقيد ١٠ فصل ٩ آية ٢٦

(٣) د مسوئين ٩ من ١٠ فصل ١٥ وأما في الآيات ٢٠ فصل ٢٦ آية ٧

(٤) مزقيد ١٠ فصل ٩ آية ٢٦ مزقيد ٢٠ فصل ٢٦ آية ٧

(٥) دوزي من ٩٤ — ٩٥

١ (أ) زيادة عدد اليهود في فلسطين وزيادة متفرقة جعلت البلاد تضيق عن
أن تسعهم وتفتيح لعلهم في سبيل حياة وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أكثر
من أربعة ملايين نسمة وهو عدد كبير لا تسع له بلاد ضيقة كفلسطين فاضطروا
بحكم هذه الزيادة المتسارعة والتواضع لظروفهم أن يهاجروا إلى ما حولهم من البلاد المجاورة
لهم كقصر والمراق والجزيرة العربية (١)

٢ (ب) حدث حوالي القرن الأول في . . . ن هاجرت الممونة لروم. وفي بلاد
فلسطين وقويت أركان الدولة اليهودية مستقلة عنهم. وحصلت لهم سلطان التمر
الرومي الذي قبض على روم. حكم بيد من حديد وحكم الثغور والاستيلاء
في نفوس اليهود كان شديدا في حد ذاته الثقل والثورات العديدة كانت تشتعل
ببرامهم من حين إلى آخر وكان يروى أن يجمعون تلك الثورات شدة وقسوة
تزيد الثغور وتضاعف الاستياء فحصل من ذلك استيلاء الروم على البلاد مع هذه
الأحوال القاسية. بلحاظ أن أصل الجزيرة العربية التي كانت أحب إليهم من
غيرها نظر الانتماء البدوية الحرة ونظر لوجودها في قوم بدوية عبدة تعوق
سير القوات الرومانية المنظمة وتمتع بوقته

٣ (ج) بعد حرب اليهود وروم (٧٠ ب . م) حتى انتهت بحرب بلاد
فلسطين وروم هيكل بيت المقدس وانشأت اليهود في حرفة القماش فقامت جموع
كبيرة أخرى من اليهود بلاد العرب يهاجرون إلى ذكره كما يوجد بذلك مؤرخ
اليهودي يوسف الذي شهد تلك الحروب وكان قد كتب بعض أحداثها

وأيضا مصادر العربية كل هذا ذكر في كتاب لاثاني في سنة ١٢٠٠ ظهرت
لروم على بني إسرائيل جميع بلاد فلسطين وبقاها ونكحوا . . . حرج بنو
النصير وبنو قريظة وبنو يهودا عربيين منهم إلى من يهاجرون من بني إسرائيل
من غلبتهم لروم على الشام وقد قتلوا منهم بأعداد عظيمة مثل ثلاث لروم في فلسطين

أيردهم فتمجروهم وكان ما بين الشام والحجاز مذوواً وصحاري لا نبات فيها ولا ماء فلما
طلب الروم البحر انقطعت أمتهم عطشاً فأتوا وهي الموضع ثم الروم فهو اسمه
إلى اليوم^(١)

وتتلخص آراء بقية مؤرخي العرب في أن جموع اليهود في الجزيرة العربية
قد رادت وكثرت بعد اضطهادات الروم لليهود وقد يجوز أن تكون هذه الروايات
انصلت بالعرب من يهود يعرب وحير

وإذا صح ما ذكرناه سابقاً عن تدرج اليهود في الجزيرة العربية في الدور الأول
كان مؤيداً لما رأى الذي يقول أن تواجدهم في الدور الثاني قد توجهوا في بدى
أمرهم إلى الجبل التي كانت مسكونة بطوائف إسرائيلية من زمن قديم

ولقد كان لليهود في غضون الدور الثاني وضع مستعمرات صغيرة فصار بعد
ذلك الحين كثيرة وكثيرة وظهرت مدن وقرى جديدة وآلات وأحصون على رؤوس
الجبال وانتشرت الحركة الزراعية في الأراضي التي كانت منذ ألوف من السنين
قاحلة معلقة لأن اليهود كانوا يشتغلون في مواضعهم لأصلي بالزراعة قبل كل شيء
وكانت فلسطين غنية بمحاصيل القمح والشعير والزيتون والتين والعنب وكانت
تصدر كثيراً من تلك المحاصيل إلى حيث محلة مد غصون قديمة

كذلك انتشرت الحركة الصناعية والمجتمعية وانتشرت أسواق عديدة يهودية
ومن هنا يمكن أن نستنتج أن الاستعمار الجديد لم يبق على حد الظن وما يؤيد إلى
طرد قبائل عربية أصيلة من مواضعها كما حدث في الدور الأول الذي استأصل
قيس القحطون من بني إسرائيل شاة بطون معينة وغيرها وأما الذي حدث في
الدور الثاني أنس ضيقاً مضطرين نزحوا على بلاد جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء
بخطوة والرحيب إذ كانوا يعطونهم فروعاً من مخالب النمر لرومان وسهل
الامتزاج بين هؤلاء وهؤلاء بحكم القرابة الجنسية والمحافظة الدينية وتعاون الجميع

على العمل في سبيل الحياة فنحسوا وأثروا وكان لهم في بلاد العرب شأن عظيم
ويجب ألا يغيب عن البال أن جهات يقرب ووادي القري كانت غير أهلة
بكتير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي إلى وديهم في أوقات معينة من
السنة كغواقل واحدة مع إبلها لتأكل من أعشابها ثم تخرج عنهم إلى جهات أخرى
وبطبيعة الحال كان لليهود في دورهم الثاني بجزيرة حوادث تاريخية ذات شأن
بحكم عوامل التغيير والانقلاب وبمخاض اختلاف الأمزجة وتعارض الأهواء
وتصارب المصالح فقد كان عددهم كماً بحيث يمكن انقسامهم لمختلفة بطون
بعضهم من ضرورات الاحتياج من حسب غيرهم ويحدث بينهم وبين غيرهم العرب
ما يحدث بين أية أمة أخرى وبين من يحورهم من الأمم ومع هذا فتما نجد
المصدر الاسرائيلية خالية من ذكر شيء عن تاريخ اليهود في تلك الدور وما كنت
عن السحدث عنهم سكوناً تاماً كأن ما يكن هناك يهود وكان يحدث لهم حوادث
وكان هذا السكون موضع العجب عند الباحثين إذ هم يعلمون أن لامة الاسرائيلية
كانت كثيرة التدوين في كل عموره مفرمة بجميع حوادثهم وأخبارهم في كل
البلاد التي أرنت بها جموع منها

وهي مراجع عبرية غير فنية عن حياة اليهود في بلاد العراق والفرس
ومصر واليونان والرومان نجد فيها كل ما ينطبع اليه من أخبار اليهود في تلك البلاد
في حين لا نكاد نجد مؤلفات عبرية عن يهود العرب الا شيئاً ضئيلاً جداً
لا ينجور بضعة نصوص التلميح في بعض الكذاب التلمذ جازع غير مفهودة
ولا شك أن هذا مما يضاعف عناء البحث ويؤيد في وجهه سبل الكيف
عن نواحي الحياة عند يهود الجزيرة العربية

ولكنه نستطيع أن نستخرج من هذه الناحية نفسها نتيجة ذات شأن وهي أن
سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في جزيرة العربية يدل
دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد العرب كانوا مستطعين تمام الانقطاع عن بقية

أبناء جنسهم في جهات الغاة ولم تكن لهم أية صلة وكان الجزيرة التي انفردت
بقبائلهم وانقطعت عن العالم المنقطع تقاطعاً كافياً قضت على كل من يسكنها من
اليهود ان يكون مثل أبنائها وان يقطع كل علاقة به وبين يهود البلدان الأخرى
وتم لا شك فيه أن العنصرية المدنية التي كانت لليهود قد زالت منهم بعد
استيطانهم بلاد العرب الصحراوية البعيدة عن كل حركة عمرانية وضعفت فيهم
تلك الوراثة الروحية التي حملوها معهم إلى كل بلد رزحوا اليه وأخذوا يتزولون من
أنواع المدنية والحضارة شيئاً شيئاً حتى وقعوا في هوة الفصحية وصاروا مثل غيرهم
من سكان تلك الجزيرة لعرباً من جميع العالم والمكتنفين بأبسط أنواع الحياة
وان أمة طفل تدور في دماغهم وتهمل بحذقها على أن تحق قرائنها نورانيا
تخلفها لا زالت حيا إلى أقطار أنواع الفصحية بهم كنت درجهم في الحضارة
والعمران (١)

ما يظهر من أن السوء والعنصرية في يهود بلاد العرب مطلقاً وبأنهم من
بينهم شخصية واحدة في كل عصورهم. يرقى الفكرى وإن كان اليهود يوجد به أرقى
وأقرب إلى المدنية من بقية العرب هذا لا شك فيه أحد من مؤرخى العرب
وعلماء الأفرنج ولكن يظهر أن البيئة الجديدة خلقت قوى اليهود الروحية
فقلبت غيهم العقلية البدوية حتى صارت صبغة المنطاد على أفكارهم
ونفسيتهم

وكما ترجع إلى المصادر العربية في أثناء بحثنا عن حياة العرب في الجاهلية
كذلك نستعمل من أخبار اليهود في تلك العصور

وإذا كانت تاريخ القبائل العربية فيها قد وجد مشوهاً تشويهاً غير قليل

(١) على أن هذا لا يمنع من وجود كسوف التاريخ والتاريخ دونها اليهود في بلاد المغرب
والكثيرا ضاعت في عصر حروب التي عدت به اليهود والمسلمين في الجزيرة

فكذلك أخبار اليهود فيها تشتمل على مبالغات كثيرة لا يمكن أن يعتمد عليها
للتأريخ المحقق

ولارباب أن كل أمة تكتب تاريخها كما تحب وتبوء لا كما تريد الحقيقة
المجردة عن كل غرض فهي تعتقد في أن تصور لوقائع والحوادث التي تقع فيها
وبين أمة أخرى بالصورة التي تظهر كأنهم أمة قد اجتمعت فيها كل المزايا
والصفات الممودة في حين تصور خصومها بشكل يدل على أنهم قد جمعوها كل
الصفات المذمومة

ومن أجل هذا نجد مؤرخي السبعين قد سوا الفترات القومية بعد الخصومات
السياسية والمدنية على فريش لونية والطوائف اليهودية لأن تراثه الأسمى في
تدوين السبعين لأخبار الخصومات كانت قبل كل شيء ذكر عهد القاهر وذلك
المفهورين ولو وصلت اليد أحيد والحوادث التي وقعت بين العرب واليهود في
الجزيرة العربية من مصدر غير سريانية يمكن من تمكن بواسطة المقارنة بينها
وبين المراجع التاريخية العربية أن يستخلص حقائق تاريخية مهمة

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث م م
أنهم كانوا ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية ويقولون أن الذين يسمون
أنفسهم من اليهود في جهات خيبر باسم يهود حقا أقاموا بقاءهم على تدبيرة
الآلهة الوثنية ولم يخضعوا لقوانين اليهود خضوع تاماً^(١)

وكان المأثور يعتقد أن اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة كانت
يهودية في أساسها ولكنها غير خضعة لكل ما يعرف بالتقاليد اليهودية^(٢)

وبحدث صاحب الأغاني عن الأماكن التي تزل بها اليهود في لدور الثاني فيقول:
لما قدم بنو النضير وقرينة وبهتل مدينة تزلوا القبة فوجدوها وبينهم فكرهوها

(١) Graetz ج ٣ ص ٢٥

(٢) د ج ٢ ص ٥١

وبعثوا رائداً أمروه أن ياتمس لهم نزلًا سواها فخرج حتى أتى العذابة وهي بطحان
ومزور واديين من حرة على تلاع أرض عذبة بها ماء عذبة تنبت حر الشجر فرجع
اليهم فقل قد وجدت لكم بدا طيباً نزلها أنى حرة يعصب فيها واديين على تلاع
عذبة ومذابة مائية في مذخر الحرة فتحول القوم اليهم من مزور فقل بنو النضير ومن
معهم على مزور وكانت لهم تلاحه وم. بقي من بعث وسكوات فكان من يسكن
المدينة حتى نزلها الاوس وخرج من قبائل بني اسرائيل بنو عكرمة وبنو نعلبة
وبنو محر وبنو ذخورا وبنو زينة وبنو المصير وبنو فريضة وبنو بهدل وبنو
عوف وبنو القصب فكان يسكن بحرب جمعة من أبناء اليهود فيهم الذريف
والثروة والعز على سائر اليهود . . . وكانت هناك معهم من غير بني اسرائيل
بطون من العرب منهم بنو الحوامن حتى من التين وبنو مرند حتى من بلي وبنو
نيف حتى من ابي ايضا وبنو مديعة حتى من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة
وبنو الشظبة حتى من غسان . . . (١)

وبقيت هذه البطون العربية على أديان آلهة القديمة وما تعبد في اليهودية فعدت
من موالى اليهود

وكانت هناك قرى كثيرة في أرض حبيش الواقعة شمال بحرب آهلة بكثيرة
مطلقة من اليهود ثم هناك وادي القرى المشهور بأرضه الخصبة وحدائقه الزاهرة كان
أيضا من المستعمرات اليهودية ووجد اليهود أيضا بكثرة في أرض تيماء . . .
ومن هذا ينصح أن جميع اليهود كانت منتشرة في شمال الحجاز

ويظهر جلياً من أقوال بعض مؤرخي العرب (٢) أن بطون عربية كثيرة
قد اختلطت بالعصر اليهودي في بلاد الحجاز وأثرت في أخلاقه وعاداته تأثيراً
ظاهراً ولكنهم لم تستطع أن تغلب على عقيدته لأنهم لم يبق في هذا العصر محاربا

(١) جزء ١٩ ص ٩٠ الاغانى

(٢) راجع ما اقتناه من كتاب الاغانى عن يوم جئت في الباب الثالث

بمقلبه امتيازاً فاهراً

وينكر المؤرخ اليهودي وجود طوائف يهودية أصنية كثيرة في خبز بل
يعتقد أن أغلبها من المنصر العربي وأقلها من المنصر اليهودي ويقول إن بني
النضير أخذوا من جداء الأتية يهودوا وورثوا بحبل يقال له النضير فسموا به وورثوا
بمو قريظة بحبل يقال له قريظة فسموا به ^(١)

ولكن من جهة أخرى نجد طائفة من المؤرخين الأفرنج في أن نجد لبعض
أبناء القبائل اليهودية اشتقاق عبري ^(٢)

على أن الاستدلال ببعض لغوي كهذا على جسمية اليهود في بلاد العرب
لا يمكن أن يعتمد به أو يعول عليه فمن خلق أن أسماء كثير قبائل اليهودية عربية
محضة كما يقول اليهودي ولكنه لا يدل على أنها عربية الخس ف يمكن أن تكون
جموع اليهود التي هاجرت إلى بلاد العرب قد أخذت أسماء الأسماء التي نزلت
بها أسماء لها بل الواقع أن اليهود في دورهم الثاني لم يكونوا يعرفون بأسماء بل
عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والأقاليم التي جدوا منها فكان يقال مثلاً فلان
الأورشليمي والآخر الحبروني وهكذا . . . نعم كان هو إسرائيل في دورهم
الأول ينتمون إلى قبائلهم فكان يقال مثلاً فلان من سبط يهوذا والآخر من
قبيلة إفرائيم وكان اليهود في وقتهم الأصلي قبل أن تخل بهم تلك الرزايا التي شذفت
شملهم وفرقتهم أرواحاً سبقة وصلوا إلى درجة عظمية من المدنية والحضارة وبلغوا
مكاناً علياً في ترقى الروحاني والاجتماعي حتى انتهى من بينهم نظام القبائل وصاروا
أمة واحدة مدمجة اندماجاً كلياً حتى نسي الأفراد فكرة النسخ ولا ينسب إلى
قبائلهم ونسبت القبائل عدة الأقباض والاعتراض من أن تختلط دمها بدمها
القبائل الأخرى بل أصبح المجموع الأفراد والأفراد المجموع كما هو شأن جميع
الأمم التي تتغلب من طور البداوة إلى طور الحضارة

(١) تاريخ اليهودي ج ٢ ص ٢٩ — ٣١ طبع يدي

(٢) ج ٣ ص ٢٦

وقد أشد اليهود في مسألة الانساب للأسرائيلية حيث أنها كانت
وذكر أن سبب خبثها هو أن ملك عرويس اليهودي أحرق كتب الانساب
الاسرائيلية^(١)

ومن هنا يعرف السبب في أن اليهود الذين نزحوا إلى بلاد العرب لم يكونوا
كثيرين منهم يهود خالص وفيهم لم يكونوا يتمايزون فيما بينهم إلا أسماء الأماكن
التي جاءوا منها.

والطريقة التي تعترف حاشية اليهود في بلاد العرب إنما هي النظر في الاختلاف
والتقارب والتجديد لا فكر ولا عمل.

ومن هذه الناحية نستطيع أن نحكم أن يهود يثرب خصوصاً وشمال الجزيرة
عموماً أقرب إلى مصر اليهودية منها إلى القسطنطينية العربية فطراً، وبسبب القرآن
الكريم.

أما "يهود الحصور" والآباء على فهم خلاف لينحسروا في أوقات
الحروب حين يغزوهم لأعراب الشاميين في موطنهم وبعدها لنسبهم إلى عينة أو حين
تغزوهم بقوى يهودية أخرى لسبب من الانساب
ويرجح أن فكرة هذه الحصور والآباء على فهم جديد في شمال الجزيرة
العربية إنما أتت من اليهود من وسطهم الأصليين كجرت في حياض الحصور السبعة
ومن هذه الحصور التي أقامها اليهود في بلاد العرب حصن الأبلق للسودان
وحصن القممى التي في الحقيق وحصور التالمة والنومنيح وزعم يوسف بن
المعاذ أنها...

وقال السهوي أن فاش اليهود ليس على العشرين وعدة أعوام وأخذوا
من نزل معهم من العرب ليريد على السبعين ج. المهي من هذه^(٢)

(١) פסוקים

(٢) خلاصة نوادر أخبار دار المصطفى من ٩٠

ومع ان أغلب أسماء البلدان والأماكن التي سكنها اليهود في الحجاز كانت عربية فقد وجد بعضهم انهم في لغة العبرية مثل وادي بطنان في معناه بالعربية الاغناد ووادي موزور أو محزور ومعناه بحري الماء وفي اليهودي سمعان جبل بخير صلى النبي على اسمه والدة تسمية سمعان وضبطه بعضهم بالشين المعجمة (١) فذا علم ان في فلسطين جبلا يسمى شمعان أمكن ان استخرج ان سمعان هذا هو لفظ عبري أطلقه اليهود على ذلك الجبل بعد ان نزلوا بجبله

ويؤكد صحة هذا الاستنتاج ما قاله اليهودي من ان بعضهم ضبطه بالشين المعجمة ثم يترأس منها نسبة الى جبل يهودي اسمه أريس باللغة أهل الشام (٢) وليكن المقصد ان هذا الاسم في الأصل غير عربي بل هو نكرة يطلق في اللغة العبرية والآرامية على الفلاح الخراب . ويتردد في سفرها عنان من يهودي (٣) ومما هو بالعبرية النمر الحاذية (٤٥٥ ٤٥٦)

والفرد كان هذه الثقافة من الأسماء وريد علاقته باللغة العبرية المستدل منها على أن اليهود في بلاد العرب لم يقطعوا صلتهم بلغتهم الأصلية والعلم انهم كانوا يسمون بعض هذه المسائل يستدلون بها على دلالة لغة العبرية في اليهود ويسودوا في معرفة موضوعات مختلفة من تاريخ العرب في الجاهلية ولعصر ظهور الاسلام

(١) (٢) (٣) (٤)

أدخل اليهود الى بلاد العرب نوعاً جديدة من الأشجار وخرقاً جديدة للحراثة والزراعة بالآلات حتى عدوا من أهل هذه المنطقة العرب الخراب (٥)

(١) من ٢٨١ خلاصة نوفا

(٢) خلاصة نوفا من ٢٢٦

(٣) من ٢٢٢ خلاصة نوفا

(٤) (٥) Wellhausen: Skizzen & Vorarbeiten Heft 4 من ١٤

ومنها من حضر لأمر في الأوقاف الحربية^(١) ومن أجل هذا كانت أراضيهم
أخصب بلاد العرب.

وكان اليهود يشتغلون بخرقة النخبة^(٢) والمذبح^(٣) وكافوا في جهات مقنا
يشتغلون بصيد الأسماك وكانت أموالهم تشغل ببيع الأقمشة^(٤)

وكانت النجدة بنوع خاص من أهم مرفق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار
أعضاهم في شجرة عتيقة وحيت بعد كافي رفع الخبز الذي أرسل بضاعته
بواسطة القوافل إلى الشام والهند ومن الأقمشة الخنفة^(٥)

ويمكن أن يقال أن تجارة البطح والشعر والتمح كانت خاصة بهم في شمال
الحجاز. ونظراً لما كان عندهم من مال ورؤوف فذلك كان كثير من الأعراب يرهنون
عندهم بعض الأقمشة ليستدينوا منها. يخاصمون اليه^(٦) كما يقال عن النبي محمد
له وهن شراً مندية عند يهودي وأخذ منه شيراً لاهله^(٧)

وكان أخذ الزكاة شائعاً عندهم حتى أن القرآن وجه اليهم بسببه أقساماً تقريية
وأعنف أنياب. فبعض من دين هذه حرم عليهم مبيعات أهلهم وبعضهم
عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الزكاة وقد نهوا عنه. فكانهم أموال الناس ولا تعلق
أعندنا للكافرين منهم شيئاً^(٨)

ولكن التعامل الزرير في تلك المصروف يمكن حتماً بهم بل كان العرب جميعاً
يتعاملون به ولا يرون فيه شيئاً معيباً مطلقاً بل كانوا يعتبرونه نوعاً من البيع وكان

(١) Wustentfeld : Geschichte der Stadt Medinah من ٢١

(٢) ابن هشام جزء ٣ من ١٨٥

(٣) ابن هشام جزء ٣ من ٢٨٢

(٤) قنوج البلدان لملاوري من ٦٠

(٥) تاريخ الخميس لملاوري جزء ٢ من ١٢

(٦) البغدادي جزء ٢ من ١١٦

(٧) البغدادي جزء ٢ من ١٦ و ٤٦

(٨) سورة النساء ٨٠ ١٦٠ ١٦١

للمتعمل بآبار في مدينة الطائف شمرة فاققة عند جميع مدن الخجاز^(١) وكذلك
كان نصارى نجران يتعاملون بآبار^(٢)

ومن الصناعات التي كان اليهود في بلاد العرب يزاولونها صناعة الصياغة التي
اشتهر بها بنو قينقاع^(٣) فكان لهم صناعة سواها وكان لهم في العرب حتى خاص
يعرف بنو قينقاع

وقد جاء في الأثر أن الناجية للذي في أثيل إلى المدينة يريد سوق بني
قينقاع فله الشريف على السوق جميع الصحة وكانت سوق عظيمة تحدث به ناقة
فان يقول: كادت تها من الآفات على... رأيت كاليه قفا لولا
أنهم... بالوسط لا تحدث... قدمت خمس في الآراء...^(٤)

وكانوا يزاولون صناعة السيوف المدروس وسائر الآلات الحديدية التي كانت
معدومة في بلاد الجزيرة في ذلك الزمن^(٥)

ولا غرو أن يكونوا كذلك في صناعة المدروس المعروفة تشتهر بها داود
(والله الخديف من العمل ساعدت وفهم في الحديد) سودة سب

أه الزراعة فكانت مهنة بنو البطون التي كانت تعيش في القرى وكانت
مجموعة القوام الزراعي تلك البطون هي التي تكونت منها مدينة بئر كينقاع
ذلك من وصف اليهودي بمدينة^(٦)

وكذلك كانت الحلب في خيبر وفي وادي القرى ونها التي اشتملت على
أزوف كثيرة

(١) فتوح البلدان ص ٦٦

(٢) فتوح البلدان ص ٦٤ — ٦٦

(٣) هذه الشطرات مأخوذة من الأثر ص ٢٦ من ٦٤ ومن هناك حوار بين الذقة
وأربع من أبي الخليلي والله كتبنا هذه الأثره مراراً في

(٤) كتب القاري نو قري ص ٣٧٢

(٥) خلاصة الوقت اليهودي ص ٨٠

وفوق ذلك فقد كان اليهود شغف بفتون القتال والمعاد وقد اشتركوا مع العرب في بعض حروبهم المشهورة

والتصريح من جواب بني قينقاع الذي بعثوا به إلى الرسول بعد يومين من هجرته كانوا ذوي قوة وبقوة إذ يقولون فيه يا محمد لا يقرنك تلك الفتية قوماً لا علم لهم بالحرب فصارت منهم الفرقة التي ولت في حروبك فتعدون أن تكون الناس (١) كذلك لئلا يجد الله بن أبي يافغر بشجاعة واليه بني قينقاع ... (٢)



أما لغة اليهود في بلاد العرب فكانت خليطة من اللغة العربية والكلمة التي هي عربية حادثة على كسب وشبه من لغة العبرية لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تاماً بل كان يسمعون في محبتهم وشؤونهم فمكث من الضروري أن يدخل في حروبهم بعض الكلمات العبرية وقد ذكر صاحب مروج الذهب أن يهود العرب كانوا أسلمة العرب في تعلم الكتابة العربية (٣)

ويقسم القرآن يهود النجدة إلى قسمين : أحدهم وهم أميون لا يعلمون الكتابة ولا يقرءون ولا يكتبون وهم الذين يكسبون الكسب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليضلوا به ثمناً قليلاً (٤) وكلما ظهر هذه عبرية الأصل إذ معناه الرقيق (٥) وقد كانت تطلق في العصور الأولى في كل عضو من أعضاء الشيعة اليهودية الدينية القروسية (٦) ثم لما

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٤

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٥

(٣) البلاذري ص ١٧٣

(٤) سورة البقرة عملاً ٧٨، ٧٩

تعلبت تعاليم هذه الفئة أصبح كل من من اليهود يتقرب بقلب حار^(١) ولذلك
كان الاحبار موضع الاحترام العظيم كما ينص كتاب من قصة لابن هشام^(٢) قال
عبد الله بن سلام قد دخل رسول الله في بعض بيوتهم ودخل غيبه بعض اليهود
وكلوه ثم قال لهم: أي رجل خضعت بن سلام فيكم قلوبا سيدنا وابن سيدنا
وحبرنا ومث^(٣)

وكان من أعمال الاحبار أن يقولوا القصص ويقصروا الناس فيما شجر بينهم
كما كانوا أصحاب الأمر والهي في كل الشؤون المدنية كما يقول القرآن الكريم
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ولا يحرم ما حرم الله ولا
يؤمنون^(٤) وكان اليهود يسمون الصلاة ثلاث مرات في كل يوم وكانت قبله
اليهود أثناء الصلاة متوجهة إلى بيت المقدس كما كانت قبله رسول الاسلام إلى
أرض حذرة لمدينة أو يحد من هذه أن رسول كان يدعو بمكة وقبله إلى
الله فكانوا يسمون صلى الله عليه وسلم النبي المكي والاسود وحمل المسكنة وأنه
وبين الله^(٥)

وقد يذكر حديث البخاري هذا القول إذ يقول رسول الله كان يقول
ما قدمه الله يذبحه يعطى قبل بيت المقدس سنة عشر أو سبعة عشر شهرا وكانت
اليهود قد أعجبهم إذ كان يعطى قبل بيت المقدس^(٦)

ويحدث ابن هشام أن يهود يثرب كانوا يدعون الناس للصلاة بالفتح في
اليوم^(٧)

(١) مسند احمد ١٠٠٠٠ ج ٢ ص ٩٩

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٩٩

(٣) صورة المائدة ٦٨

(٤) ابن هشام ج ١ ص ٢٧١ و ص ٣١٤

(٥) البخاري ج ٢ ص ١٨

(٦) ابن هشام ج ٢ ص ١٠١ البخاري ج ١ ص ١٠٦

وكان اليهود يسمعون في العسوراء. فبعث الله النبي محمد المصطفى وآله
يسومونه قتل. وهذا هو يوم صاخ هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من
عدوهم فسموه موسى قتل فذل الحق موسى منك فسموه قاتلهم بسميه وكانت
اليهود تسميه عبداً (١)



ولذا يوقن إلى أن غير بين يهود فخر والعرب من وجهة الدين والمفنية وأنه
من المنعوت أن يوفق إلى تمييز بين العاصرين من وجهة الأخلاق والعدالت
والنظم والنفائيد الاجتماعية لأن اليهود الذين سكنوا في بلاد العرب ما يبنون أن
تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بآدابهم وأعراسهم في النظم والنفائيد الاجتماعية
حتى أصبحوا كأنهم يكونوا من جنس آخر غير الجنس العربي

ولا أعلم في تاريخ اليهود القديم قلنا أثر فيه اليهود أخلاق وعبادات ونفائيد
أشبهت إلى هذا الحد سوى قديم جزيرة العرب

كان اليهود في اندحارهم ونسجهم على حد ما كان العرب لهم في جميع ذلك
وكذلك كانوا منهم في النسخ والتشبيح بغير طمعه وإكرام الشريف والذمير من
الجهن والسحل وكما يوقنون الذين في الليل ليرشدوا إلى ثوبين وليستهم إلى
العصافاة والأكبر (٢) كما كان يعمل العرب بإعلاء الترفيع وصية به محمد

ذكر ابن هشام أن حتى بن الخطيب في كتاب بن أسد القرضي قد حجب عنه
بنى قرظلة وكان قد أودع رسول الله على قومه وعنده على ذلك قد سمع كتب يحيى
ابن الخطيب اتفاق مؤلفه باب حصه وسمه أن عليه فأنى أن يسمع له فذلك حتى
أفتح إلى كلمت فله أن يفعل فله أن يخلق الخصال دوى ولا تخوفت

(١) البخارى جزء ١ ص ٢٩٨

(٢) الواقدي ص ١٧٠

حشيتك أن آكل منه فحفظ الرجل فتيمة^(١)

وكذا أن قرص الشعر كان طبيعة من طبائع العرب وسجية من سجايرهم وطريقة من أجل طرق التعبير والتفكير منهم حتى كان الفكر العربي يسترسل في القول الموروث استرسلا يستقر العقول ويأخذ بالألباب كذلك اندفع اليهود في قرص الشعر باللغة العربية ندوا قويا فجعلوا يستعملون الأبيات البديعة والقصائد المثبتة في الكرم والوفاء والشجاعة وفي وصف الدمار والحيوان وفي وصف جهل المرأة والنسب به . . . وبلاحد كان . . . كان يحرك نفس العربي ويدعو إلى قرص الشعر من شهيد ووعيد وندح ونداء ودم وهدم ووصف ونحو كان يحرك نفوس الشعراء من اليهود في الجاهلية ويدعوهم إلى أن يخوضوا فيه فيقول القمائل والشعر المذبح

يبدآن . . . ومن اليد من شعر يهود الجاهلية قليل جدا لا يعدو بضع قصائد وأبيات معتزة في شئ من كتب الأدب العربي

وهكذا أفقدنا حوادث الكاثبة كثر تلك النزوة الأدبية من أولئك اليهود الجاهلين ولم تحرك منة حتى . . . يمكن الباحث الذي قد يكون له رأي واضح عن عقليتهم وتغيير شخصياتهم بعض من بعض

يقول الساذي لما ذكرنا أنه حين : أما أثر اليهود لأدبي فاسير الفهم لأننا نعلم كيف تؤثر هذه الحركات في العقول ولا سيما عند العرب وتزيد على أثرهم العقلي أنهم كانوا بعد انتهائهم الأنفس ومحو بنسبهم يؤمنون على أدب العربي وسبب في صيغ الكثير منه وحركات الكثير . . . ويصل لما ذكرنا بعد بحث طويل إلى ثلاث نتائج خطيرة من أثر اليهود

١- أن اليهود في أدب العربي أثرا كبيرا حتى على ظهوره . . . كان بين العرب وبين اليهود

(٢) أن اليهود قتلوا كثيرا من الشمر في الدين وعباد العرب وقد أضافه

مؤلفو العرب

أن اليهود اتحلوا شعر الأثبات سابقا لهم في الجاهلية على أن شعراهم

وشعر العرب... (١)

والذي حمدي على أن أثبت بعض نظريات السلفي المذكورة عند حين

بصدد شعر اليهود الجاهلية هو :

(١) أني قد جمعت كل ما ينسب إلى شعر اليهود في الجاهلية وما أجد فيه

فرقا ظاهرا يميزه عن بقية الشعر الجاهلي في حين أن هناك فروقا شديدة لا يخفى بين

اليهود والعرب من وجهة الدين والمصلحة والنحو والأفكار (٢)

(٢) لا شك في أن لغة العبرية تركت في شعراهم آثارا ظاهرة خصوصا فيما

يتعلق بالشعر الديني (Liturac) فقد كانت اللغة العبرانية قوية في نفوس

يهود الخليل فليس منكر أن لا يوجد هناك شعر ديني يتحد بالوعية وآل موسى

وأبيده بنى سر تولى ويحيط من قيمة الأسس ويعرفهم لأن مثل هذه النوع قد

ظهر في الألب اليهودي في كل عصر من القديس

(٣) أن الذي يعمى نظره في قصائد السموال يصبح له عيبا لهم قد عبرا

عليها كثيرا من القنات والتعابير حتى لا يجد على أن حدث أن شعر القديم لهم

والحديث أو يفرق بين الصحيح والمنحرف

هذا إلى أن الأبيات القليلة التي وصلت اليه من شعر اليهود لا تكفي

لإيجاد أسماء شعرهم كما يعتقد شوا أنه قد كان هناك شعرا يهوديون ولكن

تبايع شعرهم وما بقي لهم من الأسماء كأنهم صمدى . كانت لهم من شعيرة

وبعد صوت أن هذا

(١) مجلة الجامعة المصرية سنة ١٩٣٠ من ٢٨ من العدد الأول

(٤) إذا كان العرب أنفسهم - يستقيموا أن يحفظوا على شعربهم وأجدادهم مع أنهم ظهروا كانوا عليه - بعضهم حتى سوى غير العقيدة فبقيت لهم لغتهم ونفائسهم فكيف كان من الممكن أن تحفظ بشعرا أمة غلبت على أمورها حتى في منها من فني وهدم منها من قدركم أن يعيش ولكن في غير البلاد التي نشأ فيها، وأما أن اليهود ومنعت من شعربهم لروحانية ولا يبق لهم ذكر في البلاد العربية

ليس من السهل النكار وجود شعرب من اليهود في الجاهلية فقد انشرك اليهود مع العرب في جميع ما ألفي حيوية في جزيرة العربيه من الفقهانية وسياسية فبعد كل البعد ألا يشركوا معهم في التهمة الذكورية والشعرية

ووجود علاقة دموية مبيحة بين اليهود والناس بنيت شعربك الصغير من في الفرقة الشعرية والناس كانت مملوءة في القدس يهودية فقامت فيها قبل أن يكون اليهود في الحجاز والعرب، وقد انفقوا لهم وخدموا العرب وتحفظوا بها فقامت هذه الفرقة القبطية وأهملت ثم تمت ثم هذه الشهي من من يهود البحر العربي لا نجولا ونكلاء

وعندى من العرب في فقه وفضل اليد من شعرب اليهود في الجاهلية ومن أمثالهم شعربهم يرجع إلى ضعف فساد اليهود على أشد في الإسلام ولمدى إحقاق على القليل الذي وصل إليه هم اليهود حين غلبوا للإسلام ومن السهل منهم تحفيدة لما كان لأجدادهم من عهد قبيل وأخرى عظيم

وقد نجدهم أنه لم يسل بعض لأفاد من جزيرة السمرقند، وصل اليد من شعرب كثير ولا قبيل ولا متعة حتى ولا يمتد

ويظهر أن شعرب اليهود الذين وصل ذكرهم اليد كاه يعيشون في القرن السادس ب. م. فأدرك بعضهم العصر الإسلامي

ولم تعرف منه من هو أعظم شهرة وأبعد مديناً من السموات من عديده الذي
يشعر الله بأن اسمه يجري دغم ما وجد عند بعض الأدباء. الأقدمين من الباب
الذي أثبت أن هناك صلة بينه وبين بعض الأسماء العربية وقد وجدوا هذا الاسم
في العربية معاني مختلفة فهو اسم لعذارى يركى أو مرأ وهو أيضاً الظل وذهب النخل
المسري^(١)

ولا تعرف من ترجمة حبه سوى الغزو اليسير
وقال صاحب الأغاني^(٢) من يخرّب^(٣) وكان صاحب ليلها التي عرفت بأنها
اليهودية وعلمها حصصه الأملق الفرد يشرف على ليلها بين حجب والده على رية
من تراب فيه آثار أبيه من أين لا تدل على ما يحكى عنه من عظمة وحفنة
وهي خراب^(٤)

وأما الألب الذي طلع ديوان السموات حسب رواية أبي عبد الله فهو يهله
بسم شرباب في السموات ذلك أنه يزعم أن السموات كان يصرّياً ويسند في دغمه
على ما يأتي

(١) أن السموات كان حسب أبي الحسن وغسان كانت مصرانية
(٢) في بعض أبيات حسب قدماء دكتور السيد المسيح وخوارزم
أما هذه الأبيات التي سمعت من ألب شيوخ وهي : جاء في ديوان الخمسة
لأبي تيم في آخر الألفية المشهورة للسموات

فإن يني لألب قطب قومه
مور وحدهم حوض ونجول

وكان هو تدوين كما وضع لألب شيوخ من نصارى نجر^(٥)

(١) فقه في الفج من ٧ م ٢٨٢ وأما ديوان السموات على الألب شيوخ من ٢

(٢) جزء ٦ من ٨٢

(٣) معجم البلدان لياقوت جزء ٦٥٣

(٤) راجع مقدمة الألب شيوخ لديوان السموات

لكن التبريزي يقول في شرحه هذا البيت انه لعبد لله الخاقاني لا للسموات^(١)
... وقيل ان تعرض لزارعهم لأن يحيوا أريد أن يمدح فيه غير انه المدينية اذ
هي التي كانت تدفع الأكرنة على ضعه ديوان السموات وجمعه كان، فله العرب
في شعوره المختلفة عن السموات وهي التي دفعته في أن يمدح بجهودها عظمها في
سبيل افهرو ديوان السموات مقرونة بالشرح المفصل والملاحظات السديدة

وهو يثقف لراعيه تقديراً عند هذا الحد بل حمته على أن يمدح بجهودها
شديداً آخر في سبيل جمع أنه، أشدب شعراء بحرية في مؤلف واحد وانظمها
نظمها بديعاً وتشرح، فممن من كلفت غاية كجاء، والشعراء لا فرج في هذا
الموضوع وقد اختلف على هذا السمر القليل اسم شعراء النصارائية بالرغم من
أن الحقيقة التاريخية لا تسمح له بهذه التسمية

ولكنه وقد بقي عن السموات أن يكون يهودياً بالرغم من أنه يثبت أحد
في يهودية السموات فيس شجيباً أنه أن يدعى أن جميع الشعراء الذين جمع شعوره
في سفره باسموا لا مسيحيين

أما من جهة به فلما تذكر ولا سميه لأن عدم العرب قد اختلفوا في
اسم هذا الشاعر اختلافاً كثيراً وربما لأن في يقول في موضع أنه السموات من
عديرة^(٢) إذا به في موضع آخر يقول: أن غريباً يهودي هو السموات من عديرة^(٣)
وإنما المؤيد في في قوله يقول: السموات من عديرة^(٤) إذا به
العروس يقول انه السموات من بقي من عديرة^(٥) أو ش. بعد ذلك مع هذا التفسير

(١) ديوان الحماسة لأبي تمامه الجزء ١ من ٢

(٢) الأغانى جزء ١٩ من ١٩

(٣) الأغانى جزء ٣ من ١٢

(٤) أمثال الأغانى جزء ٣ من ٢٧٦ طبع مصر

(٥) تاج العروس طبع مصر جزء ٧ من ٢٨٢

يقول انه ولد الكاهن هرون بن عمران ^(١) ويطعنوا يقولون ان قبيلته غسان اذا
بغيرهم يقولون انه فقط التي كانت من غسان
ونحن ان هذا لاختلاف والاضطراب في نسب السموات لا يستطيع ان
اعطين الى رأى

الكن سوا صرح ان السموات كان من غسان أو ما يصح فليس يدل ذلك على
انه كان قسراً انما بل ليس يدعى لشك في صحته ما يجمع عليه المؤرخون من انه كان
يهودياً ومن ذلك ان لا يستطيع ان ياتي يهودا فوقع على ان كل بطون غسان
كانت قد انصهرت بل المرجح ان البطون الغسانية التي ما تذهب الى حدود الشام
افريت على وثايقهم وان هناك بعضاً من بطون غسان كانت حرة من ابيهم ومدينة
ينرب ^(٢)

ومهم يكن من متى فليس يصح لعلنا نحقق ان اسناد يدين بعض بطون
قبيلة واحدة على دين كل بطون فليس من شك في انه كانت هناك قبائل يدين
بطونهم بعددات مختلفة

ومن المحبب ان تلاب الخثرة لا ينكر ان سمية من عرب بني نضال السموات
صاحبت حصن نبال اليهودية كان يهودياً فكيف ينكر يهودية الأخ لاخر
والذي قبه عن بطون غسان أيضاً عن آل بني حنون الكندي خفيف
اليه ان الاسم ه حرس على العمود كان من الاسماء المشهورة عند اليهود فكانت
كل الاسماء التي تعبر اسمهم كز القصة النمر في عند اليهود تعرف باسم آل
ديان ^(٣) فمن المحتمل ان السموات الذي كان يدين على قومه بعض المؤرخين
في الكهان كان وانه لم بعض اجدده حاكم قريشياً فاعطى على الاسرة
اسم ديان

(١) مذهب التفسير ص ١٠٠ جزء ١ ص ١٣٦

(٢) الاعراب جزء ١٩ ص ٩٥

الكتاب
الذي
هو
الذي
هو

باسم يعقوب القوي فضلا من الزمان
في ولا يحرم الضعيف الشحيث
بل لكل من رزقه مفضي
و ان حرا نطفه المستميت (١)

ويظهر من الآيات الفاضلة يقع بزعمه وصف اليه قوله ه وحمل فحصل
الخطاب في هذا بقول من أن السموات كان من إحدى ثلاث الشيع بالخامة بين
عدائ اليهود وشهداء النصرانية التي عبرت لأردن وقت حصار الزور لاه ووشليم
فكانت في بلاد العرب (١)

ويظهر من كلامه هذا أنه غير عايد بتاريخ اليهود في صدر النصرانية فن هذا
حدث فيه أنه وجدت ما ثقة يهودية نصرانية في مدى أمرها في الخين الذي كانت
فيه النصرانية دسوة يهودية بحنة وكان النصراني شيعه من شيع اليهود وقد فنت
هذه الفئة بعد أن أخذت النصرانية تنتشر بين اليونان والسريون وما يقى للعائنة
اليهودية النصرانية (secte juive-chrétienne) ذكر في القرن الثالث ب.م.
وليس له مراجع تاريخية أثبت وجود ما ثقة يهودية نصرانية منفردة في الجزيرة
العربية . . . وعلى العموم فإن ديوان السمود المخطوطة مجموعة من الشعر الفطحي
والقبلي والسمين والغث النحيف قرأه مختلفه من شاعر منين إلى آخر سحيف
ومن شاعر مضبوط إلى آخر متكلف وأظلم من زور مدسوس على السمود
أما الفصيحة اللامية التي أوجها :

إذا المرء لم يدنس من التؤم عرضه فكل وداه برنديه جميل

لو كان ذلك لغتهم لكان للكثير وأن كان يسمى أن تقول أنهم يقولون الله ه في بعض الحروف . .

(١) ديوان السمود المخطوطة طبع الآب شبحو من ١٤

(٢) ديوان السمود المخطوطة طبع الآب شبحو من *

والتي يقول عنهم صاحب كتاب الغرر أنها تشمل على مكافرة الأخلاق من
سباحة وشدة علة وتواضع وحج وصبر وتكاف وحملات للمكافرة...^(١) هذه الالامية
التي خللت اسم السموم ذهبت فيها أقوال الأدباء مذهب شتى حتى أن الأغني
يقف إزاءه موقف حائر المضطرب فيقول: "أما شرح بن السموم"^(٢)
ويقول مرة أخرى: "أما السموم" نفسه وينسب في موضع ثالث إلى غير معروف
عنه دكين العذري (١) (٢)

ولاشك أن الاختلاف في قول الأغني شتى من تعدد الروايات التي كانت
أسماء وكذلك اختلاف الروايات في نقل القصيدة لاختلاف كبير فمنهم من يقدم
بعض أبياتها على بعض ومن يحكم على الآخر ومنهم من يزيده فيها ومن
ينقص^(٣) فهذه الاختلافات في نسب مؤلف القصيدة وهذه التصرفات المتباينة
في ترتيب أبياتها تخرج حقا أربعة في نفس الساحت في محبة لسموم لسموم
والذي يعرف القصيدة القديمة المنسوبة لسموم في كتاب طبقات الشعراء
لابن سلام الخمي^(٤) الذي يعتبر في جملة شعر الجاهلية نظراً لتقديمه وسلامه
ذوقه ودقة تقديمه بأحده العجب حين لا يجد لسموم إلا أبياتاً قليلة مع عدم
تقديم ابن سلام على وجود أبيات أخرى لسموم

وقد جاء ابن سلام بـقصيدة لشعبة بن غريش^(٥) وإنما نسب ابن سلام في شرحه
رسالة ابن زيدون^(٦) نفس هذه القصيدة لسموم وهي القصيدة التي مطلعها:

(١) راجع ديوان السموم ص ٢٨

(٢) الأغني جزء ٦ ص ٦٧

(٣) الأغني جزء ٨ ص ١٥٥

(٤) ديوان السموم ص ٢٩ — ٣٧

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام الخمي ص ١٠٩ — ١١٤

(٦) طبقات الشعراء ص ١١٩

(٧) شرح ابن سلام رسالة ابن زيدون ص ٥٤

يا ليت شعري حين نكتب هذا ما نرى في قوله تعالى...

والله اعلم بالصواب

وفيت بغيره على الكندي في قوله...

وأوحى بغيره يوماً...

في في بغيره...

ولقد قيل في شعر السوء...

بقية يهود الجاهلية...

الينا عن يهود الجاهلية

والشخصية النادرة بعد السوء...

أصحاب النبوة والبطش بالسيف...

أيضاً وقد كان عربياً...

التفسير وقد توفي أبوهم...

وكان شاعراً فاسماً...

بين الأوس والخزرج...

أصحبه فبعث النبي...

وأما الآيات التي...

تشتمل على وصف دقيق...

كان مبدئاً في أسو به...

رُبَّ خَبْرٍ لِي لَوْ تَجَسَّعْتَهُ...

لَيْنَ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ...

وَلَمَّا بَرَزَ رَوَاهُ جَعَلَهُ...

(١) الأغانى جزء ١٩ ص ٩٩

(٢) الأغانى ج ١٩ ص ١٠٦

ونحنيل في قلاع بجة تخرج التمر كمثل الأكف

وحرير في رحال حاة آخر الليل أهزج يحيدف^(١)

وقد نسب إليه ابن هشام قصيدة في رثاء قتلى يوم بدر من سراة وعظما

مكة

طلعت رحي بدر لمفك أنه وشمل بدر تسمل الأدمع

فناث سراة الدس حول حريفه لا تبهوا من لمعة تحسرها^(٢)

ومع أنهم تلازم لفظة السبسية التي كان عليها كعب بن الأشرف وبقية
فريش بعد يوم بدر ونحنيل أن قولها كان كعب بن الأشرف فك الحق أيضاً
أن نثك في محنته إذ لا يمكن على الإطلاق الاعتماد على كل ما سرد في كتاب
السيرة فكثيراً ما نعثر فريش على قصائد موبة ينسبهم ابن هشام لبعضهم
حين تدل لغتهم على أن فريش من فريش فكيف يمكن أن اتفق بأبنته هذه
القصيدة التي كعب بن الأشرف . . . على أن لا ساد الشيخ عبد الوهب النجار
يقول إن وجود شعر منسوب إلى حميريين أو قصائد من لغة مفر لا يقتضي أن
يكون موزعه في السيرة وقد نعلم عن فريش وجهه عليه شكناً وإن كان المنسوب
إليه جاهلياً

ذلك أن اللغة القسرية قد فصحمت على ألسنة أهل اليمن موطنهم وتغلطت
في أحسنها وآية ذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد وفدت عليه وفود
قبائل اليمن التي صيرته والمدنية ولم يكونوا يحدجون في مخاضهم رسول الله وحوارهم
له ولا محاضيه التي ترجحهم يقولونهم الضميرين من الله في التي يريد كل
فريق أن يلتقيها في الآخر وهذا على عليه السلام وهذا رضي الله عنه أوساها
رسول الله إلى اليمن ولم يحدج إلى مترجم بترجم لكل منهي كلام من أوساها

(١) طبقات الشعراء ص ١١٠

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٨

اليهم . وهذا كما قلت دليل على أن المغنمية قد سادت لغات العرب قبل الإسلام وصارت من القوم بحيث لا يستكبر مستكبر أن يقول بها الخيري أو القحطاني شعرة الذي يريد أن يذيعه بين العرب . . . اهـ

ثم إن هناك لغة أخرى بلغت عندها وهو سيرة الغريزية التي ينسب اليها شعري رثاء قومها بعد أن قتل أبو جيلة أشرف اليهود حيث تقول

بنفسى أمة ما تقن شائبا بنى حراض تعقيمها الرباح
سكوه من قريظة أئامهم سيوف الخورجيمة والرماح
رؤسها وزريرة ذات نقال ير لأهلهما الماء القراح
ولو أنزلوا بأمرهم حداث هذا لك دونهم جأوى وكأخ^(١)

ولو صححت هذه الرواية لكان من الممكن أن نعدل بها على أن المرأة اليهودية كانت تشترك شعرا كما عاين في جند زريق لأسرتها من ناحية وفي نمو القوى العقلية من ناحية أخرى

وإس ذلك بخير على العدة الأمر لبيئة يوجهه في جميع أدوار تربية أمتها إذ قد ظهر من الجنس لطائف اليهودية المباشرة والشعرات والبطالات والملكات

(١) الآثار جزء ١٩ ص ٩٦

الباب الثاني

ظهور اليهودية في بلاد اليمن

أشار انتشار اليهودية في بلاد اليمن — اضطراب أقوال المؤرخين في هذا الباب —
 العوائل الدينية والسياسية لظهور اليهودية في بلاد اليمن — مطامع الدول الرومانية الشرقية
 و بلاد اليمن — فبدأ انتشرت اليهودية في بلاد اليمن — وقت ظهور اليهودية في اليمن —
 آراء المؤرخين — رأى المؤلف — أقوال مؤرخي العرب في عهد عبد الله بن مسعود — أرى
 اعتناقهم اليهودية — رأى ابن هشام والطبري — قول مسعود بن عبد الله بن مسعود — يوسف بن
 نوح — حياته يذكروا ابن هشام — مسعود بن عبد الله بن مسعود — مسعود بن عبد الله بن مسعود —
 فذكر القرآن الكريم الثاني عشر — مسعود بن عبد الله بن مسعود — مسعود بن عبد الله بن مسعود —
 اليمن — لفهم الحشمة مطامع الدولة الرومانية الشرقية في بلاد العرب — فذكر — فذكر —
 هزيمة الدولة الحورية في فوس اليهود

بعد أن بينا الأسباب التي أدت إلى انتشار الديانة اليهودية في شمال بلاد
 الحجاز نريد أن نوضح العوائل الأخرى التي دعت إلى ظهور الدين اليهودي في
 بلاد اليمن

لم تعتمد الديانة اليهودية في بلاد اليمن على العصبية اليهودية كما كان شأنها في
 البلاد الحجازية لأن العصبية النخبة التي كانت أعز هذه المدن الجديد في
 اليمن كانت من سكان البلاد الأصليون

وقد اضطرت أقوال المؤرخين في أسباب ظهور الديانة اليهودية في اليمن
 إلى حير فضائفة منهم ترى أن ظهوره كان نتيجة لضعف عطف وقع بين اليهودية
 والنصرانية فحكمت فيه الأولى من أن تغلب على الأخرى في بادئ الأمر ومن

هذه الطائفة العدا (Gractz Wellhausen Halevy)

١٤ وطائفة أخرى تعترف بأن التعامل الذي أثار ظاهراً ولكنهما ترجيح أن
المبائن الأصلي المتأخر سياسي قبل كل شيء. ومن هذه الطائفة العدان
(Glaser Winkler) وهذا البعث الأصلي الذي تراه الطائفة الأخيرة هو أن
ملوك الدولة الرومانية الشرقية بعد أن فرغوا من أمر الأقباط الجورقة للحريرة
العربية تذهبوا لهم أطرافاً إلى أملاكهم فسكروا لتخليد هذا الغرض طريقة
سياسية محكمة حيث أرسلوا وفوداً من الرهبان إلى تلك البلاد وأمرهم أن يبنوا
الكنائس المسيحية بين أهل حضر والبادية من جهة ويهدوا الأفكار والنفوس لقبول
التسلط السياسي الروماني من جهة أخرى فهدأ به ملك حبيب هذه الحيل وأدركوا
ما يتعرض له كنائسهم السياسي من الخطر الشديد بسببهم. فهدأوا لأحيائها وفكروا
في أمضى الأسس التي تمكنهم من القضاء عليهم فهدأ فكرهم إلى أن يعتقدوا
الديانة اليهودية إلى دينا توحيداً بدين توحيد آخر

وقد أمدب ملك حبيب في هذه المعركة كل لاصية لأن اعتداهم لليهودية
قضى على كل النجح التي كان ملك الدولة الرومانية الشرقية يعتمدون عليها في
الترويج لمدعوتهم السياسية واقطعت الوسائل التي كانوا يتوسلون بها للتأثير في
عقول أفراد الشعب وهدأهم

على أن هناك عمليتين أخريين ظهور السياسة اليهودية في بلاد اليمن لم يصرح
بهما المؤرخون :

الأولى : أن ملك حبيب لم يخطوا على أنفسهم من اعتد في اليهودية أن تسلط
عليهم دولة ذات سلطان كبير وفوق واسع ولا يكن لليهودية في ذلك العصر دولة
سياسية في حين أن النصرانية كانت تعتمد على الدولة الرومانية الشرقية القائمة
في فتح بلادهم

ومن هنا فهم السر في مقاومة الرهبان واضطهاد أهل نجران والنفور من

المسيحيين لانهم جميعاً كانوا آله في أيدي البدو من ملوك قسطنطينية
التي : — وله أثر كبير في انتشار اليهودية في بلاد الخين — وهو أن تعاليم
المدينة اليهودية ومبادئها أقرب إلى عقيدة العرب من العقيدة المسيحية التي كانت
تستمد يومئذ بعض تعاليمها من الفلسفة اليونانية

ومع أنه كان هناك في شمال الجزيرة قبائل عربية اعتنقت المدينة المسيحية
فإن اعتقاد أن النصرانية كما كان اليونان وغيرهم يفهمونها لا تغلب في وقت ما
على النفوس العربية بدليل أن البطون العربية المسيحية دخلت في الدين الاسلامي
بعد انصافهم بجيوش الخلفاء الراشدين بلا كبير مقاومة في حين كان اليهود في شمال
الجزيرة وجدوهم يندفعون على المدينة اليهودية دفعاً شريعاً ، فبقا لكون جيوش
الخليفة في اليمن قتلاً شديداً رغم ما كانت عليه هذه الجيوش من قوة الناس
وكثرة العدد الذين بواسطتهم فقط استطاعت أن تظهر على اليهود وأن تفرقهم
وتفرقهم

كذلك لا يلزم اليهود دعوة رسول الاسلام ولا ينقص من قيمة هذه الحقيقة
أن أفراداً من اليهود دخلوا في دين النبي محمد وولايته
ويؤكد هذه الحقيقة ما جاء في التاريخ حيث قال : لو آمن في شجرة من
اليهود لآمن في اليهود (١)

وتاريخ ظهور اليهودية في بلاد حمير موضع جدل عسير بين علماء الأفرنج
حتى الآن

فيقررو المستشرق (Doencke) وهو من علماء القرن الثامن عشر أن دولة
حمير اليهودية ظهرت في القرن الأول ق . م .

ولكن العلماء يعارضون في هذا الرأي ويقولون أنه لو صح هذا الخدس لكان

يوسف المؤرخ اليهودي قد تكلم عن هذه الدولة اليهودية كما ذكر ظهور دولة
آرامية مشهودة على أطراف نهر الفرات النابتة عن فلسطين وهي دولة حمّيب^(١)
ويقرر العامة (Silvester de Sacy) في كتابه^(٢) أن ظهور اليهودية في
البحر في صيق القرن الثاني ب . م . ولكن المؤرخ اليهودي شيفر يذكر صحة هذا
الرأي ويقول لم وجدت هناك دولة يهودية في القرن الثاني بعد الميلاد لكن اليهود
يأخذون صيغ غير قديمة يذكر أخبارهم ويرد لأساطيرهم فحكوت اليهود عن
هذه الظاهرة التاريخية أعظم دليل على عدم وجودهم في قرون ثانية^(٣) (ختام
اليهود في القرن الرابع بعد الميلاد)

ثم حكوت في الخلافة لأسيرة الفرنسية^(٤) دولة قديمة تقص فيها العديرون
(Peron) جميع الظريات من ذكرنا ويقول أن دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا
في القرن الخامس بعد الميلاد ويستدل به ذكره الطبري في هذا الشأن ويقول
أن أحيحة الذي قال أن ابن سعد أني كرب ملك حمير ومالك المدعوة اليهودية
طلق زوجته فذهب إلى مكة حيث تزوجت من هاشم أني عمه فأنجاب جده
الذي محمد وهذا يدل على أن هؤلاء أبناء ابن سعد لا هم بل ينسب لهم كانت حواشي
نهاية القرن الخامس ب . م .

ثم ما ذكره الطبري من أنه كان قبوت شمس بنون ثلاثة حسن وعمر و
وذرعة، وذرعة هذا على حسب رواية ابن هشام هو ذو نواس آخر ملوك حمير

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ١٩٢

(٢) Mémoires sur divers événements de l'histoire des Arabes avant Mahomet.

(٣) Graetz ج ٣ ص ١٠٥

(٤) Journal asiatique 1838 Novembre p 368 (Sur l'introduction de judaïsme au Yémen.)

والذي لا يمكن بوجه من الوجود أن تكون هذه الدولة قد عاشت قبل القرن الخامس ب . م .

لا شك أن حجة بيرون (Perron) أمين وأصح من نظريات غيره ممن ذكرناهم بيد أن هذه الحجة لا تنتج الجزء القاطع لأننا مبنية على أقوال ليست محل ثقة عامة لأن هناك شكاً في بعض الحوادث التاريخية التي ذكرناها

أما أنا فأرجح أن ظهور اليهودية في بلاد اليمن قد حدث قبل أن يأسس أحد من الصوب أن تنسب بأن قبلاً واحداً يستطيع أن يرغم قبلاً كبيراً على اعتناق دين جديد دون أن يحدث ذلك وساد غيرة وأن غده وجود معارضة الدين اليهودي ليدل على أنه كان هناك نفوس من ذوي النفوذ السياسي صمخوا الديانة اليهودية النوحية أن تنسب إلى اليمن ونزكوها شيئاً قديماً أو ساعدوا على انتشارها بين الشعب من قبل أن يعلن أن يأسس لهم مدينتين في البلاد على أن تقول أن يكون اليهود قد وجدوا في تلك الأجزاء منذ أزمان بعيدة إذ لا يمكن أن يكون اليهود انتشروا في بلاد اليمن في حين لا يكون منهم أحد في بلاد اليمن لا سيما وعدد كبير من اليهود تجار دهم التنقل ولا يتحول لبادل البصالح في مختلف البلدان فلا يمكن أن تكون هناك جموع يهودية قد وصلت إلى تغور اليمن وحضر موت ثم توجهت إلى تلك البلاد شيئاً قديماً

ويقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار إن علاقة اليهود باليمن قديمة جداً يرجع تاريخها إلى أيام ملك سليمان بن داود فقد جاء في سفر الملوك الأول في الإصحاح العاشر آية (١) من نصه (وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتحننه بمسائل . فأتت إلى اورشليم بموكب عظيم وكلمته بكامل ما في قلبها إلى آخر ذلك الإصحاح — والإصحاح التاسع من أخبار لايم الثاني من آية (١) إلى آية (١٢) مثل عبارة أخبار الملوك الأول هناك تكون أحاديث منقولة من الأخرى وكلها في وصف سليمان وحكمته وانهدهش ملكة سبأ منه وتقدمها إليه الهدايا

والنصف التي أنت بهب من بلادها وثبتها على سليمان وإله سليمان ثم عودتها
إلى بلادها — وقد وردت قصة سليمان مع ملكة سبأ في سورة النمل وهي
السورة السابعة والعشرون من القرآن من أول الآية العشرين إلى آخر الآية
الرابعة والأربعين ومما جاء فيها حكاية قول الملكة اتوبوا عن كذاب سليمان
وقالت يا أيها الملك لا تأتني فاني في كذاب كرم إله من سليمان وإله يسم الله
الرحمن الرحيم لا تأتوا على وأنوني مسلمين . قالت يا أيها الملك اتوبوني في أمرى
ما كنت فطنة ثم أتعنى تشهدون . قلوا نحن نؤوفية وأنولو دس شديد والأمر
الك فافظري ماذا أقرين . قالت إن فلك إذا دخلوا قرية فسدوها وجعلوا أفرة
أهلها أدلة وكذلك يفعلون وإلى مرسله أتوا بهدية فداخلة بهم يرجع إلى سليمان
ومنها (فمجدت قبل أنكم شريك قالت كأنه هو وأتوا بها العز من قبل وكنا
مسلمين) ومنهم (قبل لما دخل العرش ففأرأته حبيته حقة وكشفت عن ساقها
قل إنه صريح ثم رد من قوارير قالت رب في خلعت مدني وأسلمت مع سليمان لله
رب العالمين)

وأخبرني السيد محمد من سبيل من سبيل أن الملكة التي قرأت في تاريخ الحمدي
من نحو خمسين سنة أن اليهود حين ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حضرموت وكان مقدمه بذلك الدواحي التي حروج الخائن من اليمن — اهـ . . .
وقد أثبت العلم جازر (Cilaser) وجود اليهود في اليمن وحضرموت منذ
عصور كثيرة قبل ظهور الإسلام وأن هؤلاء اليهود هم الذين أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
النفوس والمعهدوه حتى أخرجهم ثم أخصت حضرموت وظهور اليمن عند قبيل أوعدة
أقبل لا اعتناق اليهودية كما اعتنقت بطون عربية المديانة المسيحية بسبب نفوذ
الزهاد والانتشار الدعوة اليها تدريجاً وقد كانت هناك جموع من العرب اليهودية
وهي بطون كنانة وبني النضر بن كعب وبني كندة سكنوا جميعاً بحوار مكة (١)

(١) Wüstenfeld من ٢٠٩ عن ابن قتيبة من ٣ من ٤٠٤ Graetz

وقد يكون في حكم الممكن انه بعد ان قتل تبيان أسعد واجماً من يقرب جمع
الاقبال اليهودية وكون فيها دولة حورية يهودية أحد محوم الدولة الحبشية بمسد
السبيل في وجه مظاهمه. وشتم انتك التصرافية التي كان ملك الروم يوساكون بها
الى تنفيذ مظاهمه الاستعمارية

• • •

ثم ما ربحوا العرب فيكون بقية طويلا شير الى جانب من لا يربوا لظهور
الدولة اليهودية في الجين

يقول الطاهري كان تبيان أسعد حين قبال من التبريد جعل طريقة على المدينة
وقد كان حين من به في إنشائه خلف بين أظهرهم إنشائه قبال غيلة آتاه وهو
جمع على تخريبها واستئصال كافة أهلها وفتح لفتح غير من مسكن المدينة كانوا
يقاوتونه بالهز ويقرؤنه بالقبال فأنجبه ذلك منهم فبينما هو على ذلك من حربه لم
أجد من حيرت من أحد اليهود من بني قريظة فالتفت واسعد حين معطما
يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقال له أيها الملك لا تفعل فإني أبيت إلا
ما تريد حيل يدك ويدهم وما آمن غايك على العقوبة لأن يقرب مناجرتي
يخرج من هذه البلدة من قريش في آخر الزمان فتداهي عده ذلك الذي سمع من
قولها فما كان يريد بالمدينة ويرأى أن لم يمشأ وأنجبه وسمع منه فاعترف عن
المدينة وخرج يده الى الجين وأتبعه على ديهه (١)

وكذلك يروي هذه القصة صاحب السيرة النبوية وغيره من بقية مؤرخي
العرب دون أن يربوا شيئاً

بعد ذلك يقول الطاهري : لما توجه تبيان أسعد الى الجين مع جنوده حدثت
حير بينه وبين دخوله الى بلاده وقلوا لا تدخلها وقد فارت دينه فذهبهم الى
دينه وقال انه دين خير من دينكم قلوا فما كس الى المار فوافق الملك وكانت الجين

(١) نقل بتصريف من كتاب الآم والفتوح الطاهري جزء ٢ ص ٢٤

نار تحمّل بينهم فيما يختلفون فيه في كل الظالم ولا تضر المظلوم وما قبلوا ذلك لبیان
 قلبه أنصفه فخرج قومهم بأولادهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما
 حتى قصدوا قصر غنم فخرجوا الذي تخرج منه فخرجت إليهم فلما أقبلت نحوهم
 جادوا غنم وهربوا فمات منهم من حفرهم من الدمار وأمرهم بالعبور فصبروا حتى
 غشيتهم وأكالت الألوان وخرج الخبران بعد حفرهم في أعناقهما حتى جباههما لم
 تضرهما فقصفت حجر عند ذلك وعند ذلك كان أصل اليهودية بلعن . . . (١)
 ولكني أقبل إلى انكار صحة هذه القصة بقض الظرف عن أنها خرافة لأن
 الأمم لا تبدل أدينتهم كما تبدل الأفرقة لغيرها بل أن التغييرات السياسية والتجارية
 إنما تحصل لما يتغير بهي. والغالب على مندرج في برهة طويلة مستمرة وما
 بالشدة العظيمة لهذه التغيير مرة واحدة وبشيء شديد مرة واحدة أيضاً . . .
 والذي يصفه عن حسن بن حسن أسعد بن كعب هو أنه سار بهل اليمن يريد
 أن يظا بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق
 كرهت حبيب المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فكانوا إنما له يقول له عمرو
 وكان معه في بيته فقال له أقبل فحك حسن ونكك عليه وترجع بنا إلى بلادنا
 فجابهم فاجتمعوا على ذلك لا دارعين الحوري فنه لهم عن ذلك فلم يقبل منه
 فقال دورعين

ألا من بشرى مهراً بنوه سعيد من بيت فرير عيل
 فما حير غدرت وخانت فعدرة لاله لدى رعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرو فقال له ضع لي هذا الكتاب
 عندك فقبل ثم قال عمرو أخذ حسن ورجع من معه إلى اليمن فله قول عمرو بن
 لبنان منع منه النوم وسط شايه المسير فله أجبه ذلك سائل الأضواء والخزائن

من السكان والعراقيين عما به قتل له قاتل منهم انه والله قد قتل رجل قط اخذ
بغير على مثل ما قتلته اذ لم عليه لا ذهب لومه وسطا عليه البحر فلما قيل له
ذلك جعل يقتل كل من امره بقتل حبيبه حسن من عراق لعين حتى خلاص
الذي رعين قتل له ذواتين من في شدة بركة قتل به هي قول الكتب الذي
دفعت اليك فخرجت في فيه اليك فبركة ودفعت فخرج امره عند
ذلك وفارقوا قوايا عليه رجل من حبيبه ما يمكن من بيوت المسلمين يقال له
الخليفة يوسف قتل خبرهم ودفعت بيوت اهل المسلمين الى ان قتل عليه
ذريته ذو نواس ابن ابي اسود اخى حسن وكان من بين قتل حسن ثم نسب
خاتماً جيلاً في هيئة وعقل

ويكفي ان استخرج من هذه الخرافات ان لو هن والهدف لغز على الدولة
بعد موت ابن اسود في كرب وبول موجدات الكرية والحسد والافس قد
فشت بين امرائهم الاميرة النكة وفتح شال ثمة بولت ففهم وصحى الاضطراب
فلمبوا دورهم بالان وتوج

ولا نعلم مبلغ تأثير هذه الفتن والاضطرابات على دين الدولة ولا كانت
تورة طبيعة يرف ونجوة الى الاميرة النكة فقط وكانت العكس من جهة أيضاً
الى هذه كمن اليهودية في عين قون جميع تلك في العربية ما تفسر قتل الشابة الى
شي من هذا

والكنا مع ذلك نقول ان توحيد ان يكون الثوار قد رموا بنورهم أيضاً
الى هذه اليهودية إذ لا بد من آفة يستعملون فتأثير في نفوس الشعب وترويج
عواطفه وخير وسيلة لذلك ان هي ان يظهروا بظهور مدافعين عن عقيدة الآباء
ولا جدار ودين البلاد الاصل لا سيما وقد كان كثيرون من الاقباليين يستبدلوا
بعد الديانة الوثنية بغيره

ومن المحتمل أن الكثرين كانوا يستمدون قواهم وأموالهم من الخراج ويرجع هذا الاحتمال من جهة في بعض المراجع اليونانية من أن نوبة وثنية تاروت ضد ذي نواس كما متوضيح ذلك فيما بعد.

وقد جاء في المصادر اليونانية كثير من الأخبار عن ذي نواس هذا كما جاء منهم الكثير أيضاً في المراجع العربية.

يعتقد العالم Perceval أن ذي نواس حكم بلاده من سنة ٤٩٠ — ٥٢٥ م.

في حين يقول شيفر إن ذي نواس ارتقى العرش سنة ٥٢٠ — ٥٣٠ م. ^(١)

ويستخرج من بحث في ترجمة حياته أنه لما يكنى أول ملك يهودي بإدريس أن نوبته كانت يهودية محضة وأنه كان في غلبته وديونه يهودياً متعمداً لمدينه لما يعمل على الانحياز وأنه قد تمكن أنه من القدرة الأمرائدية من نوبة أخفاره.

بدل علم البحث والتعقيب جهوداً كثيرة في سبيل العثور على شيء من آثار الدولة الحورية المتهودة ولكنهم لم يفتروا على شيء منها، طافاً وهذا يدل على أحد أمرين.

١) أن عرشد الدولة لم توجد من الوقت ما يكفي لأعمال العظيمة والآثار الخالدة التي ترشد الخلف وتدل لأجيال القديسة على ما كان لها من قوة بأس وعظم سلطان.

٢) أن الصعاب الخبيث الذي قضى على دولة حمير المتهودة على كل ما كان له علاقة باليهود وقضى على جميع آثار دولهم لأن التراجع الذي كان بين الحيلة ودولة حمير المتهودة لم يكن تواضعاً سياسياً فقط بل كان تواضعاً سياسياً وديناً في آن واحد ونحن نعلم أن حروب الديانة أشد هولاً من السياسة وفيه يبدل المنتصرون كل مرتخص وغالب في سبيل استئصال ثقافة المدن المقرب ومحو آثاره.

ويحدثنا ابن هشام عن حياة ذي نواس بقوله: ونسب ذو نواس يوسف فاقم

في ملكه زماناً. وبشجران بقاء من أهل دين عيسى بن مريم وهم أهل فضل واستقامة فسار اليهم ذو نواس بجوده وديته الى اليهودية فغيره بين ذلك والقتل فاختاره القتل فخذ لهم الأخدود حرق من حرق بالنار وقتل بالسيف من قتل ومثل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً^(١).

والذي يعلم أن شجران لم تكن سوى لمدة صغيرة يتكهن طند الباطنة في عدد القتلى إذ لم يكن عدد سكانها يزيد عن بضع مئات وفضلاً عن ذلك فإن ذوات نواس لم يقتل كل أهل شجران بهيكل أن هم ذكراً في أخبار صدر الاسلام^(٢) وإذن فليس من شك في أن عدد القتلى من نصارى شجران لم يتعد عشرين ألفاً بوجه من الوجوه فهي مبالغة ظاهرة بينهم أن ضلوع ذى نواس للنصارى كان غنياً جداً حتى أنه ترك آثاراً هاجت النفوس العربية في اليثبية ونامرة

وقد نجد القرآن الكريم ذكرى قتلى شجران بآيت من ذهب : قتل أصحاب الأخدود الذارذات الموقود بدم عليم فعود بهم على ما يظنون بالثومين فهدود وما أقصوا منهم إلا أن يؤمنوا بقية العزيز الخبير^(٣).

أما المصادر اليهودية فيقولون أن ما فعله ذى نواس لنصارى شجران لم تكن إلا رد فعل لاضطهاد الدولة الرومانية لليهود حيث كانت تدينهم بالأمم بواسطة عمالها في كل بلادهم باسم الذين^(٤).

بعد تلك الاضطهادات التي أصابت نصارى شجران حدث : أن أفلت منهم رجل من سبي يقال له دوس ذو قلبين على فرس له فسلط الرمل وأعجزهم فمضى على وجهه حتى أتى فيضاً بهت أزوه وسفصرد على ذى نواس وجنوده وأخبره

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٤

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٦٨

(٣) سورة البروج ٤ — ٨

(٤) Graetz جزء ٢ ص ٨٨

بما بلغ منهم قتال له بعنت بلادك من ولكن ما كتب لك الى ملك الحبشة فانه
على هذا الدين وهو اقرب الى بلادك وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره
فقدم دوس على النجاشي بكتاب قبصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر
عليهم رجلاً يقال له اريط ومعه في جندة اربعة الاشرم فركب اريط البحر حتى
تول بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثمانين واربعة الف واربون في حبر ومن أطاعه
من قبائل اليمن فمالا التي الجمال كثيرة ذو ومن وشمس . . . وما يستطاعوا القديت
أمام جيش النجاشي فتبعه دوس واربون فبحر البحر وضرب مره فخلص به فخصاصه
حتى أفضى به الى غريمه . . . (١)

على أن المؤرخ اليوناني يوحنا من مدينة القزوس يقص خبراً لم تقدمه
المراجع العربية وهو أن دومينوس النخيري قضى على تجار من اندلس الروم
وقتلهم واستولى على تجارتهم بالقسوة والظلم وبسطهم في السجون فبدأ
كل من منهم أحد ببلاد اليمن حتى انقطع جميع التجار المسيحيين من دخول بلاد
اليمن فحسبت الأسواق التجارية فحلت بالكساد وصعدت فيها الحركة سوءاً شديداً
لأن هذه الأسواق كانت تسد جميع الاقتصاد في اندلس في الخارج من
الحاصلات الزراعية والصناعات المعدنية وما يرد اليها من حاصلات البلاد
الأخرى وكانت تقوم بلاد اليمن هي بواسطة ابن الحارث وبين جميع الامصار
الشرقية والغربية فكانت أسواقها لذلك مدينة الحركة كثيرة المعروضات ولما بقي
تجار كل هذه الجهات

ما يمكن من تمكن أن يطار المسيحيون في سائر حركة أسواقهم بعين الرضى
لذلك تقدم الاندلس قبل من أقيمت اليمن لوشيين في ذي نواس وقوله ان أعمالك
القمصية سنودى الى نقل الحركة التجارية من تقود الى تقود أعدائك فحاجبه
ذو نواس بفوته إن الخوفا اليهود في بلاد الروم يفوقون ثورتاً شتى من الأهوال

والتعذيب فثنا أريد أن أكف أيدي الزوم عن إقرار الأثم ولا يراو بمعاملتي لتجاوزهم هذه المعاملة السيئة . . .

ولم يرض أيديج هذا الجواب ولم يوافق على هذه السياسة التي يرى أنها ستؤدي إلى خراب البلاد ففكر في أن يستخلص من ذي نواس فاتفق مع باقي أقبال النخين وجمع بواسطتهم جموعاً كثيرة قال بها ذي نواس حتى تغلب عليه وقتله ثم اتفق أيديج المدينة النصرانية . . .^(١)

هذه هي رواية المؤرخ اليوناني يوحنا وهي تختلف ما نلقه عن المصادر العربية من أن جيوش الخشنة هي التي قصت على دومة ذي نواس

ونحن نرجح ما يوثقه مؤرخ العربية لأن النكار غريب خبيثة تليعن غير ممكن مطلقاً نظراً لأنه قد يؤدي إلى النكار حوادث هامة أخرى حدثت في بلاد النخين والحدود بعد ذلك بزمن قريب

على أن لدينا شواهد كثيرة من قوائم جيش الروم في السرياق الذي كان يحارب في العراق ضد الجيش الفارسي أثناء وقوع حوادث النخين هذه وهو يصفها بأسلوب لا يرض مع ما جاء في كتب السيرة لابن هشام ويعرف هذا القائد باسم (Prokop) بروكوب وهذه هي شهادته . . . وقد استعد ملك الخشنة (Hilistiaus) الذي كان يقيم في دينة لمحاربة ذي نواس لأنه كان يحد الأموال من تجمع النصاريين غير أنه جاء بجيش عظيم إلى باب الهند وسن القدرة على سواحل بلاد حمير وسار ذو نواس إليه ونكسها فهزمت هزيمة منكبة وهلك^(٢)

ولست أميل إلى الرأي القائل بأن رواية المؤرخ يوحنا من مدينة أفروس مختلفة بل أفترض أنها حدثت أثناء الاضطرابات الداخلية التي حدثت بعد قتل

(١) Graetz جز ٣ ص ٤٠٤ - ٤٠٩

(٢) Graetz جز ٣ ص ٤٠٩

حسن بن تبيان أسعد أي كرب إذ قد يحتمل أن أخنيعة ينوِّف الوثني أو غيره طمع في عرش دولة حمير وحارب ملكها من ملوك وقتله وحكم البلاد بعد برهة إلى أن ثار أحد أفراد لأسرة التي كانت ملكة لذلك المقتول وأعاد النظام إلى نصابه وأخذت المياه تجري في مجراها

وهذا العرض لم يوجب صحته يؤيد بقية ما أشرنا إليه من اضطراب حبل الأمن بعد أن قتل حسن بن تبيان أسعد

ومعنى يكن من شيء فقد كانت ماضي الخبشة وجهودها عند لدولة الخيرية المتهددة بالسلاح وتم هذا التقدم على هذه الدولة فقد تهاون

وقد التحرك يوسطين ستركا فغلب في فتح اليمن لأنه أرسل أسطول مصر البحري مشحون بالرجال والأسلحة إلى الثغور اليمنية ويرجح بعض مؤرخي الأفرنج أن جيوش يوسطين كانت معروفة أن تغزو اليمن بعد أن وحش الخبشة والممكن قوات العرب فقفزت وأعلنت على حدود سورية فتمت من ذلك^(١)

بل بعد أن حدثت الخبشة شوكا لدولة الخيرية اليهودية في بلاد اليمن فتجوز نحو الوثنية تريد هذه وكان من مجهوداتها في هذا السبيل إنشاء أبرهة الكنيسة القليس المشهورة في صنعاء ليصرف اليهم حج العرب^(٢)

غير أن الفلست وهم رؤساء الديانة لم تبنه قوموا فكرته ووقفوا سدا في سبيل تحقيق غرضه فصمم أبرهة على تدمير فكرته بالقوة وخرج بجيش كبير إلى مكة يريد هذه الكعبة والخط غنمها غير أنه لم يوفق أيضا لأن جيشه انكسر انكسارا شديدا فعد منهم ما إلى اليمن كما يحدث ابن هشام وأخبار هذه الحقبة المروقة بهام القليل^(٣)

(١) Gratz جز ٣ ص ٨٨

(٢) ابن هشام جز ١ ص ٤٣

(٣) ابن هشام جز ١ ص ٤٧ - ٤٤

وقد أشار القرآن الى هذه الواقعة في سورة الفيل حيث يقول : ألم تر كيف
فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل
ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كالخسف ما كويل

وقد كان لانسكا-ار الدولة الخيرية أمام الحاشية دقة أسى شديدة في قلوب
اليهود فظهرت مع الزمن قصص كثيرة وشذوذ غريبة عن أبطال حمير، فمن
ذلك ما قيل ان حمير هؤلاء من بني اسرائيل البائدة وان هذه
الجيشوش انقلب على أمرها بل رجعت على أصلها التي دخل البلاد الرملية
والها كونا في تلك الأجزاء دوة عظيمة يظهر بطشها في البوء الذي يتاح لها
فيه النضال ويؤذي لها بخوف من المموت

وقد كانت هذه الأقاويل سبب في أن شرع جماعة من اليهود في القرون
الوسطى يرحلون الى بلاد المغرب ليبحثوا عن تلك الجيشوش التي توارثت عن
الحيون . . .

الباب الثالث

بطون يرب وعوادتها وعرفانها باليهود

بطون يرب وعوادتها وعرفانها باليهود — تتبع الكبار الدولة الخيرية في حياة اليهود
بلاد العرب — تخرج الدولة اليهودية الشرقية باليهود في بلاد العرب — معرفة بطون
الأوس والخزرج إلى موت يرب — السبعين أقول مؤرخي العرب في زمن هذه الفجرة
— نص ابن هشام — رأي صاحب الأوس — رأي لسانه العفري بك — ميل المرم
ورم من موته — آراء المستشرقين فيه — أربعة تحت العلم حلاوي في هذا الموضوع —
سوء حال الأوس والخزرج — أول من معيهم — وصف اليهودي اليهود ويطون
الأردن أثناء سيرة نوح في والده يرب — ملاب الصفه إلى عهد بني اليهود وفي الأزد
وأسياب — قصة اليهودي عن الملك القبطون — رأي مؤلفيه فيها — رأي صاحب
اللائق في من ظهور المداوة بين اليهود والعرب — من هو أبو حنيفة — ماذا راج
أبو حنيفة بخارية يرب يرب — من كان من عرافة بني يرب في الأزد وملك حسان —
الانقلاب في صحة قصة أبي حنيفة واسطوره اليهود يرب — دولة حسان والدولة الرومانية
الشرقية — الكلدان السبعين بين اليهودية والصربية في الجزيرة — يوم يرب — قصة
حوادث يوم يرب — حياة العرب في الأهلية مع نتائج يوم يرب

يقول العلماء أن النكبة الشديدة التي رأتها اليهود في بلاد حمير قد أنجحت
نتائج سيفة لم يكن في الإمكان أن تحدث لو لا هذه المواقف
وأهم هذه النتائج خمس العناصر العصرية التي كانت تعتمد على مؤازرة
الدولة الرومانية ضد المدينة اليهودية وتحركها ضد كيانها والتفصل على أصولها
ومبادئها في جميع أنحاء الجزيرة العربية وتبيح صنع القبائل العربية في أموال اليهود
ومستعمراتهم ورغبتهم في الحصول عليها والاستئثار بها

وقد كانت القبائل العربية قبل ذلك أئى في العصر الذى نمت فيه اليهودية في بلاد اليمن وانتشرت بين سكانها لا تجرؤ مطلقا سواء منها الحضرى والبدوى على أن تمس اليهود بأذى في شمال الحجاز أو نصيبهم بأذى ضرر بل بالعكس تسرب نفوذ اليهودية في ذلك الشطر من زمن بين لاغراب حتى صاروا يدخلون فيها زرافات ووحدانا ما حال بعض المستشرقين من أنصار Wustenfeld على الاعتقاد بأنه قد ظهرت في يثرب دولة يهودية لهم سلطانها السياسى حتى شمل شمال الحجاز بجمعه

ولكن الواقع أن هذا رأى مبالغ فيه وليس عندنا مصادر موثوق بها تؤيد وجود دولة يهودية في شمال الحجاز اللهم إلا إذا استندت قصة حرافية عن الفيعلون ملك يثرب^(١) وليس له في الواقع ظل من الحقيقة كما سيأتى بيانه

وتريه قبل أن نرى حوادث اليهود مع العرب في شمال الحجاز حقها من التفصيل والبيان أن توجه الأظار إلى البصوة العربية المحودة لهم وهى التى لم يأخذوها بعض الأئمة . يقول ابن هشام عن هجرة الأوس والخزرج إلى جهة يثرب : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن أنه رأى جرّادا يحفر في مسد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أراضيهم فعلم أنه لا بقاء لهم على ذلك فاعتزم على النفاذ عن اليمن فكلد قومه وتمر أسفر ولده إذا اغتلف عليه ولحمه أن يقوم إليه فيقتله ففعل ابنه ما أمره به فقتل عمرو ولا أقيم ببلد لهم وجهى فيه أسفر ولدى وعرض أمواله فقتل أشراف من أشراف اليمن اغتلموا غصبة عمرو فاستروا منه أمواله وقات الأزد لا تغلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا منه فساروا حتى نزلوا بلاد عك بجحاز بن يرتادون البلدان ثمار بينهم عك فكانت حربهم سجلا ثم ارتحلوا عنهم ففرقوا في البلدان

قتل آل جفنة الشام وتزلات الأوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرة (١) . . .
 ويتضح أن من قصة ابن هشام أن نزوح الأوس والخزرج إلى جهات يثرب
 حدث قبل سيل العرم لكن صاحب الألفي يعتقد أن خروج الأزد من اليمن
 حدث بعد سيل العرم ويقول: لما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب وهم الأزد
 قاموا منهم قتل من كان ذا بخل ممن ووطب مدن وقرية وشن فليقلب عن
 بقرات النعم فهذا اليوم يومهم وليتلقى بالي من سن فكان الذين نزحوا إذ سودة
 ثم قال ثم ومن كان ذا فقة وقتر وصير على أرومت المهر فليلقى ببعث من فكان
 الذين سكنوه خزاعة ثم قال ثم من كان منكم يريد الحمر والخير والأمر والتأخير
 والتدبير والخير فليلقى بعصري وناظر وهي من أرض الشام فكان الذين
 سكنوه غسان ثم قال ثم ومن كان منكم ذا هم بعيد وبعول شديدة وراد جديدة
 فليلقى بقصر عمان فكان الذين نزحوا إذ غلبت ثم قال ومن كان يريد الراسخات
 في الوحال والمغلات في النحل فليلقى بيثرب ذات الدحل فكان الذين سكنوها
 الأوس والخزرج . . . (٢)

وأما الأستاذ القاضي القاسري بك فيرجح الرأي الأخير لسببين

(١) لأن مذكورة البلاد عند الشمس عند مذكورة نزوح وكلاهما أمر مذكور
 جميع فيبعد جداً أن يقدم عليه شخص هو وأولاده وعشيرته مجرد خبر لا يقنع
 أملاً خصوصاً أنه سار في بلد لم يخبره

(٢) وردت هذه القصة في سورة سبأ على هذا النحو: « لقد كان لسبأ في
 مسكنهم آية جنت من بين ونبات كانوا من رزق ربهم واشكروا له بلدة طيبة
 ورب غفور فآخضوا فرسها عليهم سيل العرم وبدكهم بجناتهم جنبتين ذوائب
 آكل حطب وأثل وشيء من سدر قليل » فهذا واضح في أن سيل العرم أحياهم

(١) ابن هشام جزء ١ ص ١٢

(٢) الألفي جزء ١٩ ص ٩٥

وبدل من شكل أرضهم وهم يقيمون بها . . . (١)

والتسليم بأحدى النظريتين المفروضتين في سبب خروج بني الأزد من اليمن لا يجدي نفعا في المسئلة الجوهرية وهي تعيين زمن حدوث سيل العرم .
فإن اجماع العربية لا تأتي بشيء قليل أو كثير عن زمن وقوع هذه الحادثة الطبيعية المهمة في بلاد اليمن وكان الرأي السائد عند المستشرقين أن سيل العرم حدث في عصر قديم في القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد وكانت هناك طائفة من علماء الأفرنج تعتقد أن كل الروايات التي جاءت عن سيل العرم إنما هي خرافات وأباطيل واستمرت هذه الطائفة مقننة برأيها هذا حتى ظهرت بحوث العالم المحقق Glaser في سنة ١٨٩٦ حيث قرر أنسكافا على منقوشات جاءها من أرض اليمن أن السيل قد حدث فعلا ولكن لم يحدث في مدة واحدة بل تكررت نواتجه مرات عديدة ثم سده فلا يرجع إلى الطبيعة من حدوث أمطار غزيرة في مرات متوالية غلبت على كل نتيجة يحمل سديد هذا السد العظيم ثمة عن اثنين داخلية بين الأقبال من جهة وإغارات متوالية من الخارج من جهة أخرى وما تطاولت الأرواح على السد مع هذا لا محال الشديد تصدعت جوانبه شيئا فشيئا ووهت أركانه قليلا فبلا .

فما حدث سيل العرم الأول في سنة ٥٢٧ ب . ه . انتهى سده في سنة ٥٥٠ :
نهب القوم إلى الخطر المحقق بالسد فهجموا بقره وأسلموه من شانه ولكن لم تعد له منعه القديمة فلم يحصل السيول المتواصلة زما فبلا وانكمش نهائيا سنة ٥٣٢ ب . ه (٢)

بعد هذه التحقيقات الجنية إلى التثبوت من النفوس في صحة رواية سيل

(١) تاريخ الأمم الإسلامية جزء ١ ص ٩٨

(٢) راجع كتاب Zwei Lachriften über den Dammbrech von Mareb

M. d. v. G.

العرم وانحى كل ريب في حدوده وما بعض المنتشرقين الى الجزم بأن نزوح
البطون الآردية حدث بعد سيل العرم^(١)

واسكن من المنعذر على الباحث الذى يحمل في يده مصباح عقله أن يقتنع
بأن جميع البطون الآردية هاجرت الى شمال الجزيرة بسبب واحد هو سيل العرم
بل دائماً يرى أنه من الغملي أن تكون هناك أسباب أخرى انضمت مع سيل
العرم أو انفردت دونه واضطر بعض هذه البطون الى ترك وطنها والمهجرة الى
الأرجاء النائية عنه

على أنه يغفل الى أن المؤرخين أسرفوا في التكبير من شأن سد مأرب
وهو لما في النتائج التي توفرت على الركود بمثلثة كبيرة إذ كان هذا السد فيما
نعلمه من أمحت يقوت في معجم الهند قديماً ومن مجهولات قريظة جلازير
Glaser حديثاً يسقى روية من الأرض ما كان مكنماً لكي يغون لأرد

ويرجع رأينا هذا ما نجده في جميع الروايات التي تضمنت حوادثه وأخباره
من الموض والامهات والمقص الظاهر في البيان والتعديلي مع انه حدث حوالي
قرن واحد قبل الاسلام وقد تراكت بشانه القصص والأساطير حتى سارت
عريضة لأن يشك المفسر في صحتها جميعاً ولا يرجعوا عن شككم الا بعد ان ظهرت
أبحاث العالم جلازير Glaser

وإذا كان هذا شأن حادثة وقعت قبل الاسلام بقرن واحد فماذا يكون شأن
الحوادث التي وقعت قبل سد مأرب بنحو خمسة قرون أو أكثر ؟ ..
وهل يمكننا أن نعول على أخبارها التي ذكرت في السيرة وفي الفهرى وفي
الواقدي واستنتج منها نتائج نضمة بها أبحاث في تاريخ الجاهلية ؟ ..



من المتعذر علينا إذاً أن نعين الزمن الذي وصلت فيه الأوس والخزرج إلى
جوات يثرب فلنكتف بما قلناه القصة من أنها من أزد ثمين وأنه قد وجدت هناك
بطون من اليهود قبل وصولهم إلى يثرب

يقول ابن صاحب الأغانى ١ : « قد توجه الأوس والخزرج ووردوها نزحوا في
حرارهم تفرقوا وكلت منهم من جأتهم من أرض لا ساكن فيها فزولوا به
ومهم من جأتهم من قرية من قرى فكنوا مع أهلها فقلت الأوس والخزرج
في منازلهم التي نزحوا بالمدينة في عهد النبي في الأرض يسوا بأصحاب نخل وزرع
وليس للرجل منهم إلا الأغداق البصرة والمدينة يمتدحرج من أرض عوات
والأموال يهود قبلت الأوس بذلك حيناً . . . » (١)

٢ وثق اليهود والعرب مدة طويلة يهود يثرب مع الوثنية وكوفي دون أن يحدث
ما يكدر أو يفرق بينهم

فكانت السلطة في أيدي اليهود ومواليهم من البطون العربية وكانت
الأوس والخزرج تستغل في الدوران العيسة اليهودية ومنهم من كانوا يشتركون
مع اليهود في قوافلهم التجارية

ويحدثنا السهوي عن حلة اليهود والأزد في دور سيادة الوثنية وكوفي
بينهم فيقول : . . . وقد وجد الأوس والخزرج الأموال والآطام بأيدي اليهود
والعدد والقوة معهم فكانوا . . . ثم سألهم أن يفتدوا يثرب جواراً وحلفاً
يؤمن به بعضهم من بعض ويؤمنون به من سواهم فحلفوا ووافعوا ولم يزلوا
كذلك زماناً طويلاً وأثرت الأوس والخزرج وصار لهم من وعدد وحلفت قريظة
والنضير أن يغلبوهم على دورهم ففسروا لهم حتى قطعوا الحلف . . . فقاموا خائفين
أن تجلبهم اليهود حتى نجح منهم ذلك بن المعجلان . . . » (٢)

(١) الأغانى جزء ١٩ ص ٩٦

(٢) خلاصة أوقف ص ٨٢

ودار الدهر دورته وظهرت المقتن والعداوات بين اليهود والأوس والخزرج
غير أن المصدر العربية لم توافقاً إلا بسبب الكافية هذا التفسير واليك ما يقوله
السامي: «وكانت لا تهدى عروس الحبين حتى تدخل على الفيدلون ملك اليهود
فيكون هو الذي ينظمها فتزوجت أخت ذلك رجلاً من قومه فيينا ذلك في
النادي إذ خرجت أخته فتصلا ففطر اليها أهل المجلس فشق على ذلك فدخل
وعنفها فقاتل ما يصنع في غدا أعظم تهدى إلى غير وجهي فلهذا أهدى إلى
السيف ودخل منكم مع النساء وقتل الفبطون وانصرف لدار قومه...» (١)

ويؤخذ من هذه القصة الملققة أن اليهودي وأنثله لم يكن عندهم إمام
كاف بحياة العرب في الجاهلية بل كانوا بمنزلة منوحشين همجيين لا يعرفون
من السقم الاجتماعية شيئاً ولا يفهمون من الآداب قليلاً ولا كثيراً ولا يتقادون
إلا لما يدعو إليه الخرق والفساد

ولا شك أن قولاً كهذا ليس إلا ضماً وحشاً في قبائل العرب في الجاهلية
والنكارة شامخاً لما هو معروف عنهم من الألفه والقيمة وإبه الغم والسحرة والبسالة
إلى حد التضحية بكل شيء في سبيل العرض وحفظ الشرف والكرامة

ومن جهة أخرى فمثل هذا القول لا يمكن أن يكون له نصيب من الصحة
لأن يهود الحجاز إنما كانوا أصحاب دين سامي زمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء
والمنكر والمبغى وليس من العقول أن ملكاً يهودياً يرتكب جريمة منكراً كهذه
تناقض روح النوراة وتحالف الأبدان بآية موسى دون أن يجد مقاومة عنيفة
وانكارة شديداً من شعبه وأبناء جلدته

على أن الخنلاق هذه القصة يظهر جلياً متى علمت أنه لم يوجد ملوك من
اليهود في يثرب

ونرجع أن الباحث على الخنلاق هذه القصة وتلفيقها إنما هو محاولة إخفاء

الحقيقة في حادثة غدر ابن العجلان بجيرانه وسفك دماء الأبرار منهم كما سيأتي
تفصيل ذلك

ومن الغريب أن قصة كهنة ما رقصهم الغيرة عن مسلم وجد يس^(١) وذلك
يدل على أنها من انحرافات الشبهة عند أهم الشرق في قصصهم ونوايحهم^(٢)

وأما ابن عثمة والوقدي وحسب لأن في قصة القبطون بل حدتسا
الأخير بخبر يثبتنا على التماس والمحدث في تواريخ الغيرة لدى طرأ حجة على
ما كان بين اليهود والبطون العربية من مودة ولواء فقل إن ذلك بين العجلان
رجل إلى أبي جيبلة القس في وهو يومئذ ملك غسان وسأله عن قومه وعن منزلهم
فخبره بحلهم وضيقهم منهم فقل له أوج جيبلة وسأله منزل قومه من بلاد إلا غلبوا
أهل عليه فما بالسك؟ ثم أمره بمضى إلى قومه وقل له عنهم أني سأر اليهم فرجع
ذلك بين العجلان فخيرهم بأمر أبي جيبلة ثم قل لليهود إن الملك يريد ذوابكم
فاعدوا نزالاً فعدوه وأقبل أبو جيبلة سائراً من الشام في جمع كنيف حتى قدم
المدينة فقل بني حراش ثم أرسل إلى لؤيس ونخروج فذكرهم الذي قدم له
وأجمع أن يكر باليهود حتى يقتل رؤسهم وأنسهم وخلصي ألسن يكرهم أن
ينحسروا في آلامهم فجمعوا معه حتى يقبض حصوده أيام قمر يوم حائر واسع
فبني ثم أرسل إلى اليهود أن أوج جيبلة الملك قد أحب أن تلوذ في بيت وجه من
وجود القوم إلا أمانه وجعل لرجل ياتي معه بخمسة وخمسة رجلا أن يحبهم فلما
اجتمعوا إليه أمر وجلا من جند أن يدخلوا حراش الذي بني ثم يقدوا كل من
يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حراش أن يذنبوا لهم في أطرافهم ويدخلهم وجلا
رجلا فلم يزلوا يخرجون يذنبون لهم كذلك ويقنعهم الجند الذين في حراش حتى أنوا
على آخرهم . . .

(١) تاريخ التوك والرسائل لغفرى جزي ٢ من ٢٧٦

(٢) راجع كتاب الف ليلة وليلة (الجزء الأولى)

وقد أخذت اليهود تعترض الأوس والخزرج وتناوشهم فقال مالك بن العجلان والله ما تعترض اليهود غلبة كما تريد قبل لكم أن تصنع لهم طعاماً ثم أرسل في مائة من أشرف من بني من اليهود فذا جوفى فقلوبهم جميعاً فقالوا لنفعل قدامهم رسول مالك قوا والله لا نأتيهم أبداً وقد قتل أبو جيلة منا من قتل فقال لهم مالك إني ذلك كانه على غير هوى منا وإنما أردنا أن نحدوهم ونعلموا ما لكم عندهم فحاطوهم فحين كاد دخل عبيد رجل منهم أمر به مالك بن العجلان فقتل حتى قتل منهم خمسة وثلاثين رجلاً ثم إن رجلاً منهم قتل حتى قام على باب مالك فسمع أن يسمع صوتاً يرجع ويحذر أصحابه الذين يقولون يا بئس منهم أحد... وصورت اليهود ما كان في يومهم وكذا سبهم فكانوا يسمونه كلب دخلوها... فلما قتل مالك من اليهود من قبل ذلوا وقل قلوبهم وخافوا خوفاً شديداً وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج يشيرونهم به ويقولون يا بئس منهم إلى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن ينسب اليهودي إلى جبراته الذين هو بين أظهرهم فيقولون إنما نحن جبرامكم ومواليكم وكان كل قوم من اليهود قد جدوا إلى بعض من الأوس والخزرج وتعززون بهم... (١)

وقد يكون من المتعذر أن يقبل المؤرخ هذه القصة على علاتها إلا لاشك في أن اليهود كانوا يحترسون من حمل مؤنة اليوم كل الاحتراس وكان المعروف فوق ذلك عن يهود الحجاز أنهم على جانب عظيم من الغلبة والذكاء ولهم قوة وبطش فعزل أمواكهم وقمع فعلا لا مكسبهم أن يعزبوا الأوس والخزرج ويضموا إلى جانبهم في هذه الحرب جميع البطون العربية المتدورة لهم والتي لم تكن تعتبر لليهود شراً

على أن أبو جيلة هذا الذي يقول صاحب الأغاني أنه كان ملكاً لم يكن من

سلالة ملوك غسان الذين كانوا من بني جفنة ولم ينزلوا عرش غسان من غير بني جفنة
الآ أبو جبيلة والحارث الأعرج قلداً يذكر ابن خلدون في موضع من كتابه أن
الروم ملكوها عرش الشام^(١) وأن كان يذكر باسم أبي سعد أن الأعرج لم يكن
ملكاً وإنما كان قتيلاً ولم يذكر أن جبيلة الستة^(٢)

وعلى فرض أن أبو جبيلة والحارث بن الأعرج توليا العرش خلفاً فقلنا نعلم
ما هي الأسباب التي حدثت قيصرة الروم على تولية مدكين من غير سلالة آل
جفنة ثم أرجع العرش إلى هذه الأسرة أيضاً لأن آخر ملوك غسان كان من بني
جفنة وهو جبيلة بن الألب الذي أسلم بعد أن فتح المسلمون الشام ثم قدم ورجع
إلى دين آباءه ودخل إلى بلاد الروم^(٣)

من أجل هذا ترجح أن أبو جبيلة لم يكن من ملوك غسان ولكن إذا صححت
الرواية عن حاله مع يهود يثرب فمن المحتمل أنه كان قتيلاً ذهب بهما من
سيده إلى دولة اليهود وبمقتضى أيضاً من ناحية أخرى أن تكون الأوس والخزرج قد
أرادت أن تعقد حلفاً مع بعض قبائل الشمال لأن خلف التي عقدت بينهم وبين
اليهود لم تعد حاضرة كل بضعة بعد أن بسخت أقدمهم في البلاد وبعد أن إلهانوا
إليها وانضمت في قومهم المقام الكبير والآلة الواحدة

نعم أن خلف كانت في مصالحهم أول الأمر لأنهم لم يكونوا يطلبون إلا
أن يعيشوا قد يكون يسودهم أن تبقى المراكز الزراعية والحركة التجارية في أيدي
اليهود وحدهم وأن يكونوا هم مهمتهم كمالهم وعديدهم لأن فقد امتدت أقطارهم
إلى أكثر من هذا

ولم يكن أمهم من سبيل التحقيق هذه الآلة والمطامع إلا أن يتخلصوا

(١) ابن خلدون جزء ٢ من ٢٨٢

(٢) ابن خلدون جزء ٢ من ٢٨٢

(٣) ابن خلدون جزء ٢ من ٢٨١ - الأغانى جزء ١٤ من ٢

من حلف اليهود ولم يكن سبيل النجاة من هذه الحلف ممكنا الا اذا اعتمدوا على حلف أخرى يضمنون بها لا تقديم النفوذ اذا ثبت الدائرة بينهم وبين اليهود وقد رأوا الفرصة سانحة لعقد محالفة مع مغرك غسان الذين كانوا يفقدون حركة المنافسة الشديدة والفضل العيف الناجم من النصرانية ضد اليهودية وبطبيعة الحال كان مغرك غسان يرغبون في هذه المحالفة مع الالوس والتخارج بل ويسعون اليهم لينضموا اليهم من القضاة على اليهودية في بلاد الحجاز

وعلى كل حال فقد وجدت علاقات حسنة بين الطرفين كما يؤخذ من قصيدة المدح التي قضاها حسان بن ثابت في مغرك بن غسان والتي يقول فيها

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| لله در عصابة نادمهم | يوم يخلق في الزمان الاول |
| اولاد جفنة حول قبر أبيهم | قبر ابن مارية الكريم المفضل |
| يسقون من ورد البرص غايهم | برقى يمسق بلوحيق السمل |
| يمشون حتى « نهر كلابهم | لا يمشون عن السواد المقبل |
| بيض وجوه كريمة احدهم | ثم لا يوف من الطراز الاول (١) |

ولكن هذا كله لا يثبت صحة رواية عن أبي جبريلة ان من الممكن جدا أن تكون العلاقات الحسنة بين النعمان من جانب ومغرك غسان من الجانب الآخر لشجار البطون النجارية الذين كانوا يجولون في أنحاء سورية

ومن الممكن أيضا أن تكون هناك علاقات كهذه بين اليهود وبين بني غسان نظرا لامتناع النجارية المضطربة التي كانت لليهود في بلاد غسان (٢)

وهكذا أمر آخر يزيد شكنا في صحة قصة أبي جبريلة ذلك اننا لا نجد

(١) الاغنى جزء ١٤ ص ٢ . ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨٠

(٢) تاريخ الخميس جزء ٢ ص ١٣ (أبو القاسم الخيزرى يرسل قوامله الى بلاد الشام)

بينها وبين يوم يذبح الذي جاء بعدها أية صلة أو ارتباط بل على العكس من ذلك نستنتج اعتماداً على الأخير المفصلة التي وصلتنا عن يوم يذبح أن اليهود كانوا منتمين بجميع حقوقهم السياسية والاجتماعية وكانت مزارعهم وأراضيهم وأموالهم كالأمة غير منقوصة

ويقرر المؤرخ Graetz أن بطون الأوس والخزرج لم تدمر مع اليهود بأمداءة والمقصود بالأمة النكبة التي حدثت لليهود في اليمن إذ لا بدور أن يعطاهم اليهود في الحجاز في العصر الذي كان فيه ملك يهوديون يسيطرون على اليمن ويحكمون لهمهم وينفذون كل من يدهمهم أو يفتدي عليهم^(١)

ويؤيد قول هذا العالم ما ذكره بعض مؤرخي العرب من أن الحجاز الشمالية كانت في شبه تبعية لليمن في عصر وجود حمير اليهودية وإن واحداً من الأسرة الحاكمة في اليمن كان يشرف على شؤون الحجاز المختلفة في تلال الحجاز^(٢) وقد ثبت البطون العربية عسكراً مؤيداً على موالاة ومناصرة اليهود دون أن يظهر عليهم شيء يدل على أنهم يترقبون لهم الفوكل إلى أن أخذت دولة عن تصب لليهود تمكيداً ونحرض عليهم زعماء الأوس والخزرج ليفتكوا بهم والظاهر أن دولة بني عبد شمس لم تعمل هذا الأمر من الدولة الرومانية الشرقية التي أرسلت أسطولاً لمساعدة الحبشة في كفاحها ضد اليهود في اليمن

وليس غريباً على هذه الدولة أن يحرض عسكراً من ملوك غسان على أن يلبثوا اليمن وتدنسوا ضد يهود الحجاز فياستها هذه واضحة كل الوضوح في الجزيرة العربية أثناء القرن الخامس والسادس م . . . وأما قصة في كتب السموودي تسحق العناية لهم السياسة الدينية عند زعماء التصاري في الجزيرة العربية وهي أن مالك بن الحجلان قد ذهب بعد قتله للفيطون إلى تبع الأصغر

(١) Graetz ج ٢ ص ٩١ وم ٤١٠

(٢) Perceval ج ٢ ص ٦٥٤ يسميها قنوبري

فشكا اليه ما كان من أمر يهود يثرب فهدده تبع ألا يقرب امرأه ولا يمس طيبا ولا يشرب خرا حتى يسير الى المدينة ويذل اليهود . . .^(١)

ويذكر العلامة Wüstenfeld الذي طبع كتاب السهودي على رواية تبع الاصغر بقوله انه كان من اقوال الخدشة المنتسرين في اليمن وانه ذهب لخاربة يهود الحجاز من عدة لاني جبيلة القسائي^(٢)

وفي آخر رواية السهودي عن تبع الاصغر يحفظ شعبه دون أن أميل الى الاعتقاد بصحته وانه قد ذكر انه توافق أقوال المنتسرين عن الخطة السياسية التي اتبعتها الدولة الرومانية الشرقية في الاقليم العربية

بحسب ويحفظ العلامة Wellhausen ان تكلم بحسب النصراية واليهودية في بلاد الحجاز كان عتيقا جدا وان غارات الدولة العباسية على حدود البلاد الرومانية وقفت الملامحة الفاصلة زمن . . . ولولا ظهور الاسلام لاصبحت بلاد الجزيرة من الوجهة الدينية متصلة بهم . . . الى قسمين يهودية وبصرية^(٣)

ما يصل اليه من اخبار اليهود في بلاد الحجاز بعد ان احدثت امر القساسة بينهم وبين بطون الاوس والخزرج الا ما يعرف بيوم بعث

ويحدثنا صاحب الاعاني عن هذا اليوم تعيوس بقوله : كانت الاوس قد استندوا امرهم في يوم بعث النبي ابي قيس بن لاسات الموالي فقام في حريمهم وآثرها على كل امر حتى شحبت وتغير ونبت اشهرها لا يقرب امرأته . . . وكانت الاوس قد استعانت بنبي قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزي فبعث اليهم من الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزوا ان يستعين باعدادكم وان كثر منكم من العرب فنحن نغفرنا بكم فذلك

(١) خلاصة توداه من ٨٣

(٢) ويؤيد العلامة Wellhausen أقوال Wüstenfeld في مسنده Skizzen und

Varasheiten Heft 4 من ٨ — ١١

(٣) Skizzen 4 من ١٢

ما تذكرون وإن ظفرتكم لم تلهم عن القلب أبداً فتصبروا إلى ما تذكرون ويشفكم
من شئت ما أنتم الآن منه خلون وأسلم لكم من ذلك أن تدعوه وتخلوا بيننا
وبين أخواننا فلما سمعوا ذلك علموا أنه خلق فرسوا في الخبزج أنه قد كان الذي
بلغكم وأنتم الاوس نصرتا وكم انتصرهم عليكم أبداً فقات لهم الخبزج
فمن كل ذلك كذلك فبعثوا اليه يردون في تكون في أريدوا فبعثوا اليه أربعين
غلاماً منهم ففرقهم الخبزج في دورهم فمكثوا بذلك مدة ثم إن عمرو بن النعمان
القبضي قال أقوم به فذلة إن عمرو بن النعمان معكم يومئذ بين سبيخة ومفردة وأنه
والله لا ينس رأسي غسل حتى التزمكم مسرلاً بنى قريظة والنضير على غلب الماء
وكرهم النخل ثم أرسلهم إلى أن تخرجوا من دوركم فمكثوا بها وأبى أن تغسل
وهكم فمكثوا أن يخرجوا من دورهم فقال لهم كعب بن أسد القريضي يفرقه فمكثوا
دورهم وخوفهم يقل الزهن والله ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحد امرأته حتى يولد له
غلام مثل أحد الزهن فوجتمع إليهم على ذلك فرسوا إلى عمرو بن أسد لكم
دورهم وانظروا الذي عهدتموه عليه في رهنه فقوموا له به فمكث عمرو بن النعمان
على رهنه هو ومن أمته من الخبزج فمكثهم وبني عبد الله بن أبي وكان سيداً
جليلاً وقال هذا عقوبتي ووليتي وبني فمكث معهم عليه ولا أحد من قومي أطاعني
وكان عنده في الزهن سببان بن أسد القريضي وهو جد محمد بن كعب القريضي نفي
عنه وأطلق من من الخبزج نفر فمكثوا بأهلهم فمكث الاوس الخبزج يوم
قال الزهن مذونة خنيلة

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد بن أبي عمرو بن قريظة ثم
نأمروا أن يعينوا الاوس على الخبزج فبعث إلى الاوس بذلك ثم أجمعوا أن ينزل
كل أهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضير فمكثوا معهم في دورهم
وأرسلوا إلى النبيت يأمرهم بأنفسهم وتماعدوا ألا يسموهم أبداً وأن يقاتلوا
معيهم حتى لا يبقى منهم أحد فمكثهم النبيت فمكثوا مع قريظة والنضير ثم أرسلوا

الى سائر الأوس في الحرب والقياد معهم على الخروج فاجتمع
أغلا منهم واستحکم أمرهم وجدوا في حريمهم ودخلت بينهم قبائل من أهل المدينة
منهم بنو نعلية وهم من غسان وبنو عذرة وهم من غسان فها هممت بذلك
الخزرج اجتمعوا ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضي وعمرو بن الجوح
السفي حتى جاءوا عبيد الله بن أبي وقوفة فذكر كان الذي بلغك من أمر الأوس
وأمر قريظة والسدين واجتماعهم على حربنا وأمر بني أن يقتلهم فإن هزمناهم لم
يحرز أحد منهم معقله ولا ملجأ حتى لا يبقى منهم أحد

فما فرغوا من ذلك فمات منهم قوم عبيد الله بن أبي حنيفة وقل أن هذا بقي منكم على
قومكم وبقوت والله ما أحب أن أعملا من حراد قبيلهم وقد بلغني أنهم يقولون
هؤلاء قوما معونا الحجة فيمنعونا الموت والله في أوى قوما لا يأنهون أو يهلكوا
عائتكم وإلى لأحد أن قاموا أن يصرو عبيك لتفكك عنهم فالتوا قومكم
كما كنتم قد خرجتم قد وقر شغوا عبيد الله هزموا فدخلهم أدنى البيوت خلوا
عنكم فقال له عمرو بن النعمان اتبع والله سحرته أن تطارت حين بلغك خلاف
الأوس قريظة والسير فقال عبيد الله والله لا حضر نك أبدا ولا أحد اضغى أبدا
ونكأني انظر اليك قتيلا تحدث أربعة في عيوني وابع عبيد الله بن أبي رجل من
الخزرج منهم عمرو بن الجوح الخزرجي وجميع كلاء الخزرج على أن رأسوا عليهم
عمرو بن النعمان البياضي وولوه أمر حريمهم

وليات الأوس والخزرج أربعين ليلة يصنعون للحرب ويجمع بعضهم
بعض ويرسلون إلى حنة شهم من قبائل العرب وأرسلت الخزرج إلى جبهة
واشجع فكان الذي ذهب إلى اشجع ثابت بن قيس بن شماس فجاوبه وأقبلوا اليهم
وأقبلت جبهة اليهم أيضا وأرسلت الأوس إلى مزينة وذهب حضير الكنانة
الاشجلى إلى أبي قيس فقام حضير فاعلمه قومه فخرجهم وأمرهم بالجد في حريمهم

وذكروا ما صنعت بهم الخروج من الخراج التبيت واللال من مختلف من سائر
الأوس في كلام كثير . . .

فجاءه أوس الله ينادي يحب من النصر والمواربة والجد في الحرب وأما
الأوس فاجتمعوا يومئذ إلى حضير فوضع يده على الخيافة فاجلوا الرأى فقلت
الأوس إن فلان بالخروج ما سبق منهم أحداً ولم يبق منهم إلا كذا فذهب فقال
حضير يا عشرين الأوس ما سمعتم الأوس إلا أنكم تؤسرون لأمرهم المصلحة

وما اجتمعوا بخيافة فخرجوا بين أيديهم نكراً وحضراً كقول وحضير
الكتاب جالس وعليه بردة قد اشتمل من ثيابهم ما رآه كل منهم ولا يدعو إلى
الفر غضباً وحققاً فقال يا قوم انقموا لأبي قيس بن لاسمت فقال لهم أبو قيس
لا أقبل ذلك فلي ما أرسى عن قوم فداهم إلا هربوا ونشروا بربريتي وجمعوا
يسقون إلى حضير وانقرته الكعب والشفقة بهم فبه من أمر حرب وقد بدت
خدماءهم من تحت البرد فذا رأى منهم ما يكره من القود والجدل فغضب غضباً
وعصباً وإذا رأى منهم ما يحب من الجد والتشهير في الحرب عدداً طامراً وأجابت
إلى ذلك أوس من فوجدوا في مؤبردة والمظاهرة فدمت مريته على الأوس
فانطلق حضير وأبو عامر إلى عتب بن مديني (١) إلى أبي قيس بن لاسمت فقالوا
قد جاءك مريضة والجميع اليه من أهل نجرم ما لا قبل للخروج به فذا رأى أن
لحق ظهوراً عليهم الانجراف اليه فقال أبو قيس بل "أبينة" قال أبو عامر والله
لو ددت أن مكنتهم ثعلباً خبيثاً قال أبو قيس فذروهم حتى يقولوا من أراكم
كلوا يقولهم إذا غلبوا قاتلهم جروا في ذلك وأقسم حضير ألا يشرب خمرًا أو
يظهر ويهدد مراحدهم عبد الله بن أبي قيسوا شهرين يمدون ويستعدون ثم انقوا
بعضاً وتختلف عن الأوس بموعدة بن الحزيت فسطوا إلى الخروج إلى الله

(١) وكان قد تربع في الجاهلية وليس المويج واللال ينادي له ترمم الذين هضم جز-

ما تريد فذلك فبعثوا اليهم أن ابعثوا اليك يره منكم يكونون في أيدينا فبعثوا
اليهم اثني عشر رجلا منهم خديج وبعث من أموال بني قريظة فيها مزرعة بقل
ذا قورى فذلك ثمنى بعث حبيب وحشد حبل إلى يثعلف عنهم إلا من
لا ذكر له ولا يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم تنفوا فيه فدا رثت الأوس الخزرج
أعظمهم وقلوا خضير وأب أسيد أبو حذرت القوم وبعثت إلى من تخلف من
حلفائهم من مريضة فخرج قومه فكانت في يده ثم قلوا نظاروا مريضة وقد نظر
إلى القوم ونظرت اليهم الموت فبذل ذلك ثم حبل وحمل وقلوا قال لا شديدا
فهمز الأوس حين وجدوا من السلاح فبذلوا منهم مدين في حدة قورى نحو العريضة
وذلك وجه ضربتي فوجد حبل خضير ومن حلت بهم الخراج بين القريظة والأوس فبعثوا
سنت إلى محاسب يعبرونهم في شدة حذير منهم فبذل ربيعة خديج وبنو وراح
واخرا لاوله لا يوم حتى قتل من شدة حذير الأوس من شدة حذير ففعلوا
فبذلعت عليه الأوس وقد غنى رأسه غلام من بني أسيد فكانت في ذلك إلى حتى
قتلوا وقبل منهم حتى أسيد محرو من القوم رأس الخراج فذلك لا يدرى من
رمى به إلا أن بني قريظة لو علم به منهم ومن ذلك أنه لم يدر فبذل عليه الله
ابن أبي يحرر عن ربيعة ففري من بعث ربيعة أسيد القوم إذ ضاع عليه
بمعرو من القوم فبذل في غداة فبذل فبذل إلى دابة فبذل ربيعة الله بن أبي
قل من هذا فلو سمرو من القوم قل دابة من القوم فبذل الخراج وولدت
فيهم الأوس السلاح وراح ضاع ربيعة الأوس سمحوا ولا تهكوا الخوانك
فجوارهم حذر من حذر فبذل الأوس وكنت عن سبهم بعد أنفون فيهم
وسبهم فريظة وأخضر وجهت الأوس لحرق على الخراج ففعلوا ودورهم خراج
سعد بن معاذ لاسبلى حتى وقف على باب بني سعد وأجروهم وأموالهم جزاء لهم
يوم أرحل وكان للخزرج على الأوس يوم يقال له يوم منفس ومضرس وكان سعد
ابن معاذ حمل يومئذ جريحا إلى عمرو بن لحوح فمن عليه وأجارد وأخذ يوم رطل

وهو على الأوس من القطع والحرق فكافؤ سعد يغسل ذلك في يوم بعث وأقسم
كعب بن أسد القرظي ليدان عبد الله بن أبي وليلتين رأسه تحت مزاحم فتأداه
كعب الزول بأعدو الله أنشد الله وه خذات عنكم قتل عه قول فوجده حقاً
فرجع عنه واجتهدت الأوس على أن نهده مزاحماً ثم عبد الله بن أبي وحلف
حضير بنهم منه فكلهم فيه فمهم أن يريشوا فيه كسوة وأقمت يومئذ الزبير بن
أبوس بن رماثت من قيس نعام أخا أبي الحارث وهي النعمة التي كافؤ بها ثابت
في الإسلام يوم بني قريظة ^(١)

وخارج حضير الكعاب وأوعر الزهبي حتى أتى أبو قيس بن الأسات
بعد المزيمة فقال له حضير يا أبا قيس ان رأيت أن تأتي الخروج ففصر أقصرأ ودأرا
داراً تقتل ونهده حتى لا يبقى منهم أحد قال أبو قيس والله لا تفعل ذلك فمضب
حضير وقال . سميت الأوس لا لأسك تؤسبون الأمر أوس . ونو ظفرت منا الخروج
بملها ما قولها . ثم انصرف إلى الأوس فمهم بالرجوع إلى ديارهم وكان حضير
جرح يومئذ جروحاً شديدة ثم مات من الجراح التي كانت به

وكان يهودي أسعى من بني قريظة يومئذ في أطام من أطامه فقال لابنة له
أشرفي على الأطام فانظري . فعل القوم فأشرفت وقالت أسمع الأصوات قد ارتفع
في أعلى قوري وأسمع قائل يقول فمهم بآل الخروج فقال ابنة له أسمع
الأوس لا خير في القاء ثم قال . ذا سمعين قالت أسمع رجلاً يقولون يا آل
الأوس ورجلاً يقولون يا آل الخروج قال لأن حي القتل ثم أثبت ساعة ثم قال
أشرفي فاصلي فأشرفت قالت أسمع قوم يقولون نحن بنو سخرة أصحاب الرعل .
قال تلك بنو عبدة الأشهر ظفرت . . . ثم وثب فرحاً نحو باب الأطام ففصر رأسه
بحاق بابيه وكان من حجارة فسقط فمات

وقال خفاف بن ثديبة يروي حضير الكاتب وكان ثديبه وصديقه :
لو ان لنا احد من ذى ممة فحين حضيراً يوم اُخلق دافقاً
أخاف به حتى اذ الليل جنة نبواً منه منزلاً متدعماً . . .

• • •

أنا حديث فـكـكـتـه وقيل خليفك في المرس
فيما بين أبي حضير الذي حضير الكاتب والمخلص
ويوم شهيد نور احمد به قطع عليه عرى الانفس
صليت به وعينك الخمد م بين سلع الى الاعرس
فودى نفسك يوم الوفى وفى نيك في تدس . . . (١)
.....

• • •

وما كانت حوادث هذا اليوم قد حوت قبل ظهور الاسلام بمحس سنوات
قبل الهجرة وكان كثير من زعماء الأوس والنخزاج واليهود الذين جدوا في ميدان
الوغي قد أدركوا الاسلام حتى كان بعضهم أثر ظاهر في حوادث المدينة بعد
هجرة النبي محمد اليها فلا شك أنه يوم حقيقي وإن أعجب ما نقلت من أخباره صحيح
وللبخاري حديث يدل على الوقع العظيم الذي كان يوم بعث في نفوس أهل
يثرب ه فئت عائشة دخل على رسول الله وعندي جارية تسمى بقاء بعثت
فقطعت على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر وشهرقي وقال فيه مآركة الشيطان
عند رسول الله (٢)

وقد ظل اليهود بعد هذا اليوم محن مخيلين فكأنهم بين القبلات العربية حتى

(١) الاغوار ج ١ ص ١٠٤ — ١٠٩

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٥

ان الأوس والخزرج كانتا تحسبان لقوتهم جداً كبيراً وكانت كل منهما تجمعهما
في أن يغلبهم الياء ليساعدهم في كدهم ضد الأخرى

وكذلك تبين أن من يوم بعث أن اليهود كانوا أهل نداء وكفاح ونهزم
كانوا كالأعراب في قسوتهم وغلظتهم للغير وفيهم منهم في الجاهلية حتى أن بني
الدبير وفرقة اتخذوا في بني فينقح ومزقوا شملهم بسبب انضمامهم إلى بني الخزرج
ليكونوا عوناً لهم على أبناء حليتهم

وقد أظهر الزبير بن أبي الحقيق السابغة الشديدة من تلك المعاملة الغريبة
ابن فينقح فذكر معايب بني الدبير وفرقة وكان الزبير من شعراء اليهود من
بني قريظة وكان أحد الرؤساء في يوم حرب بعاث وكان حليفاً للخزرج هو وقومه
فقال :

سنت وأمسيت وذهن الداء من حرمة قومي ومن مؤثر
ومن سققر الرائي بعد المعنى وعرب ريشة ولم ينهزم
فلو أن قومي أمدعوا الحميم لم يسمعوا ولم يضلوا
ولكن قومي أمدعوا القوم فحتى تكس أهل الله
فوقتي السفيه برأى الخبير والناظر لأمرنا يبرأ^(١)

وكان من نتائج يوم بعث آل خصف روج العدوان والخفة في نفوس البطون
البريلة حتى أخذ الناس يستعربون لأنفسهم ويندفعون لذة الراحة وهدأة العيش
وصفاء اليأس

وكانوا كلما هم أحد هم أن يعصب ريباً حادياً على أذر العداوة السكامة في

(١) الاغني جز ٢١ من ٦٢ راجع إلى سلام الجعفي صاحب مبادئ الشعراء « قال يقول
ان الزبير بن أبي الحقيق من بني النضير (ص ١٦٠ ملح معبر) وتبين رجوع رأي الجعفي
على رأي صاحب الاغني لما اوضح من ان آل بني الحقيق من بطون بني النضير

القلوب ليزيد في ضرامها وبعض من أوارها رمى كثير من الزعماء وذوى النفوذ
من الطرفين الكف يده حتى لا تسيل السيوف من الخمد.

وعلى العموم فإن يوم بدأت قد أضعف يقون يتررب فطرية وأدخل فيها النيل إلى
الأنحد حتى أرادت فيما يلقى أن تملك عليهم ممكنا من بين الخرورج كما بعد لنا ابن
هشام أن قوم عبد الله بن أبي قحطوبة لم يظفروا بالخروج لينجوه ثم يذكروهم عليهم ثم
جاء رسول الله إلى المدينة وانصرف القوم عن عبد الله وروى أن رسول الله قد استلبه
ممسكاً به أن رأى قومه قد يولوا إلا لاسم الله تعالى فيه كاريها مفسراً على اتفاق
وضمن وكل لا يختلف عليه في شرفه الذي لا يجتمع لأوس والخزرج قبله ولا
بعده على رجل من أحد الفريقين . . . (١)

مكأن قلوب بني يثرب على اختلاف قبائلهم وكثرة نزعاتهم قد شمت المداوة
وكرهت حالة الخفاء والخشونة وشعرت بحاجة إلى من يخرجهم منها ويوجه عنايتهم
إلى . . . هو أكثر سبياً وأعظم نكماً

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٧٢

الباب الرابع

أحوال العرب الاجتماعية والريفية والسياسية

في بلاد الحجاز قبيل ظهور الإسلام

مسألة العز والافتقار إلى المؤسسات السياسية — بعد غزو العرب اليهود في الحجاز —
— تهيئة الاسرائيلية لانتقال إلى نظام الحكم على النمط — الموائم التي كانت دون انتشار
اليهودية في الحجاز — فصل بين هذه في منع "الحج" اليهود وغلابة العرب — صنف بعض
المستشرقين في صحة وجود صلة قرابة قديمة بين العرب واليهود — رد هذا الطعن بالدولة
التركية والحاجات بعض المستشرقين — ذكره ابن عبد العرب واليهود ومن بعدهم العرب
من اليهود — التفسير (في الترابية حريم) — دولة الخنساء — العربية في بلاد الحجاز —
الحمل بين المستشرقين في هذا الموضوع — ريم بن عمرو بن عيسى والحامية — النشأة
عند العرب واليهود — الاصطلاحات وتسمية عند العرب وعقائد دولة اليهودية — طعن
الكثير لادعاء المسيحية في قريش — أصل اليهود لأجدهم في قريش بين العرب في
الحامية — صلة عند قبائل الحجاز قبل ظهور الاسلام — يوم الحجاز وشيعة — النهضة
التيكزية في بلاد الحجاز قبل ظهور الاسلام — أصل بن سعد — العرب بن ابن الصائغ —
استخدام القوم العربية قبل ظهور الاسلام

إذا شئت الظاهر في التاريخ العام نجد لهم كادى والعمير الكبرى في أمة من
الأمة بقدر وسمو التي لم يحدث أربعة مع منعد في قوم السومى ورجل أرقى التي
ذوي الحجاز بقوة السيف والعقل كما برز في نقط سبب فتيق ويزدهور تدريجياً
كما تدهورت القوة مادرة في أمة وأمة وصفت منظم

وتكاد تكون هذه الظاهرة عامة في أمة كل الأمم والشعوب ولكن لا نجد هذا
حين تبحث أغلب في يهود الجزيرة العربية إذ بعد أن انقصر حبشيم على ملوك

جميع اليهودية وبعد ان اظهر أبو جيبلة الأوس والخزرج على يهود يثرب — اذا
 فذلك صحة هذه الرواية — بقي سلطانها الفكري بوجه عام وفوقهم تدينى بوجه
 خاص قورين سليمان ما اقل منهم قوة أعدادها الاقليلا

ولا شك انه كان في مقبرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الدينى على
 العرب حتى تبلغ منزلة تبقى مما كانت عليه لو توافرت عند اليهود النية على نشر
 الدعوة الدينية بطريقة مدبرة ولكن حتى بعد اريج اليهود ينسند بأن الأمة
 الاسرائيلية ما اقل بوجه عام على انحاء الامم على اعتناق دينهم وان نشر الدعوة
 الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود^(١)

ولما اعرف في تاريخ اليهود أنهم ارسوا نفوذ السيف أمة من الامم على
 اعتناق اليهودية اذا استأنبت حادثة واحدة ابرهنهم فيها الملك اليهودى يوحنا
 هوركانوس ضوابط بنى أدوم على اعتناق اليهودية مدغرين بعد ان استولى على
 بلادهم غنوة ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن اليهود كانوا يعجزون بنى أدوم
 إخوة لهم في الجنسية ذما سكن هناك بينهم فربما طاهرة في العقيدة والتقاليد
 فاعلمهم أرادوا ابرئهم ابرهم على اعتناق اليهودية أن يزيلوا الفروق ما بيني أيضا...^(٢)

وهذا ما عمل آخر حال دون انتشار اليهودية في الشمال فاليهودية كما نعلمها
 هي حارسة القانون التلمودى بعدئذ وقديما ومفوسه وهذا القانون الذى نشأ في
 بيئة معينة وفي مدة فزون معينة والذي استمد مبدئه ونعائمه من نصوص التوراة
 قد أدخلت عليه تغييرات تلاحم لا حولا لجديدة التي طرأت على اليهود مع
 التغيير الاجتماعى والزكى الروحانى الذى دفع العقيدة اليهودية بعتاب جديد لم
 يكن يعرف في العصور الاسرائيلية القديمة وقد نجح عن ذلك أن الذين أرادوا

(١) راجع اليهود كتاب كدوشيم في وكتاب يرميا

(٢) Klausner ج ٢ ص ٧٢ وكتاب Simhoni ج ٢ ص ١٠٣

أن يتبعوا جوهرية معتصفت النورانية دون أن يخضعوا لآدموس النورانية وعقائدهم
يؤمن لهم باعتناق اليهودية ولا شك أن هذا كان من أهم الأسباب التي أدت إلى
ظهور النصرانية فمن مؤلفات اليونان والسرمان اليهودية لفلسفيين قد تأثرت بالدين
الاسرائيلي وأتاحت للعالم النورانية فاعتنقت العقيدة اليهودية وأتت بنهاية
الأساسية ورفضت ، لا أساس بوحيا القوي ولا ينفق مع آية ايدها القديمة

كذلك وجدت هذه الفلسفة في الجزيرة العربية إذ أن كثيرين من العرب
باعتلج اليهودية وأخذوا يخضعون لبعض الأصول الجوهرية من النورانية دون أن
ينقادوا لبعض الآخر فلا ترص منهم اليهودية ذلك وما تقر به في تلك بل لا تفرق
بينهم وبين بقية عبدة الأصنام لأنهم ، يقدروا النفس بالذات وما يخصها بالقيمة
وصايا النورانية والنورانية

وهكذا صمم اليهود الذين انفردوا عدة قرون بعمل راية التوحيد على أن
يعمدوا عن اليهودية كل من أراد أن يعتنقها ، لا إذا توافرت فيه جميع شروط
النورانية والنورانية ولكن دون أن يفعل بعضها على بعض

على أن المسيحيين والمسلمين نحو هذه النجوم كل من أراد أن يعتنق
المسيحية أو الإسلام إذا مرض مسيحيون من شخص أن يعتنق بعض ما جاء
في الإنجيل ويشكر منه يوافق هو ، وكذلك بعض المسلمين أن يدخلوا في حفاضة
الإسلام من آمن ببعض الكتب وكفر ببعض الآخر

وهذا أمر آخر عني انتشار اليهودية بين العرب ذلك أن النورانية والنورانية
كله الإنسان بكاف صعبة وبضاه بتقيد كثيرة ما يأتيه في يسهل العربي
الذي لا يكن يعرف للنظم العقيدة قيمة أن يدركها بسهولة وعسر على نفسه أن
قبل التقيد بغلال لا تحصى من الفوائت الدينية الثمينة وهي المنبوذة على حب
الاستقلال والحرية

ويقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : وهذا أمر آخر له خطر ، وهو

ان اليهود يعتبرون انفسهم أبناء الله وتسعة تحت من بين شعوب الارض . ولا
نسمح انفسهم ان نكون هذه البيرت شعب آخر ليس منهم . لهذا لا يقولون
يا رب الله يخلصني . (راجع آية — ١ — وما بعده من الاصحاح
١٤ آتية) — اه

كنا قد ذكرنا في الفصول الماضية ان بطون عربية كثيرة سكنت بحوار
اليهود في ثرب وخيبر ووادي القرى ولكن لاجل الامم والكنائس بين العرب واليهود
لم يبق عند هذا الحد بل انه انتشر في كثير من قديم العرب عمومًا والنجار
خصوصًا . كانت مستعمرات اليهود ونقطة على طريق القوافل لآتية من النجار
والذين قصدوا الى سورية والعراق وكان تجار العرب يأتون الى الاسواق اليهودية
في تلك النجار ليندعوا من حاصلات اليهود ومساكنهم وكذلك كانت اليهود
يعرفون بضاعتهم في الاسواق التي كان العرب يقيمونها في حوث حتى فينجح
عن النجار لاقصد دي ولاحتلام لانها هي البيرت في الآراء وجدل في
الديانات

كان اليهود يفتخرون بدينهم ويقصرون على الاحزاب من يملكون من عظمة
الله ويحبرونه من حق الدين وحله والى القبيلة والتمت والخصب واليزان
وكما انهم كانوا معربا لولديهم ويرفون انهم من الاسماء جهرا كما يحدث بين
هناهم ان يقول : كان سعة من اصحاب يدي قال : كان كذا جاز من يهود بن عبد
الاشيل قال : خرج غليل يوم من سنة حتى وقف على بني الاشيل وانه يومئذ
أحدث من فيه سنة على يردة الى مصنعهم فيها بقا . اهل قد ذكر القبيلة والتمت
والخصب واليزان والجدلة والدار قال : قال ذلك قوم اهل نمر من صوب ثوزان
لا يرون ان يمت كاش بعد الموت قد لوانه ويحك بفلان وتري ان هذا كاش
ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيهم جنة ودار يحزنون فيها . انهم قل نعم
والذي يحلف به ويود ان له يحظه من تلك النار العظم تنور في النار ويحمونه ثم

يدخلونه أيا فيظنونه عليه بأن ينحو من تلك الدور غداً فتؤالهِ وبحك يثقلان
فما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه الدلالة وأما يزيد بن مكي فوالجبن ... (١)



يوجد عند بعض الباحثين ميل إلى اعتقاد أن اليهود تعدوا أناس قصص
النوراة والنسود بين العرب لأسباب سياسية ودينية وأخرى في حقيقة الأمر دينية
لأنهم اليهود نازحوا من بلاد الشام وأخذوا على كذب عقدهم ولم يبق عرى النوراة
والألفاظ بينهم ويقول أحد هؤلاء العلماء : ... أن هذه الطريقة من معنى
اليهود المأثورة إذ لوحظ عليهم كثيراً أنهم متى رآوا مصلحة في النوراة إلى قوة قولوا
هم أنهم الحوائط ونحن وأنتم صديق ... وتذكر عند ذلك العهد إلى ظهور الإسلام
وهم يفتلون جهدهم في إثراء العرب عقيدة أنهم جميعاً ذرية أب واحد حتى لمعت
فيهم هذه الكذوبة التي كان العرب أهل من أن يصدقوها فيها من كذب
وتفريق

وما ظهر إلى محمد رأي المصلحة في قراره وقدره وقت العرب انما هو بدعوه
إلى الله إبراهيم ... (٢)

والدليل في هذه الطريقة التي يشتملها من المصلحة في إثارة ما يري
أنها مجردة عن الصحة وليس فيها من الحقيقة الدينية غير ولا أثر يؤكد ذلك
ما يأتي :

(١) أن اليهود كانوا يفتنون على العرب الأفسيس المذكرة في النوراة
والنسود كما هي دون أن يزيدوا عليها شيئاً من عند أنفسهم

(٢) إذا وجد دليل عند بعض المستشرقين إلى انكار وجود الآلهة الأقدمين
إلى إسرائيل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فمنه لا يستغنون أن

(١) ابن هشام جزء ١ من ٢١٢

(٢) مقال في الإسلام من كتب التفسير ص ١٨

بنكروا وجود قبائل بني إسرائيل وقد أنى بني إسماعيل لأن النوراة نعمت على وجودهم في طور سيناء وحجاز بعد ذكرته من الحوادث التي وقعت بين بقاؤون إسماعيلية وأدوية وسريانية ولا شك أن هذا كلف لاثبات العلاقة الدموية المتينة بين اليهود وعرب طور سيناء والحجاز

وقد عثرت على نص في النوراة يؤيد نظريتي في هذا الصدد ولكني مضطرا إلى أن أترجم هذا النص ترجمة عربية جديدة لأن ترجمة النوراة العربية والأجنبية قد أخطأت في تفسيره الحقيقي وهذا هو النص العبري: *וְהָיוּ אֲרָبִים עִמָּם* (١) ومعناه: وبنوا (بقاؤون بني إسماعيل) مع شعبنا (٢) بين الحوتم والمنوطات البلاد من الحولة إلى طريق القوافل بين مصر والعراق

(٣) قرأه هذا المؤلف جريماً أن علاقة بقاؤون بني إسرائيل الجنوبية بعرب الحجاز وطور سيناء أقرب مما أنى قبائل بني إسرائيل الشمالية كل هذا يوضح أنه لم تكن لليهود حاجة ضرورية لاختلاف الأسماء (٤)

ولم إلا أن الشيخ عبد الوهاب التاجر فيقول: لو أن اليهود كانوا في ذلك الأمان المنصورة بمسجون القرابة يخدمون أن يكون رؤسائهم وبنوهم يرجعون منهم نفساً أو يخدمون منهم خيراً أو جريماً كان لأجداد تلك القرابة الرومان والفرس أي الأمم التي تعاقب حكمها عليهم في الأزمنة المختلفة ولكن لما لم يخدمهم شيئاً من ذلك ودعوى أنهم يخدمون ذلك مع الأمم كما رجحوا غملاً أو خدعوا حيفاً دعوى لا تظن أن من يدعيها يقدر أن يقيم أدنى برهان عليها

(١) التكوين فصل ٢٥ - ١٨

(٢) واضح في رواية هذا الباب عن التوراة ٨١

(٣) من ٢٧ - ٣٤ Israel's settlement in Canaan

من ١ - ٢٦ Relation between Arabs and Israelites

وأتعجب ما يعجب له السامع لأنك الطاعنين في اليهود بهذه القرية أن
يكون اليهود يحترقون تلك الأسطورة زلفاً لقرية أو القديسين في حين أنه
ليس ثمة من صلوات بين اليهود وقرية فعمل الأولين يهيب سطوة الآخرين
ويرجون خيرهم لبعث الشقة بين موطن القريةين وقد عهد حدوداً برورا في القديس
ولا في الحديث أن اليهود استلوا قرية في حرب من حروبهم أو غزوة من
غزواتهم معتمدين على صلواتهم بقرية متحدة لهم أو على صلوات أخرى من الصلوات
التي تكون بين الشعوب المتقاربة أو المتعددة

وأن اليهود يحرقون بأخمة القرية التسمية ويستغلونها لمصلحة مجلدونها أو
انفردة يدفعونهم فكان الأبقى بهم ولا حذر أن يحترقوا تلك القرية بينهم وبين
الأوس والخزرج الذين يذبحونهم ويشاركونهم في المأكل والمشرب ويرتبطون معهم
بربط الصداقة والجوار فكيف يتركون هؤلاء المخزومين فلم يحترقوا أسطورة
بفهمهم ترابطهم بقوم بعيدى الدار لا بما يكون لهم صراً ولا علماً

بني أمية آخر له أهمية في هذا الموضوع وهو أن أسطورة المنورة ترجعت إلى
اليونانية في عهد بطليموس في بلاد بوس وهو الذي ملك من البطانية في مصر
وبوافق حكمه أوائل القرن الثالث قبل المسيح وفي سبب ذلك ترجحة كل الصلوات
التي تنص على ارتباط العرب بالمتألفين بقرية التسمية مع اليهود وذلك قبل
رحيل يهود يثرب إلى الحجاز بما يقرب من أربعة قرون . فهل كان اليهود يعلمون
ما سيجده الأقباط منهم بعد أربعة قرون أو أكثر سيصدرون إلى بلاد العرب
وينحدرون دار مقامهم ثم أنهم سوف يجدون في بلاد أنفسهم براحة النسب
مع قوم من العرب لا يخالطونهم في المدن وليس بينهم خلاف أو جوار فعدوا
ذلك قبل ترجحة المنورة إلى اليونانية وكذبوا تلك الأكاذيب سلفاً وفيصل
الاحتجاج اليها بقرون متطاولة . إذ قول أولئك الطاعنون على اليهود : نعم ،
فليس لدينا ما نجيبهم به سوى قول القائل :

من كان يخاف ما يغور لـ خيلتي فيه قليلة اهـ

ومما يكن من الأمر أن اتصال العرب باليهود قد أدى إلى تغيير جوهرى في عقلية المفكر والباحث بالحجاز وظهرت هناك نظم جديدة طرأت على شؤونهم الاجتماعية وأسريت الاصطلاحات من العبرية إلى العربية وإلى أشهر هذا إلى بعض التغييرات التى يعتقد العلماء أنها ظهرت فى الحجاز بعد وصول اليهود اليها فى عصوره الأولى ..

لا شك فى أن عدد النخيل لم يسر من اليهود إلى العرب لأنها كانت شائعة عند قبائل مختلفة فى الجزيرة العربية منذ عصور غابرة ويستدل العالم (Wellhausen)^(١) بوجود قبائل متوحشة حتى فى أفريقيا كانت تألف هذه العادة

ولست أنكر صحة هذا الزعم لأن النوراة توضح لنا أن بنى إسرائيل قد جاءوا بنحس من موطنهم لأصلى على ذلك بحسب أن هذه العادة كانت دائمة عند قبائل أخرى بجوارة بنى إسرائيل فى الصحراء

غير أن هناك اعتباراً آخرنا بمن العلماء نظروا فى خصمه ربه يرتدنا إلى اكتشاف تأثير اليهود على العرب فى عدة النخيل

كان الاصطلاح « الله إبراهيم حنيفة »^(٢) شائعاً عند العرب قبل ظهور الاسلام وقد اشتهر بهذا اللقب فراد من مفكرى العرب لما تكن عبادة الأوثان تعجبهم وكانوا يرون أن التقرب إلى الله بالحجارة أمر لا قيمة له

لا أريد أن أعود إلى قول مفكرى القرآن فى هذه العبادة ولكن أريد أن أصل إلى تفسير جديد لهذا الاصطلاح

(١) من Skizzen & Vorarbeiten H III ١٤٠

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢١

يعرف العضو الخامس بعد خداه في العبرية باسم *وَلَمَّة* (*למה*) كما أن له اسماً خاصاً قبل خداه وهو *غُرَّة*.

وبعد أن تحدث من أصول اللسان لا سراً إلى (١) فقد غير الفاعل من الذي عن كل من الخدين أنه دخل في ثمة وعهد إبراهيم الخليل *בראשית* *כ* *١٥* *١٦* *١٧* *١٨* *١٩* *٢٠* *٢١* *٢٢* *٢٣* *٢٤* *٢٥* *٢٦* *٢٧* *٢٨* *٢٩* *٣٠* *٣١* *٣٢* *٣٣* *٣٤* *٣٥* *٣٦* *٣٧* *٣٨* *٣٩* *٤٠* *٤١* *٤٢* *٤٣* *٤٤* *٤٥* *٤٦* *٤٧* *٤٨* *٤٩* *٥٠* *٥١* *٥٢* *٥٣* *٥٤* *٥٥* *٥٦* *٥٧* *٥٨* *٥٩* *٦٠* *٦١* *٦٢* *٦٣* *٦٤* *٦٥* *٦٦* *٦٧* *٦٨* *٦٩* *٧٠* *٧١* *٧٢* *٧٣* *٧٤* *٧٥* *٧٦* *٧٧* *٧٨* *٧٩* *٨٠* *٨١* *٨٢* *٨٣* *٨٤* *٨٥* *٨٦* *٨٧* *٨٨* *٨٩* *٩٠* *٩١* *٩٢* *٩٣* *٩٤* *٩٥* *٩٦* *٩٧* *٩٨* *٩٩* *١٠٠* *١٠١* *١٠٢* *١٠٣* *١٠٤* *١٠٥* *١٠٦* *١٠٧* *١٠٨* *١٠٩* *١١٠* *١١١* *١١٢* *١١٣* *١١٤* *١١٥* *١١٦* *١١٧* *١١٨* *١١٩* *١٢٠* *١٢١* *١٢٢* *١٢٣* *١٢٤* *١٢٥* *١٢٦* *١٢٧* *١٢٨* *١٢٩* *١٣٠* *١٣١* *١٣٢* *١٣٣* *١٣٤* *١٣٥* *١٣٦* *١٣٧* *١٣٨* *١٣٩* *١٤٠* *١٤١* *١٤٢* *١٤٣* *١٤٤* *١٤٥* *١٤٦* *١٤٧* *١٤٨* *١٤٩* *١٥٠* *١٥١* *١٥٢* *١٥٣* *١٥٤* *١٥٥* *١٥٦* *١٥٧* *١٥٨* *١٥٩* *١٦٠* *١٦١* *١٦٢* *١٦٣* *١٦٤* *١٦٥* *١٦٦* *١٦٧* *١٦٨* *١٦٩* *١٧٠* *١٧١* *١٧٢* *١٧٣* *١٧٤* *١٧٥* *١٧٦* *١٧٧* *١٧٨* *١٧٩* *١٨٠* *١٨١* *١٨٢* *١٨٣* *١٨٤* *١٨٥* *١٨٦* *١٨٧* *١٨٨* *١٨٩* *١٩٠* *١٩١* *١٩٢* *١٩٣* *١٩٤* *١٩٥* *١٩٦* *١٩٧* *١٩٨* *١٩٩* *٢٠٠* *٢٠١* *٢٠٢* *٢٠٣* *٢٠٤* *٢٠٥* *٢٠٦* *٢٠٧* *٢٠٨* *٢٠٩* *٢١٠* *٢١١* *٢١٢* *٢١٣* *٢١٤* *٢١٥* *٢١٦* *٢١٧* *٢١٨* *٢١٩* *٢٢٠* *٢٢١* *٢٢٢* *٢٢٣* *٢٢٤* *٢٢٥* *٢٢٦* *٢٢٧* *٢٢٨* *٢٢٩* *٢٣٠* *٢٣١* *٢٣٢* *٢٣٣* *٢٣٤* *٢٣٥* *٢٣٦* *٢٣٧* *٢٣٨* *٢٣٩* *٢٤٠* *٢٤١* *٢٤٢* *٢٤٣* *٢٤٤* *٢٤٥* *٢٤٦* *٢٤٧* *٢٤٨* *٢٤٩* *٢٥٠* *٢٥١* *٢٥٢* *٢٥٣* *٢٥٤* *٢٥٥* *٢٥٦* *٢٥٧* *٢٥٨* *٢٥٩* *٢٦٠* *٢٦١* *٢٦٢* *٢٦٣* *٢٦٤* *٢٦٥* *٢٦٦* *٢٦٧* *٢٦٨* *٢٦٩* *٢٧٠* *٢٧١* *٢٧٢* *٢٧٣* *٢٧٤* *٢٧٥* *٢٧٦* *٢٧٧* *٢٧٨* *٢٧٩* *٢٨٠* *٢٨١* *٢٨٢* *٢٨٣* *٢٨٤* *٢٨٥* *٢٨٦* *٢٨٧* *٢٨٨* *٢٨٩* *٢٩٠* *٢٩١* *٢٩٢* *٢٩٣* *٢٩٤* *٢٩٥* *٢٩٦* *٢٩٧* *٢٩٨* *٢٩٩* *٣٠٠* *٣٠١* *٣٠٢* *٣٠٣* *٣٠٤* *٣٠٥* *٣٠٦* *٣٠٧* *٣٠٨* *٣٠٩* *٣١٠* *٣١١* *٣١٢* *٣١٣* *٣١٤* *٣١٥* *٣١٦* *٣١٧* *٣١٨* *٣١٩* *٣٢٠* *٣٢١* *٣٢٢* *٣٢٣* *٣٢٤* *٣٢٥* *٣٢٦* *٣٢٧* *٣٢٨* *٣٢٩* *٣٣٠* *٣٣١* *٣٣٢* *٣٣٣* *٣٣٤* *٣٣٥* *٣٣٦* *٣٣٧* *٣٣٨* *٣٣٩* *٣٤٠* *٣٤١* *٣٤٢* *٣٤٣* *٣٤٤* *٣٤٥* *٣٤٦* *٣٤٧* *٣٤٨* *٣٤٩* *٣٥٠* *٣٥١* *٣٥٢* *٣٥٣* *٣٥٤* *٣٥٥* *٣٥٦* *٣٥٧* *٣٥٨* *٣٥٩* *٣٦٠* *٣٦١* *٣٦٢* *٣٦٣* *٣٦٤* *٣٦٥* *٣٦٦* *٣٦٧* *٣٦٨* *٣٦٩* *٣٧٠* *٣٧١* *٣٧٢* *٣٧٣* *٣٧٤* *٣٧٥* *٣٧٦* *٣٧٧* *٣٧٨* *٣٧٩* *٣٨٠* *٣٨١* *٣٨٢* *٣٨٣* *٣٨٤* *٣٨٥* *٣٨٦* *٣٨٧* *٣٨٨* *٣٨٩* *٣٩٠* *٣٩١* *٣٩٢* *٣٩٣* *٣٩٤* *٣٩٥* *٣٩٦* *٣٩٧* *٣٩٨* *٣٩٩* *٤٠٠* *٤٠١* *٤٠٢* *٤٠٣* *٤٠٤* *٤٠٥* *٤٠٦* *٤٠٧* *٤٠٨* *٤٠٩* *٤١٠* *٤١١* *٤١٢* *٤١٣* *٤١٤* *٤١٥* *٤١٦* *٤١٧* *٤١٨* *٤١٩* *٤٢٠* *٤٢١* *٤٢٢* *٤٢٣* *٤٢٤* *٤٢٥* *٤٢٦* *٤٢٧* *٤٢٨* *٤٢٩* *٤٣٠* *٤٣١* *٤٣٢* *٤٣٣* *٤٣٤* *٤٣٥* *٤٣٦* *٤٣٧* *٤٣٨* *٤٣٩* *٤٤٠* *٤٤١* *٤٤٢* *٤٤٣* *٤٤٤* *٤٤٥* *٤٤٦* *٤٤٧* *٤٤٨* *٤٤٩* *٤٥٠* *٤٥١* *٤٥٢* *٤٥٣* *٤٥٤* *٤٥٥* *٤٥٦* *٤٥٧* *٤٥٨* *٤٥٩* *٤٦٠* *٤٦١* *٤٦٢* *٤٦٣* *٤٦٤* *٤٦٥* *٤٦٦* *٤٦٧* *٤٦٨* *٤٦٩* *٤٧٠* *٤٧١* *٤٧٢* *٤٧٣* *٤٧٤* *٤٧٥* *٤٧٦* *٤٧٧* *٤٧٨* *٤٧٩* *٤٨٠* *٤٨١* *٤٨٢* *٤٨٣* *٤٨٤* *٤٨٥* *٤٨٦* *٤٨٧* *٤٨٨* *٤٨٩* *٤٩٠* *٤٩١* *٤٩٢* *٤٩٣* *٤٩٤* *٤٩٥* *٤٩٦* *٤٩٧* *٤٩٨* *٤٩٩* *٥٠٠* *٥٠١* *٥٠٢* *٥٠٣* *٥٠٤* *٥٠٥* *٥٠٦* *٥٠٧* *٥٠٨* *٥٠٩* *٥١٠* *٥١١* *٥١٢* *٥١٣* *٥١٤* *٥١٥* *٥١٦* *٥١٧* *٥١٨* *٥١٩* *٥٢٠* *٥٢١* *٥٢٢* *٥٢٣* *٥٢٤* *٥٢٥* *٥٢٦* *٥٢٧* *٥٢٨* *٥٢٩* *٥٣٠* *٥٣١* *٥٣٢* *٥٣٣* *٥٣٤* *٥٣٥* *٥٣٦* *٥٣٧* *٥٣٨* *٥٣٩* *٥٤٠* *٥٤١* *٥٤٢* *٥٤٣* *٥٤٤* *٥٤٥* *٥٤٦* *٥٤٧* *٥٤٨* *٥٤٩* *٥٥٠* *٥٥١* *٥٥٢* *٥٥٣* *٥٥٤* *٥٥٥* *٥٥٦* *٥٥٧* *٥٥٨* *٥٥٩* *٥٦٠* *٥٦١* *٥٦٢* *٥٦٣* *٥٦٤* *٥٦٥* *٥٦٦* *٥٦٧* *٥٦٨* *٥٦٩* *٥٧٠* *٥٧١* *٥٧٢* *٥٧٣* *٥٧٤* *٥٧٥* *٥٧٦* *٥٧٧* *٥٧٨* *٥٧٩* *٥٨٠* *٥٨١* *٥٨٢* *٥٨٣* *٥٨٤* *٥٨٥* *٥٨٦* *٥٨٧* *٥٨٨* *٥٨٩* *٥٩٠* *٥٩١* *٥٩٢* *٥٩٣* *٥٩٤* *٥٩٥* *٥٩٦* *٥٩٧* *٥٩٨* *٥٩٩* *٦٠٠* *٦٠١* *٦٠٢* *٦٠٣* *٦٠٤* *٦٠٥* *٦٠٦* *٦٠٧* *٦٠٨* *٦٠٩* *٦١٠* *٦١١* *٦١٢* *٦١٣* *٦١٤* *٦١٥* *٦١٦* *٦١٧* *٦١٨* *٦١٩* *٦٢٠* *٦٢١* *٦٢٢* *٦٢٣* *٦٢٤* *٦٢٥* *٦٢٦* *٦٢٧* *٦٢٨* *٦٢٩* *٦٣٠* *٦٣١* *٦٣٢* *٦٣٣* *٦٣٤* *٦٣٥* *٦٣٦* *٦٣٧* *٦٣٨* *٦٣٩* *٦٤٠* *٦٤١* *٦٤٢* *٦٤٣* *٦٤٤* *٦٤٥* *٦٤٦* *٦٤٧* *٦٤٨* *٦٤٩* *٦٥٠* *٦٥١* *٦٥٢* *٦٥٣* *٦٥٤* *٦٥٥* *٦٥٦* *٦٥٧* *٦٥٨* *٦٥٩* *٦٦٠* *٦٦١* *٦٦٢* *٦٦٣* *٦٦٤* *٦٦٥* *٦٦٦* *٦٦٧* *٦٦٨* *٦٦٩* *٦٧٠* *٦٧١* *٦٧٢* *٦٧٣* *٦٧٤* *٦٧٥* *٦٧٦* *٦٧٧* *٦٧٨* *٦٧٩* *٦٨٠* *٦٨١* *٦٨٢* *٦٨٣* *٦٨٤* *٦٨٥* *٦٨٦* *٦٨٧* *٦٨٨* *٦٨٩* *٦٩٠* *٦٩١* *٦٩٢* *٦٩٣* *٦٩٤* *٦٩٥* *٦٩٦* *٦٩٧* *٦٩٨* *٦٩٩* *٧٠٠* *٧٠١* *٧٠٢* *٧٠٣* *٧٠٤* *٧٠٥* *٧٠٦* *٧٠٧* *٧٠٨* *٧٠٩* *٧١٠* *٧١١* *٧١٢* *٧١٣* *٧١٤* *٧١٥* *٧١٦* *٧١٧* *٧١٨* *٧١٩* *٧٢٠* *٧٢١* *٧٢٢* *٧٢٣* *٧٢٤* *٧٢٥* *٧٢٦* *٧٢٧* *٧٢٨* *٧٢٩* *٧٣٠* *٧٣١* *٧٣٢* *٧٣٣* *٧٣٤* *٧٣٥* *٧٣٦* *٧٣٧* *٧٣٨* *٧٣٩* *٧٤٠* *٧٤١* *٧٤٢* *٧٤٣* *٧٤٤* *٧٤٥* *٧٤٦* *٧٤٧* *٧٤٨* *٧٤٩* *٧٥٠* *٧٥١* *٧٥٢* *٧٥٣* *٧٥٤* *٧٥٥* *٧٥٦* *٧٥٧* *٧٥٨* *٧٥٩* *٧٦٠* *٧٦١* *٧٦٢* *٧٦٣* *٧٦٤* *٧٦٥* *٧٦٦* *٧٦٧* *٧٦٨* *٧٦٩* *٧٧٠* *٧٧١* *٧٧٢* *٧٧٣* *٧٧٤* *٧٧٥* *٧٧٦* *٧٧٧* *٧٧٨* *٧٧٩* *٧٨٠* *٧٨١* *٧٨٢* *٧٨٣* *٧٨٤* *٧٨٥* *٧٨٦* *٧٨٧* *٧٨٨* *٧٨٩* *٧٩٠* *٧٩١* *٧٩٢* *٧٩٣* *٧٩٤* *٧٩٥* *٧٩٦* *٧٩٧* *٧٩٨* *٧٩٩* *٨٠٠* *٨٠١* *٨٠٢* *٨٠٣* *٨٠٤* *٨٠٥* *٨٠٦* *٨٠٧* *٨٠٨* *٨٠٩* *٨١٠* *٨١١* *٨١٢* *٨١٣* *٨١٤* *٨١٥* *٨١٦* *٨١٧* *٨١٨* *٨١٩* *٨٢٠* *٨٢١* *٨٢٢* *٨٢٣* *٨٢٤* *٨٢٥* *٨٢٦* *٨٢٧* *٨٢٨* *٨٢٩* *٨٣٠* *٨٣١* *٨٣٢* *٨٣٣* *٨٣٤* *٨٣٥* *٨٣٦* *٨٣٧* *٨٣٨* *٨٣٩* *٨٤٠* *٨٤١* *٨٤٢* *٨٤٣* *٨٤٤* *٨٤٥* *٨٤٦* *٨٤٧* *٨٤٨* *٨٤٩* *٨٥٠* *٨٥١* *٨٥٢* *٨٥٣* *٨٥٤* *٨٥٥* *٨٥٦* *٨٥٧* *٨٥٨* *٨٥٩* *٨٦٠* *٨٦١* *٨٦٢* *٨٦٣* *٨٦٤* *٨٦٥* *٨٦٦* *٨٦٧* *٨٦٨* *٨٦٩* *٨٧٠* *٨٧١* *٨٧٢* *٨٧٣* *٨٧٤* *٨٧٥* *٨٧٦* *٨٧٧* *٨٧٨* *٨٧٩* *٨٨٠* *٨٨١* *٨٨٢* *٨٨٣* *٨٨٤* *٨٨٥* *٨٨٦* *٨٨٧* *٨٨٨* *٨٨٩* *٨٩٠* *٨٩١* *٨٩٢* *٨٩٣* *٨٩٤* *٨٩٥* *٨٩٦* *٨٩٧* *٨٩٨* *٨٩٩* *٩٠٠* *٩٠١* *٩٠٢* *٩٠٣* *٩٠٤* *٩٠٥* *٩٠٦* *٩٠٧* *٩٠٨* *٩٠٩* *٩١٠* *٩١١* *٩١٢* *٩١٣* *٩١٤* *٩١٥* *٩١٦* *٩١٧* *٩١٨* *٩١٩* *٩٢٠* *٩٢١* *٩٢٢* *٩٢٣* *٩٢٤* *٩٢٥* *٩٢٦* *٩٢٧* *٩٢٨* *٩٢٩* *٩٣٠* *٩٣١* *٩٣٢* *٩٣٣* *٩٣٤* *٩٣٥* *٩٣٦* *٩٣٧* *٩٣٨* *٩٣٩* *٩٤٠* *٩٤١* *٩٤٢* *٩٤٣* *٩٤٤* *٩٤٥* *٩٤٦* *٩٤٧* *٩٤٨* *٩٤٩* *٩٥٠* *٩٥١* *٩٥٢* *٩٥٣* *٩٥٤* *٩٥٥* *٩٥٦* *٩٥٧* *٩٥٨* *٩٥٩* *٩٦٠* *٩٦١* *٩٦٢* *٩٦٣* *٩٦٤* *٩٦٥* *٩٦٦* *٩٦٧* *٩٦٨* *٩٦٩* *٩٧٠* *٩٧١* *٩٧٢* *٩٧٣* *٩٧٤* *٩٧٥* *٩٧٦* *٩٧٧* *٩٧٨* *٩٧٩* *٩٨٠* *٩٨١* *٩٨٢* *٩٨٣* *٩٨٤* *٩٨٥* *٩٨٦* *٩٨٧* *٩٨٨* *٩٨٩* *٩٩٠* *٩٩١* *٩٩٢* *٩٩٣* *٩٩٤* *٩٩٥* *٩٩٦* *٩٩٧* *٩٩٨* *٩٩٩* *١٠٠٠* *١٠٠١* *١٠٠٢* *١٠٠٣* *١٠٠٤* *١٠٠٥* *١٠٠٦* *١٠٠٧* *١٠٠٨* *١٠٠٩* *١٠١٠* *١٠١١* *١٠١٢* *١٠١٣* *١٠١٤* *١٠١٥* *١٠١٦* *١٠١٧* *١٠١٨* *١٠١٩* *١٠٢٠* *١٠٢١* *١٠٢٢* *١٠٢٣* *١٠٢٤* *١٠٢٥* *١٠٢٦* *١٠٢٧* *١٠٢٨* *١٠٢٩* *١٠٣٠* *١٠٣١* *١٠٣٢* *١٠٣٣* *١٠٣٤* *١٠٣٥* *١٠٣٦*

توضح لهم معناه ثم شاع استعماله عند العرب حتى في معناه الأصلي^(١)
 لو انقضت محبة هذا الرثي لكان فيه برهان قاطع على ان عادة الختان قد
 سرت الى العرب من اليهود في الدور الثاني^(٢)
 يجتهد العالم (Wellhausen) في ان يبرهن ان الخيفية كانت مذهباً
 نصرانياً ذائع الصيت^(٣) في بلاد العرب ولكن Lessvinsky به رده^(٤) ويقول
 ان الخيفية لم تكن نصرانية البتة كما ان مذهباً مميئاً بل كان هناك أشخاص
 من مفكري العرب المشكوك في عبادة الآلات واثبات ماثرين بتعاليم اليهودية والنصرانية
 ودخل بعضهم في اليهودية ودخل بعض آخر في النصرانية واتي جماعة منهم غير
 متمسكين بدين من الآتين واستندوا على ذلك بقول القرآن : كان ابراهيم
 يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حقيقاً مسلماً فانه مبرح في ان الخيفية لم تكن
 واحداً منهم.

وقد جاء لبعض الافراد من الخيفيين ذكر في سيرة ابن هشام ان كنفى بن
 مالك يقول عن واحد منهم : واما زيد بن عمرو بن قيس فوقف ولم يدخل في يهودية
 ولا نصرانية ووقع دين قومه فاعتزل الآلات والبنات والذبح التي تدبح على
 الآلات ونهى عن قتل المولودة وقل عبد رب ابراهيم وادأ قومه يعيب منهم
 عليه . . . وكان زيد بن عمرو بن قيس شجاعاً كثيراً يستنه فاهروا الى الكعبة
 ويقول يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده : أصبح منكم على دين
 ابراهيم غيري ثم يقول لهم اني اعلم اني لو جودت حب اليك عندك ونسكني
 لا أعله . . .^(٥)

(١) دوري من ١٩٠

(٢) Skirzen II IV ١٩٢

(٣) Die Juden zu Medina ٤٢

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٧

أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صغر ثم موه لبوا فتقوا عدة
الأربعة الأشهر الحرم فإذا أرادوا الصدقة منهم فقال أنى قد أحلت لكم أحد
الصغيرين الصغر لأول ونسأت الآخر لعدم القبول . . . (١)

هذه أقوال ابن هب عن النساة وهي توضح قبل كل شيء أن وظيفة النساة
أدخلت على العرب في عصر غير بعيد من ظهور الإسلام ثم إن وجود هذه
الوظيفة في بني كنانة يربطنا إلى سؤال: هل كان لعن بن كنانة الذي أصدر
النساة علاقة يعلون بن سكتانة المتهودة التي سكنت جنوب مكة ثم ماذا
وجدت المتهودة للعربية في اليمن ملاحضتي لدى قضي على دى نواس من جهة
النساة وعدم دون الزعماء الوثنيين ؟ أنه يكن من المحتمل أن هؤلاء النساة علاقة
باليهودية . . . ٢

ولكنني أكتفي به أنبرت إليك من علاقة بين كنانة والنساة وكنانة واليهود
ومقاومة النساة لملاحضتي بسبب عظمهم على القضية اليهودية في الجزيرة دون أن
أجزء فيها برأى . . .

ويؤيد أبو معشر السدوسي^(٢) وأبو زريق البيروني^(٣) والمقريزي^(٤) رأينا
في النساة ويقولون إن العرب تعلموا عمل المكسية من اليهود قبل الهجرة بقریب
من مائتي سنة وأخذوا يعمدون مكيس . . . كل فعل اليهود من الخلق فصل
. . . بين منهم وسنة الشمس وقد أطلق العرب على عمل المكسية بالنسي، أي
الناخير غير أنهم خافوا اليهود في بعض أحوالهم لأن اليهود كانوا يكسبون سبع
عشرة سنة قرية بسبعة أشهر قرية حتى تعمير سبع عشرة شمسية والعرب نكيس

(١) ابن هشام جزء ١ ص ١٥

(٢) كتاب الآثار

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية

(٤) التواضع والاعتبار يذكر الحفظ والآثار

أربعاً وعشرين سنة قمرية بالنسبة شهرًا قمرياً

كذلك نظن أن لو خدعة الصوفة علاقة باليهود أو بنسبهم العبرية على أقل تقدير يحدث ابن هشام . . . كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتبين لهم إذا انحدروا من ربي فإذا كان يوم النفر أتوا ربي الجبل ويحلب من صوفة يرمي للناس ما يرمون حتى يرمي فكان ذوو الحاجات المملحون يقولون فيقولون له قم عبيد حتى أرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيقبل ذوو الخدمت الذين يحبون التعجيل يرمونه بالحجارة ويسمحلونه بذلك ويقولون له ويل لك قم فرب غيبي عناهم حتى إذا ماتت الشمس قد فرمى ورمى الناس معه وكانت آخرهم التي قد عليه لاسلام كروب بن صبيان . . . (١)

وأما صوفة بالعبرية فن معناه الخروس وهذا التفسير بلائم . . . فقلنا من كتاب السيرة عن الصوفة (٢٥٤) يصر أو الشخص الذي يصر في الشؤون الدينية لأنه مصدر الأمر حين . . . لغة لا لغة وكان أول من رمى الجوار بالحجارة أو الحصى في وادي مبي

وهي هذا من الأصنام المشهورة عند بني اسرائيل في عصور ما قبل الميلاد
اعلم من آيات نبوت المسيح أن مبي (٢٥٤) كان ذاتاً غامراً
الرب وانما جمل قدسي فرأوا في حد (٢٥٤)
وكذلك يرى العامة دوازي أن استعمال العرب لاسماء الأسبوع زائراً يهودياً (٢)
أذا لا يمكن تصور استعمال لفظ السبت ليوم من أيام الأسبوع دون أن ياتي من

(١) ابن هشام ج ١ ص ١١٤

(٢) من الامم الكثرية لا اله الا الله والخط وقد تحطت تراجم التوراة العربية في تفسير هذه الآية تراجع ترجمة التوراة حنية البشرين المبرهانيين من ١٠٩٠

(٣) أشعيا فصل ٦٤ آية ٦١

(٤) Die Israheliten zu Mekka ١٨٠ ص ١١

تأثير اليهود كذلك عرف يوم الجمعة عند أهل مكة بلفظ عروبة وهو لفظ شائع عند اليهود بصلواته على كل يوم يقع قبل السبت وقبل الأعياد :

יום טוב יום טוב יום טוב (١)

ومع ذلك من مبلغ تأثير اليهود في العرب فني الميل إلى الاحتراس والنحفظ
مثلاً فصل في المداينة والمجذبة في الحادق السارخية

على أن هناك مقدساً آخر يحجب الأروى وهو : فقه فيما مذى من أن الملة
الدموية في العنصر والغريب في الثقافة والخلق هو نفس التشابه بين العقليّة
والجود الأفكار والآداب بين العاصرين

ولا يمكن في كل الأحوال أن نستخرج نتائج منطقية بالعودة كما يمكن بعض
الذين لا يتعمقون في البحث فيقولون مثلاً أن مهمة البحارة وما يتصل بها من
دهاء وذكاء وشجاعة قد حلت في أهل مكة من يهود بلاد الحجاز إذ ترجع ملكة
التجارة عند بطون ثم الثرى قبل كل شيء في مركزها الجغرافي ووقعها في وسط
بلاد العرب وعنده وجود مرافق أخرى فمكسب ولا تترك

ثم إن التشابه العظيم بين اليهود وأهل مكة من وجهة الأخلاق والتقاليد
والاصطلاحات الدينية كان سبباً في ضلال بعض المستشرقين حتى خيل إليهم أن
أهل مكة واليهود قدوا من أصل واحد وبنوا من نية واحدة فخذوا يذهبون في
المبالمات والمطنون مذاهب عجيبة ومنهم دوزي (٢) الذي يجتهد في أن يبرهن
على أن حرم مكة قد عمر بواسطة بطون بني قحطمون وأن تقاليد الحج والطواف
حول الكعبة ليست إلا وريثة الترابية قديمة ولكننا نعتقد أنه إذا ظهر التشابه
بين أهل مكة واليهود أكثر منه بين اليهود والبطون المعجزة الأخرى فإن ذلك

(١) راجع التهود كتاب *אבות ע* وكتاب *פסחים קט*

(٢) *Die Israeliten* ١٨٤ — ٤٠

يرجع الى أن مكة كانت أرقى وأرفع من بقية البلاد في شمال الجزيرة ومن أجل
هذا كان حرم مكة موضع الاحترام والتعظيم من جميع العرب في الجاهلية .
ومع اني أستكر استنكاً شديداً ، استنجد دوزي في أمر حرم مكة
وعلاقته ببطون بني ثعلبة فان هناك أمراً يستوقف الأظار وهو انه كثيراً ما
يحدثنا ابن هشام عن حرم مكة وبنائه واستقرت ابراهيم واسماعيل والملائكة في
تقديسه الخ (١) . . . بشكل بشبهه ، يقصه التلمود عن بدء الفيلسوف المقدس
بأورشليم وعلاقة الآلهة الأقدمين به وتمسك الملائكة له حتى خيال الميت أثناء
قراءتنا كتاب السيرة لابن هشام في هذه الموضوعات انه تقرأ صحف التلمود
القصصية . . .

تجهده طائفة من أنصار Wellhausen في أن يبرهن على أن تأثير
النصرانية في النفوس العربية الخيرية كان أقوى من تأثير اليهودية مستندين
الى أن عدد نصارى العرب كان أكثر من عدد اليهود (٢) ولكن هذا غير صحيح
لان السكينة النصرانية العربية لما كانت على أطراف الجزيرة من جهة الشمال
أما في داخل الجزيرة حيث التركزت الحضارة والثقافة والفكرية فقد كانت
الأكثرية في جانب اليهود الى أن كان هناك من نصارى العرب لا عدد قليل
جداً

وفضلاً عن ذلك فقد كانت العلاقة قوية جداً بين مكة وبئر التي كانت
أسكاد تأثيراً موحداً خالصاً لليهود

(١) ١٠٦ ١٢٤ ١٨٦ من ابن هشام ج ١ ، ويحتوي أيضاً على هذا الموضوع
منها : وقال الرسول يوم فتح مكة الى هذا الحرم الله يوم خلق السموات والأرض فهو
حرام لحرمه الله الى يوم القيامة وأما من جعل القدر فيه لأحد قبلي ولم اعمل الى الساعة من نهار
هو حرام لحرمه الله الى يوم القيامة لا يحض شوكة ولا ينحر صيده ولا ينقطع لقطه الا من
عرضاً ولا يحتل حلاله . . . ج ٢ من ٣٠٦

(٢) من ١٩٧ Skizzen Heft III

٩ وبكيفية في تعويض مزاعم هؤلاء المستشرقين ان نجد أكثر من ثلث القرآن يتكلم عن اليهود وينقدهم ويذمهم بقولهم وأورد عليهم أقوالاً يمدحهم وتارة يفرعهم ويؤنبهم تأنيباً شديداً فمن ذلك يدل على . . . كان لليهود من المسكنة المطلوبة في نفوس العرب وعلى الصلة السيئة التي كانت تربطهم بهم . . .

لا ننكر على التخصيص نسبة تأثيره في العرب بوجه عام وانكسر على كل حال تأثير ضئيل بالنسبة للتأثير اليهودي الذي كان واضحاً جلياً في كل ناحية من نواحي الحياة الروحية والفكرية . . .

وهناك مسألة أخرى تفتت نظر الباحث في كتب بعض المؤرخين من الأفرنج وهي ما يزعمونه من ان اليهود كانوا مختفئين في الجزيرة العربية قبيل ظهور الاسلام (١) ونحن نميل الى الاعتقاد بان ذلك غير صحيح لان العربي في الجاهلية لم يكن يفهم الغرض والصفة الدينية كما فهمها الآخرون ولقد يؤيد الاستاذ النحوي رأيه بقوله : لو كان اليهود مختفئين ما اهتم رسول الله بمخالفتهم ولما اهتم أمرهم يوم الأحزاب حين دنوا عنه ولم يفرحهم بعد يوم الأحزاب على ما لأنهم عدوه واليهما بالأحزاب خربة . . .

وكان عرب الجاهلية ينفقون اليهود تحت القتل والقتل بالثأب قبيحة ذميمة وكذلك كان اليهود يمدحون ولكن ذلك ما يؤيد ان اختصار اليهود أو التعريض بالقومية اليهودية ودينها . . . كان تعريفي الذي ضاع على حسب النظرية والفيرة على التكرامة أن يسلطها من غيرهم وكل الفرق التي تعال على أن العرب على اختلاف بقولهم وأدينتهم كانوا ينادون بالاستمرار دون أن يعرفوا فرقاً بينهم من وجهة الحقوق السياسية والاجتماعية والأدبية فقد نجد كعب بن الأشرف يري في قريش كما نجد عباس ابن مرداس يذكر جلاء بني النضير ويذكرهم في قصيدته . . .

وكذلك يمدح أبو سفيان وعيا من رعاياه اليهود ويقول :

سقاني فرواقى كميناً مدامة على ظمأ منى سلام بن مشكم
 نخبرته أهل المدينة واحداً سواهم فليأمن ولا أفسد
 فلما تقضى الليل قلت وما كان لأفرجه أيسر يعرف ومظم
 ولت أبو غنم يهود وداه يتررب منوى كل أبيض خضرم^(١)

ولا يمكن أن يعول على ما يؤخذ من القصص والآيات التي جاءت بعد فنود
 الأحوال بين اليهود والأفد أو يستدل به على مكانة اليهود في نفوس العرب
 زمن الجاهلية

كان اليهود موضع الاحترام عند الأشراف والفقهاء من قريش وكان رسول
 الإسلام ينظر إليهم بهذه النظرة من الترحيل إلى زمن طوالب بعد مبعثه كما هو واضح
 ذلك فيما بعد

وكان العرب يجهلون الدرة اليهودية ويقولون لليهود «كم غلب إيس لنا»^(٢)
 وقد يحدثنا ابن هشام أن رجلاً من يهود الشام يقول له ابن الهيثم قد علمنا
 قبيل الإسلام بسبعين غل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يعلى خمس
 أفضل منه ففقه عندنا فكنا نقطع عن المصارف له خراج وابن الهيثم
 فاستسقى له فيقول لا والله حتى أقدموا بين يدي مخرجكم سدقة ففعلوا له كما فيقول
 ساعاً من تمر أو قدامين من تمر مخرجهم ثم يخرج ابن الهيثم حركه فيستسقى له
 والله ما يدرج من مجلسه حتى تمر السدقة ويستسقى ففعل ذلك غير مرة ولا مرتين
 ولا ثلاثاً...^(٣)

والذي يمكن أن نستفح من هذه القصة التاريخية أن مؤرخي العرب كانوا
 يعتقدون أن الدرة اليهودية وقوامها كانوا موضع الاحترام في الجاهلية

(١) الأغانى جزء ٦ ص ٩٧

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٢٠١

(٣) ابن هشام جزء ١ ص ٢٠٤

وكان من نساء العرب من تنذر اذا ولدت وعاش ولدها ان يهوده لان اليهود كانوا في نظرهم اهل علم وكتب^(١)



قبل ظهور الاسلام حدثت حروب عظيمة بين يهود بنو نضير وعرفت يوم بعثت دامت سنين مائة كما ذكرنا حدث في جهة مكة حرب فمروا من عرفت بينهم الفجاءة النعمت فيها التحدث بين يهود قريش وكانت في اربعة ادوار يقال لها الفجاءات الاربعة

اما الفجاءة الاولى فكان عمر الذي محمد فيه عشر سنين وسببه ان يدر ابن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس به يسوق عكاظ ويحضر على الناس فيسعد يوما رجلاه وقال انا اشر العرب من رعم انه امرني فليصبرها بالسيف فوات عليه رجل فطهر به بالسيف على ركبته فسقطه واراف فقتلوا وسبب الفجاءة الثانية ان امرأة من بني عامر كانت جالسة يسوق عكاظ فحاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسلم ان تكشف وجهه فصاحت الناس فذاوت امرأة بال عامر فنادوا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فقتلوا وسبب الفجاءة الثالثة انه سكن رجل من بني عامر دين على رجل كناني فذم له جرث بينهما مخاصمة وقتل الحيوان^(٢)

وكانت آخرها فجار قريش وقد بلغ رسول الله أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة حين هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكان ثلثي هاجها ان عروة لرجل من بني هوازن اجاز طليمة (وهي اجل التي تحمل النسل) فقتلها بنو النضر فقال له الهرض يا طليمة شغلته حتى اذا

(١) دلائل العرب في الجاهلية ص ٢٠٦

(٢) من كتابات الشيخ محمود سيد القمطوي على كتاب السير لابن هشام جزء ١

كان يسمي ذى طلال بالعالية وثاب عليه فقله في الشهر الحرام فلذلك سمي
الفجور فارتحل العرب عن عكاظ وهو الآن لا يشعر أن البراء قد قتل ثم بانهم
انظروا فانبهوا فذكر كرم قاتل أن يدخلوا الحرم فوثقوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم
فأمسكت عنهم هو أن تم القوا بعد هذا اليوم أيماء والقوم متساندون على كل قبيل
من قريش وكثافة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول
الله بعض أبيهم أخرجه أعماله معهم وقد أرسل رسول كانت أنزل على نعيم أي
أرد عليهم قبل عدوهم إذا رموهم به . . . (١)

وأما الذي نقله عن أبي الفجور فيحمل أن يكون من العال العالية
والقريبة الظهور الميلاج بين قبائل قريش وكثافة وهو أن

ويلاحظ أن الفصل الشديد الذي ظهر بين قبائل الحجاز في شبهة وجنوبه
بدل على أنه وجد في القرية السادسة بـ . . . حركة سب سبة قوية بين زعماء الحجاز
كل كل واحد منهم يفتخح أن يثبت أن يكون من أن يشبه أو كان مما كان
جديدة

واصطنع النفس أضعف الخلق وقد أقدمهم ويراد في التصاعب والمناعب
التي كانت تعول بين كل واحد منهم وبين ما يريد حتى ظهر ذلك شخص توافرت
فيه شروط لم تتوافر في غيره فأنشأ بين القلوب

ومن ذلك الحين أخذت جذور الجزيرة العربية تتحد الجهاد أو اقرب
بعضها من بعض إلى أن أخرجت في نهر واحد أخذ يتدفق من قلب الجزيرة
ويفيض بقوة حتى غمر وجه الأرض . . .

وقيل ظهور الاسلام وجدت في الحيز العربية نهضة فكرية عظيمة كان
الاضطراب من علامتها، وقيل للاسلام أيضاً أصبحت القلوب مائجة القبول

دعوة دينية جديدة وصارت المديانة الوثنية موضع السخرية جهراً عند بعض
العلقات من المفكرين

يحدثنا صاحب الأمانى أن قس بن سعدة الأيردى كان ينكى عند خطبته
على سيف أو عت ويقول: مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أبشوا بالمقام
فذهبوا أنه تركوا هناك فذهبوا والله على وجه الأرض دين أقدم من دين قد
أظلمكم زمانه وحرككم أنواته فطوبى من أدركه فاتبعه ووبى لمن خالفه^(١)

ومع أن النصرانية واليهودية قد أوجدت التثنية في محبة المديانة الوثنية فتمهما لم
تقلعا في ادخال تغيير جوهرى في النظم الدينية وظلت الوثنية واليهودية والنصرانية
في نزاع خفيف دون أن تتغلب واحدة على الأخرى

وانت تعلم أنه لو ظهر هناك يهودى ذو عقلية دينية قوية ودعا العرب الى
المدخول في دين جديد يشبه اليهودية في جوهره وينسب عربياً في تقاليد وروحه
لكانت دعوته قد وجدت كاذباً مصفية وغوراً واعية

كذلك لو كان واحد من المفكرين الخفيفين أو غيرهم دعا لتوحيد الآلهة
مع إبقاء النظم العربية الاجتماعية الموروثة لكانت دعوته قد صادفت أولاً خصبة
يقول صاحب الأمانى أن أمة بن أبى الصامت فكان قد نظر في الكتاب
وفقرأ وليس النسخ بعداً وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والخليفة وحره الخمر
وشك في الأوثان وكان محققاً وثقى الذين وضع في السيرة لأنه قرأ في الكتاب
أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون ذلك . . .^(٢)

ولكن أمة وغيره لم يظهروا بظهر الأنبياء ولم ينجحوا على أن يبدؤوا بحجبتهم

(١) الأمانى جزء ١٤ ص ٤٠

(٢) الأمانى جزء ٣ ص ١٧٩

في سبيل الدعوة الدينية وبقيت أفكار أهل الجزيرة العربية مضطربة اضطراباً
عنيفاً بين اليهودية والنصرانية والتوتنية إلى أن ظهر رجل رفع شأن النبوة وجماد عزة
ناصرة في جبين الدهر ومجداً بقياً ما بقي الزمان وأرغم الدرع على أن يتحول نحواً
جديداً . . .

وكان اسمه محمد بن عبد الله من آل قريش من مدينة مكة

الباب الخامس

مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية

مبعث الرسول — كيف يكون المبعث في سورة الانبياء لا طريقة التبعث عند رجل العلم ورجل الدين — الطريق التي كانت تعبر منى عند قبوس هجرته الى يثرب من هل يمكن اليهود في مدينة مكة قبيل الهجرة — رأى الآباء المسلمين لآمنين في هذا الموضوع تقسيم النساء من مكة الى المدينة الى أربعة أقسام — الآيات القرآنية الواردة في التوراة والأنجيل — ذكر الآيات القرآنية الواردة في التوراة والأنجيل في مصر — رواية الحنابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يثرب — آيات بعض المفسرين في صحة هذه القصة المأثورة — رأى المؤلف في هذا الموضوع — استدل المؤلف بأن مكة لم تكن في نزوح مكة من المدينة الى يثرب — آيات يثرب في القرآن من آيات العرب أو الى يثرب في حجة الودعة في بلاد العرب — عرض الرسول نفسه على العرب في الموسم — وعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم — معاذة الرسول لشدائمه والمسلمين في حيل قشر دعوته — انتهاء الرسول في المدينة برفعة من الخارج — الفرق بين عقيدة القائلين بالرياسة وبطلون يثرب — آثار تلاميذ اليهودية منهم — كناية اليهودية من الأسباب الدونية لظهور الاسلام — أمثلة اليهود في ظهور مبعث — كناية هذه العقيدة في حوس تلاميذ يثرب — حاجة بطون يثرب الى محلات سرية — قصة عيسى بن مريم وقدمه الى مكة قبل يوم ماتت — بيعة النساء - المعقدة — بيعة البقيع - الكندي — مطامع بني الخزرج من هذه البيعة — العاية التي كان النبي يري في يثرب — نتائج بيعة البقيع - الحضرة في التاريخ الاسلامي — موقف قريش واليهود ازاء البيعة الكبرى والعقبة

يوجه العلماء أنما يبحثهم عن حيدة العظماء من الجلس البشري عدية عظيمة الى البيئة التي نشأ فيها ولوسط الذي أحاط بهم ولا يفهمون يبحثون بهتمام شديد عن الظروف الداخلية والخارجية التي وجدوا فيها لوقوفهم بأن هذا الفضل الأكبر في تكوين عقيدتهم وتسمية شيعتهم حتى إذا استوفوا أبحاثهم الدقيقة

العبيقة يأخذون في استنتاج النتائج التي يطمحون اليها وترتاج لها ضلالتهم
غير أن هذه الوجهة في البحث لا يرتضيها كثيرون رجال الدين أثناء البحث
في تاريخ الانبياء لاسباب من لا يوفقون منهم على فكرة التوفيق بين العلم والدين
لانهم يعتبرون للشؤون الدينية مغزاً آخر ويتزنون رجال نوحى منزلة أخرى
وينظرون اليهم بعين غير التي ينظرون بها الى ابطال التوراة الشري

على أن هذا الاختلاف بين مقياس محقق العلم والدين لا يوجد الا في
تعريف النظرية دون الوجهة العملية في جميعها البحث لأن رجال الدين لا يخافون
الرأي العلمي الدليل بأن نوحى من قبل على لاسباب في ظروف داخلية وخارجية
دعت اليه الأخوان ويواضع نفسيه توفرت في لاسباب دون غيرهم عن عاشوا
في بلادهم وعصوبهم والتقليدات وعوارض نفسيه كانت تعرض لهم في ظروف
خاصة من مرور وشجون واضطراب

وقبل أن نشرح في توضيح الظروف التي كانت تحيط بالحي محمد أتت نزول
الآيات القرآنية الى عهد هجرته الى يرب فربا فربا نوحى في مدله وقع فيها
نزاع بين المستشرقين وهي هل تصلى رسول لاسلام بعد دوحهات من اليهود
قبل هجرته الى المدينة أم لا ؟

لا شك أن أفراداً من اليهود كانوا يقيمون في مكة لالمعامل التجارية وأعمال
مختلفة وفي مكة أنفسهم كانوا يقصدون الى خيبر ليحلبوا منها حلي آل أبي
الحقيق التي كانت بؤهم وفيها تسكن بها حين ذوقهن وغير ذلك^(١)

كذلك كان كعب بن لاشرف قد جاء الى مكة ليرى قتلى بدر كما جاءت
وفود من يهود النضير الى مكة للحرب لالحراب ليوم الخندق^(٢) وذلك بعد
الهجرة

(١) الواقدى ص ٢٧٧

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٩٨

وكان رجل مكة يجلبون العبيد من اليهود ويحدثنا الواقدي أنه وجد في مكة عبد من اليهود كان اسمه عبد المذار بن جبر دخل في ذمة الرسول بعد أن سمع منه سورة يوسف فكان له وقع شديد في نفسه وبقا بلغ الخبر مشركي مكة أوسعوه ضرباً فغطاه الرسول بعد فتحه مكة مقداراً من المال فتزوج بأمرأة شريفة من بنات مكة^(١)

وقد أفرغ المستشرق Lamens جهده في أن يبرهن على أن عدداً من اليهود كان يسكن مدينة مكة قبيل ظهور الإسلام^(٢) ولكن نظريته لا يطمئن إليها الباحث ولو صح ما ادعاه هذا العلم لكان لليهود حق خاص بهم في مكة ولكان لهم معبد خاص يقيمون فيه صلواتهم ويدرسون كتبهم وليس في جميع المصادر التاريخية القديمة ما يشير أقل بشدة إلى وجود شيء من ذلك

غير أنه من الممكن أن يكون بعض الأفراد سكوا في مدينة مكة كما سكن بعضهم في مدينة الطائف^(٣) وفي عدة مدن أخرى من الحجاز ولكنهم كانوا قليلين .

يحمل أن النبي قد اتصل باليهود منذ حياته لأسباب بعد أن اشتغل بالنبوة عند السيدة خديجة إذ كانت لا عمل التجارة في مدينة مكة فربما ارتبطا شديداً باليهود يثرب وخيبر

ويرتاب بعض المستشرقين في صحة خروج النبي إلى الشام والنفقة بإراهم بخير^(٤) ويعتقدون أن الرسول لم يتجاوز حدود الحجاز طويلاً حياته^(٥)

(١) الواقدي ص ٣٤٩

(٢) راجع الرسالة Les Juives a la Meque

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٦٣ طبع مصر

(٤) ابن هشام جز ١ ص ١٦٩

(٥) Die Juden zu Medina ٤١ ص

وقد قسم العهد Nuchke القرآن الكريم الى أربعة أقسام يشتمل القسم الاول منه على الآيات التي أنزلت قبل الهجرة التي يترب وينصح أن لا آيات في هذا الدور كانت موافقة لمبادئ النورانية الجوهرية وكانت ترمى إلى التأثير في النفوس العربية التي كانت تنظر باحترام عظيم إلى تعاليم التوراة ومبادئها * أن هذا الذي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى * (١)

وإنني أتذكر أن أهل مكة بن محمد تعرب أنه هو مثل موسى النبي إسرائيل ويناديهم أن هم لم يؤمنوا بما جاء به النبي محمد بن عبد الله * أدب قوم فرعون فيقول * إنا أرسلنا اليك رسولاً * هذا عيسى كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً * ويذكر فكيف نقول إن كثرت يوماً يجعل التوراة شيئاً * (٢)

كما يقول * قل * كذبت سعاد من الرسل وما أدري * يفعل بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إلي * ولا تغرب عيني * (٣)

نفس هذا التعريف يوجد في كتب العهد القديم عن بعض الأنبياء * الأسرائيليين (٤) ويخطب نوحى تعرب بما يسمونه أن النبي ذكر في التوراة وأن بني إسرائيل يعصونه * وأنه عزيريل وب العندين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين * وأنه في إبراهيم لأولين أولم يكن لهم آية أن يعلوه غلامه بني إسرائيل (٥)

ويشير عزيريل إلى أن هناك توافقاً تاماً بين القرآن والتوراة * قل أن أنتم أن كل من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن

(١) سورة الاعلى آية ١٩

(٢) سورة المزمل آية ١٥

(٣) سورة الاحقاف آية ٨

(٤) راجع ميخا فصل ٢ آية ٦ حزقيال فصل ٢٦ آية ٧ (٥) (٥٥)

(٥) سورة الشعراء آية ١٩٥

واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين... ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لبشر الذين ظلموا وبشراً للمحسنين^(١)

من هذا يستنتج المستشرقون أن الأفكار في مدينة مكة كانت على علم بدين اليهود ونعاليه وأن النبي الجديد قد ظهر بظهور الأنبياء الأمرائيليين كي يثبت صحة رسالته ويؤيد دعوته التي يعاد قريباً في اليهودية

ويحجب المستشرقون من أنه لما أتت في هذا الدور أقل ذكر المسيح أو أنه الهم الإنجيل وأن أول إشارة في القرآن لتسليم المسيح^(٢) ما كان إلا في السورة العاشرة بعد مبعث النبي محمد^(٣)

وقد يستنتج البعض (Lamm) من هذا أنه كان هناك يون شاسع بين قلوب وجمل عرب الحجاز إلى الجاهلية وبين مبادئ النصرانية وبعدهم، إنما كانت السود القرآنية في الدور الأول لا تقوم واحدة من الإشارات إلى... في النوراة والمسيح في مواضعه وذكر في... من أرواح بني إسرائيل^(٤)

مع أن من المؤكد أن أولئك من أحرار بني إسرائيل وعبيدهم قد كانوا في مكة ككثيرين ومخلفين بينهم، ولكن لما كانت أن أهل مكة قد عرفوا النصرانية ونعاليها ومبادئها

كل الشك بجهالة اليهودية شديداً جداً التي عند أن قبلة الرسول في ماله كانت إلى جهة أوروغونغير كما هي عند اليهود فكان الرسول الأصلي صلى بين الركبتين البرأى والاسود وجعل الركبة اليمنى وبين الشاة^(٥)

ورواية الحنكة رسول الله وبني قريش في يهود يثرب تدل على... كان

(١) الأحقاف ٩ - ٢١

(٢) سورة مريم

(٣) Die Juden ٤١

(٤) ابن هشام ج ١ ص ٢٢١

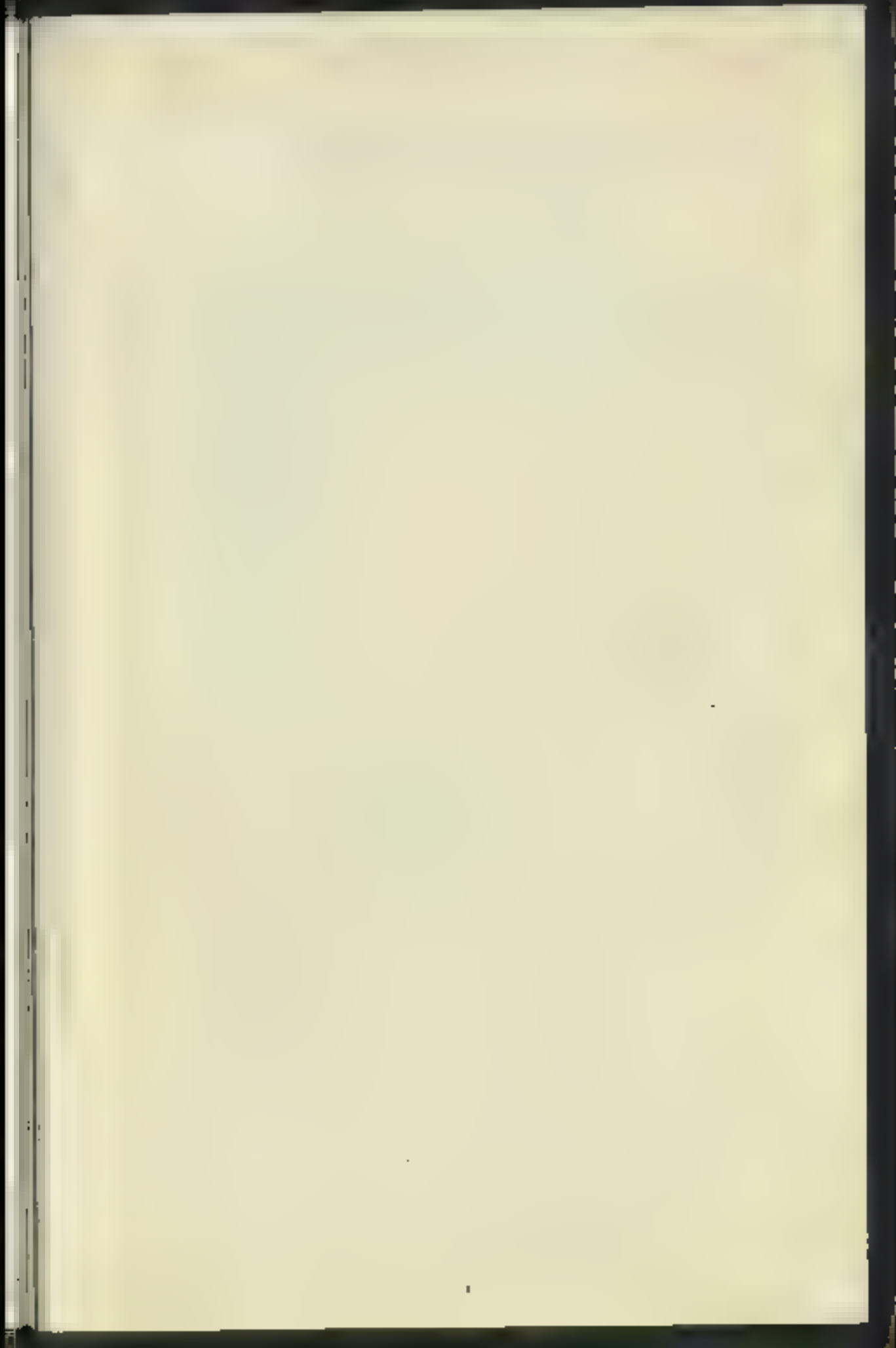
مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ

مقاس الرسم ١:٦٠,٠٠٠

ملحوظات: (١) الكعبة (٢) بيت المقدس (٣) الصفا .
(٤) المروة (٥) منزل السيدة خديجة (٦) الشرف



وضعت كتاب تاريخ اليمامة في المأهولة ومسجد الاسلام للشيخ، سراج الدين، والفقير .



الطوائف والفرق (١)

ويأتي بعض المستشرقين صحة هذه القصة الخطيرة دون أن يتأوهوا بدليل
نصين إليه ^(*) وأحق أن من العير إنكار بوجوب تاريخية كانت سبباً في نزول
سورة السجدة والآيات الخاصة بالروح وذى القرنين

وعندنا دليل يعتمد على الاعتقاد بأن هذه الرواية من المحتمل أن تكون
واقعية وهي أن في التلمود قصة مشهورة تشبه قصة أهل الكهف (١٤) ومن هذه
القصة أخذ أحبار اليهود الأسماء التي وجوها. رسول بواسطة وفد بني قريش
وتأثير هذه القصة في ذهنهم من أنها يمكن أن تكون أحد من اليهود إذ لم
يوجد منها في مكة. فوجدوا بني قريش وفدوا إلى المدينة إلى آل أبي طالب اليهود عن
شأن النبي وذا وفد منهم أحد واحد الذي يكون غير عام

[illegible]

ومارئي الرسول . يصيب أصحابه وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه
من اللذات . فخرجهم وتزوج إلى بلاد الحبشة وكان في ذلك لا يفلح عنده أحد
وهي أرض صدق فخرج عند ذلك ملبسون من أصحاب الرسول إلى الحبشة مخافة
(الفتنة ومارئي الرسول) (٥)

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْهَى هَؤُلَاءَ عَنْ جُرُوتِهِمْ إِذْ يَقُولُ مِنْ أَقْلَابِ الْعَرَبِ أُوّالِي يَهُودَ

(۱) این بحث - جزو ۱ ص ۲۷۴

Die. Jansen 79. = (4)

(۴) راجع النصوص كتب ببا تهاد ق

(۲) این قسم جزء ۱ ص ۴۸۸

(۵) این کتاب جزء ۱۰ ص ۳۹۷

يُغرب ؟ بعض المستشرقين من المتعصبين للتصيرية يقولون بأن النبي إنما أشار على المسلمين بالتزويج إلى الخبشة لأنه كان يفضل وجود المسلمين في بيئة مؤمنة من التصاري على وجودها بين المشركين والسكك بعيد إلى الاعتقاد بأن عملاً سياسياً هو الذي كان السبب في تزويج المهاجرين إلى الخبشة

كانت الأمة الحبشية تجمع منذ أجيال قديمة في فتح الأقاليم العربية وكان ممالك الحبشة يراقبون أحوال الجزيرة مراقبة تدبيرة ويسعيون الغرض لنفسهم مطامعهم الاستعمارية من أجل ذلك بلغ التدخل في الاحداث بالاجئين من مكة أملاً في أن يمكن بسدسهم من التدخل في شؤون مكة الداخلية

ولما بلغ المهاجرون إلى قومه من العرب في الجزيرة تحفة من هيئة قريش وعدوانهم وكانت بلاد العرب مرتبطة بجزيرة قريش ارتباطاً تجارياً وديناً وكان بعضهم محلات وغفود سببية مع رجل قريش

وهذا الباب نفسه منع النبي الهجرة إلى يثرب إذ كان بين يثرب واليهود وآل قريش علاقات تجارية مبنية على تمكن تسميح لليهود أن يؤسسون وتخرجوا من الاحداث بأعداء قريش ووفق ذلك فقد كانت الحرب دائرة بين يثرب وقريش في ذلك الحين (يوم يحدث)

إذاً فقد كانت بلاد الحبشة أقرب إليهم هدياً إلى مكة وكانت هي البلاد التي تمكن الهجرة إليها مع أمن المهاجرين على حياتهم وأموالهم

وبعد هجرة المسلمين إلى الحبشة أخذ الرسول يعرض نفسه على العرب في التواضع ويسعدهم إلى الله ويخبرهم أنه أتى برسالة

وقد رحل إلى الطائف وعرض نفسه على يثرب فلم يقبلوا منه وخلفوه وأنكروه فقال له أحدهم هو يرضى لئيب السكينة إن كان الله أرسلني وفل لا آخر أما وجد الله أحداً يرسله غيرك وفل الثالث والله لا أكلملك أبداً أنت كنت

رسولاً من الله كما تقول لأنك أعظم خطراً من أن أتدعيك بالكلام وإن
كنت تكذب على الله ما ينبغي في أن أكذب ثم أغروا به سفههم وعبيد
برجونه مخدرة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وأجذوه إلى حائط فدا
أطعن يومه فلما بينهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس
يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت إني من تكافى إلى عبيد
بهمجتي ثم إني عذو منكته أخرى (١)

وهذه القصة المؤثرة تدل على الشدة التي كان بها رسول الله عريته
دعوته على بطون الطائف ثم انظر مقدره الفاتحة التي لا توجد إلا عند كبار
الأخيار من رجال التاريخ المشهورين حين ما يكملون أعمالهم في الدنيا ولا
يقولون إلا ما كان في قلبهم من حبهم لله في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله
الله بكل ما أمكنه من حيلة ومهارة ولكل توجه كان يفتقره في ذلك الحين
لأنه لم يكن له قوة على ترك عبادته لأحد وهذه القصة التي تدل على
العرب لا وعلى أن المسيح هبل والآيات والعرض من أسفهم (٢) وكان ذلك قوفاً
منهم غافلاً وتغافلهم غومهم ثم رجع رسول الله إلى مكة

وفي النبي في الشدة والشداء في سبيل الله دعواته وأعدائه يزدادون
في أسفه إليه حتى انتهى إلى من عذبهم فوجئت دعواته لديهم آذاناً
مصدفة وقوراً وعية حينما رسول في العقبة فذبح بعضاً من الخوارج أراد الله بهم
خيراً فقال لهم من آمن فلو أنقر من الخوارج قول من يؤمن باليهود فلو أنقر
تجسسون أكلكم فلو أنقر من الخوارج قول من يؤمن باليهود فلو أنقر
الاسلام وثلاً عليهم القرآن وكان من أسفه الله لهم به في الاسلام أن يهودا كانوا
مهم في بلادهم وكانوا أهل كذب وعبد وكانوا أهل شرك وشعب نوثان وكانوا

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٦

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٦

قد غروهم ببلادهم فمكثوا اذا كان بينهم شيء قلتم اليهود بن نبيهم معوث الآن
قد اقلل زمانه فتابعه فتقتلكم معه قتل عاد وابره معكم رسول الله اولئك الذين
ودعهم الى الله قال بعضهم بعضا يرفوه نعموا والله ان الله لننبي الذي وعدهم به اليهود
فلا تسبقنكم اليه فجاهدوه فيما دعه اليه بان صدقوه وقبلوه معه . . . عرض عليهم
من الاسلام وقولوا له ان قد تركنا قومنا ولا قوم ياتهم من العداوة والشر . . . ياتهم
وعسى ان يحصوهم الله بكم فستقذروهم فاستحوهم الى مكة وعرض عليهم
لاني احييتكم بالبر من هذا الدين ثم انصرفوا عن رسول الله حين انى بلادهم
وقد آمنوا وصديق (١)

ويطرح من هذا انه كان هناك يومئذ بين عقبة الذي في القحاة
بالطائف وغيره من سائر القبائل التي خرج من عظيم رسول دعوته وبين عقبة هذا
كثير من رجال يترقبون كذا في الاولى عقبتهم . . . مددوا اليهم فمضى الى اسعد
المصود الروحى . . . كذا في الثانية عقبتهم . . . مددوا اليهم فمضى الى اسعد
نصفه دعوة رسول حتى قهرهم وعقبتهم ووجدت دعوة رسول في هذه النفوس
رغبا خالصا فحلفوا له من اجديهم في وادعه . . .

ولا شك ان هذا اثر من آثار النعمانية والنجاة من شر لاخلاق

الشديد بيهود يثرب

وهكذا بعد تلك الشدائد التي نزلت على بسبب غرضه دينة على
العرب في تلك السنين . . . مدية وهجومهم على كل من يجر من دين آية
وحد آية بطونا يثربية دخلت في دينة بالامانة ووجدوا فيهم يثربون اليه
نظر التعظيم والتعظيم . . . انى منهم رسول

ومن هذا ينكر ان يقاتل بن يهود كانوا من اهل لاسب التي سددت على
ظهور الاسلام وان يكن ذلك بطريقة غير مباشرة

وهذا ملاحظة أخذناها من هذه القصة — قصة النفر من الخرج — وما
 نجاه من قلبه اليه من المؤمنين وهي أنه رشح في نفوس اليهود من اعتقاد بحى
 مسيح ينقذهم من اليأس والشك. كان له الأثر الكبير في انتشار الاسلام كما
 كان سبباً في ظهور النصرانية في فلسطين عند طائفة خاصة من اليهود وكما كان
 سبباً لظهور عدة أشخاص من اليهود في القرون القديمة وتوسعي بظهور الانبياء
 والمرسلين حيث عرضوا على الخوارج ثم لم يلبثوا جديده وادعوا لانفسهم دعوة
 المسيح المنتظر

وقد ملأت هذه القصة صحفاً كثيرة من صحف الأدب الاسرائيلي القديم
 والحديث وكثيراً ما كانت سبباً في نزول بلاز وروايات كثيرة باليهود في ادوار
 مختلفة ولا تزال هذه القصة الى اليوم اسخنة في نفوس الميثقات المتدينة من اليهود
 وثاقهم شخصي وادعى أنه المسيح المنتظر الذي يحنون اليه منذ أن كان صبياً
 أنكروا ادعاءه وسفهاوا قوله ورفضوا ادعاءه بدعوى انه يمشي على الماء
 الاسرائيلية كانت ترمى هذه الفكرة الى غاية مسوية لا يريدون تحفيها بوجه
 من الوجوه

ولكنها لمبت دورها بين العوامل التي أدت الى انتشار الاسلام إذ كان
 العرب يسمعون من اليهود أنهم في وقت الشك واللامات أن مسيح المنتظر
 سيأتي لينقذ على أعداء الشعب المختار فله عرض النبي رسالته على أفراد من
 الخرج تنسوا الى قول اليهود حقيقة يعتقدون لاسلام ويؤمنون بدعوة الرسول
 وهكذا أدت تلك الحادثة بين الرسول وبين النفر من الخرج الى هذه
 النتيجة العظيمة ذات الأثر البعيد في التاريخ البشري

لكن هذه عوامل أخرى ذات أهمية كبيرة وهي تلك المذمة السياسية
 التي كانت ترمى اليه يقول العرب برب عبد يربط العروة الوثقى مع النبي

والذي ينعم النظر في تاريخ بطون يثرب يرى أن الطوائف الضعيفة في المدينة كانت تعمل سرا على الجهاد محالفت مع قبائل عربية قريبة وبعيدة
فمن المحتمل إذن أن تكون الأوس والخزرج قد حلفت بطون بني غسان
مخاربة اليهود في عصر أبي جبيشة كذلك يحتمل أن تكون تلك البطون قد
عرضت المحالفة على قريش ولكن لم يعمل شيء عنها اليك أو أن قريشا قد
استبكرتها لمصلحتها النخارية

ونحن نعلم أن بطون الأوس قد أوسدت قبل يوم بعثت وفد إلى مكة وكانت
في ذلك الحين عاجزة عن محاربة بطون الخزرج وكان وفد الأوس يرمي إلى
تخريب قريش على الخروج ولكن قريشا رفضت المدخول في أمور مكة بشتم
منها والحقه القدام

ويحدث ابن هشام عن هذا الوفد أن أبا الحيسر بن رافع قدم مكة
ومعه فدية من بني عبد المطلب فيهم يس بن ممد بن ممد بن خلف من قريش
على قومه من الخزرج وقد سمع بهم رسول الله وأمره مجلس اليوم فقام لهم هل
لكم في خير أم جئتمكم فقلوا له نعم ذلك قال رسول الله يعني إلى العبد أن
يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأمر على الكذب هذا يس بن ممد وهو
غلام حدث هذا والله خير مما جئتمكم فقلتم أبو الحيسر يس بن ممد غني وجهه
وفل دينا مات فلعمرى قد جئتكم بعد فتمت من ثم نصرته إلى المدينة
وكانت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج^(١)

وهذه القصة ذات شأن عظيم في فهم تاريخ بطون يثرب وإلى الأصيل إلى
الاعتقاد بأنه لو لم تكن هذه قصة بالرسول لأهمل ابن هشام كما أنه مؤرخو العرب
القدام ذكر محالفت أخرى مع قريش جئت الأوس والخزرج لتعرفهم عليها

ثم بعد يوم بعثت فقد ظهر عند بطون النجاشية على أمرها أن تأتي
أثر اللاوس في أرض شجرها وكانت بطون النجاشية نحن في اللاوس
واليهود معاً لأنهم قد أخذوا فيهم أشجاراً وبغوا في قلبهم فقد ذهب الفرس من
النجاشية إلى مكة لأذية فرعون النجاشية وكان قسمه ببيض أسى وحزن فلم يكده
يعرض لرسول دعواته عليه حتى قبلوا به وأما بدعواته وبرحمته لأنهم أرادوا
أن يكون هو مبعوث المسيح بأنفسهم ثم بعد ذلك من يأس وشدة

وفي العام التالي في موسم الحج حدثت بيعة العتبة المشهورة ببيعة المقدس (١)
وفي الموسم الثالث كانت البيعة الكبرى العظيمة وقد شارك فيها المسلمون
من قبله والامس والنجاشية وأما هذه البيعة في سيرة بن هاشم (٢)

وأما الفرس من بني كنانة يرمي إليه الرسول فكانت ضاربتاً قبل كل شيء
ثم إلى بيعة هذه البيعة ففرس إلى أسى منه وفي كل مؤمن بها كانت الغلبة
إلى يرمي إليه بنو النجاشية فبين كل شيء وهي البيعة فمؤذنة عذوبة
أسى ما في قلبه وبخلافه وهو بطون يهود في بنو

وقد فن كثرهم الفرس حتى ما قبلهم الرسول في بيعة وبين أرجل حلالاً
وإن فطمتهم وهي اليهود - قال عيسى - نحن بعد ذلك ثم أظهرنا الله
نرجع إلى قومك وأنت قدس الرسول وفي كل شيء وأخذه فطمتهم أما ذلك
وأنت مني أهدت من حلالهم وأنت من ستمهم (٣)

وإذا سمعنا هذه الحديث وما قبلنا أن الغلبة التي كان بنو النجاشية
يرمون اليها من مشروعات بيعة العتبة الكبرى ظاهرة جديدة إذ هي مؤثرة يهود
بنوهم وهذه كذا

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٨ - ٤٣

أو النبي فقد وعدهم ما وعد لكسب ثقتهم التامة وإنما الغرض الذي كان
يسموا اليه في الواقع فقد كان غير غرضهم أنه ما إذا يكن بعد قد نشأ بينه وبين
اليهود شيء من المهادنة وما يكن يصبر لهم قبل شيء بل كان يرجى إلى توحيد يظنون
يترتب جميعاً وحملهم ثمة واحدة لينتسبوا من أن يجذب بهم الله هذه...

وكذلك يحصل أنه وعد التفرغ من الخروج الذين اتفق بهم رسول في البيعة
لأولي بأن يتناول أعداءهم من الأوس واليهود جميعاً ولكن في بيعة الله قد
اشترك بعض القبائل من الأوس ومع ثمة يشترك أحد من أعداء اليهود في
البيعة الكبرى فإن النبي كان يعتقد رغم هذا أن سيدخل اليهود في ذمة حيين
يظنون في يترتب

وإذى مهد السبيل وهذا الترتيب للبيعة الكبرى هو ما كتب بن عمر الذي
ذهب مع العلاء من يظنون يترتب مع بيعة الله وفقر مع الانصار القرآن وألف
بين قريشهم وكان الأوس والخزرج يكذب بعضهم بعضاً فكتب بعضهم أن يؤمنه
البعض الآخر (١)

والشكل مصدب بن عمر استدل أن يختلف بين الله لأنني عشر في يترتب
وأن يأتي بهم من آفيل مناصرين في ثمة واحدة إلى البيعة الكبرى

وهذا يترتب سؤال وهو ما إذا يشترك من اليهود في هذه البيعة أحد أم
يكن مصدب بن عمر رضى لأدعهم في حادب أن أن اليهود يداو دعونه أو
أنه حتى من دخول اليهود في هذه البيعة أن الخلف غريزة رغم الخروج...

هذه أسئلة يجيب لا تغيب عن الناس في أثناء بحثك في تاريخ البيعة
الكبرى بالحقبة

وهذا يعني أن سؤال وهو كيف كان موقف قريش واليهود من نجد رسول

الى بطون يثرب العربية التي انتهت بالبيعة الكبرى بالعقبة ١

لقد رجعت الى ما كتبه العرب عن حركت قريش أثناء البيعات في مواسم الخرج من ناحية بطون الاوس والخزرج فوجدتهم اقتسموا على سبط أعمال زعماء قريش بعد البيعة الكبرى وفي أثناء العمل هذا قيل يمكننا أن نصدق أن قريشاً وقفت موقف الحيد في تلك السنوات الثلاث التي استمرت فيها المحادثات والمفاوضات بين انصار الرسول وبين بطون يثرب ونحن نعلم أن زعماء قريش قد أعلنوا عداوتهم للهجرة الجديدة منذ نشأت ولم يتأوا جهداً في قلبها وهي في المهد ولم يتحركوا وسيلة لابتعاد الفتنة ضد المسلمين إلا جأوا اليها حتى لقد أرسلوا الوفود الى الحبشة يستعينونهم على الخراج المؤمنين من دينهم ، ويمكن أن نعلم أن قريشاً أغضبت أو تهاذفت عن تلك الحوادث الدمة التي كانت تجري في مكة في حين كان القوم يؤدون شعائر المدينة وكانت تلك الحركات العدائية مدفوعة الى العقائد القديمة من ناحية شعير عربى في قوة وفؤاد في شمال الحجاز بأهمه ١

أولاً هذا لا يمكن أن نعلم بذلك الحيد المطون بل نرجح أن قريشاً بدلت كل ما كان في وسعها من القوة والنفوذ المحيط بشروط الرسول ولترجع زعماء الاوس والخزرج في موقفهم الاول ولكنهم حابت في هذا المسعى لأن بطون يثرب لم تستمع لهم إذ كانت تثورت بنفوذ النبي ورأت أن مصالحها السياسية والاقتصادية تقضى بالانضمام اليه

وانه ليعيب أكثر من هذا أن تعرف موقف يهود يثرب أولاً هذه البيعة الكبرى بالعقبة فإن المرجح العربية لا تشر الى حركتهم ونياتهم أولاً هذه البيعة الكبرى كان الدعوة الاسلامية لا تصل اليهم وكانهم لم يفتقروا على شيء من أعمال البطون اليتيمية العربية

ونحن نرجح أن اليهود لم يفتقروا عن تلك الحركة لأنها متعلقة بمصالحهم

السياسية والتجارية والاجتماعية خصوصاً إذا لاحظنا توجه الدعوة الإسلامية
نحو المدينة ومبيل زعماء الخروج إلى الاتصال برسول ونحن نعلم ما كانت
بينهم وبين اليهود من الحقد ثم جعل زعماء بني النضير وقد رافقون حركاتهم
جميعاً ثم أعلن أن الإسلام لما ينشر خفية في الحرب وكيف وقد كان مصعب بن
نمير يدعو الناس إلى الله ورسوله على مرفئ من جميع البطلون وكان يتنقل من
بطن إلى بطن ومن حي إلى حي مدة طويلة ثم إنهم بعد ذلك عدداً من تجار اليهود
كان يشتركون في مواسم الحج فمن بعدهم كان يجهل اليهود تلك الشؤون كما
سورهم كتاب الأخبار

نحن لا نشك في أن اليهود لم يكونوا متحدين في ميولهم السياسية والاجتماعية
فقد كانوا في شقاق دائم وقد ظهر بينهم لأمة لا في أية المؤسسات والشدة كما نجد
بنو النضير وبني قريظة في يوم باتت ضد عدوهم من بني النضير وفي يوم باتت
كان سوفيقهم بخزائن إلى جانب صفوف خروج ضد أعداء جلدتهم وقد بلغ
اليهود في قلوبهم وعداوة بني قريظة انهم اليهود قديمة مما يرى بعض المستشرقين
أن ذكرهم اليهود على الخروج من مدينتهم ولا كنداء بينهم الذي كان يحويه
بنو النضير

وإذا علمنا عسير ذلك من يهود هذه القبائل القديمة الصغرية وكان من بطون
العرب في الحرب أسرى يهود وه الخروج من ديارهم إلى بقيت محافظة عند ذلك
بين قلوبهم ونحن لا نجد هذه القبائل القديمة في اتصال العريف ضد
الإسلام

فهل نعلم أنهم لم يتدخلوا قط في شؤون الحرب أو أنهم كانوا في صفوف أعداء
دينهم وهم يذكرهم مؤرخون قديمين وقد يفسح أن يفترض أنهم مع يهودهم آثروا
الفرقة القومية على المصلحة الدينية في شتركوا في حرب اليهود المسلمين

كانت العلاقات بين اليهود وبين قريش في غاية الصفاء لذلك ففرض انه اذا لم يفلح رعد قريش في استمالة رعداء الخزرج فاتهم لا بد ذاهبون للغرب من بعض رعداء اليهود ليعملوا على احباط أعمال المسلمين في المدينة وكذلك كان قول الذي يتأمل : جرى بين كعب بن الأشرف وعيم بن النضير وبين الرسول يرى أن ذلك الرجل كان يقوم بالحركة لاسلامه منذ وصات أرض يثرب والامداد الذي استعمل أمره بين الجهنين يؤيد : يقول

واسكن اذا اقربض اتفاق رعداء اليهود مع قريش لانهم لا يسمون
هناك احد من جهة اخرى في تحرير اليهودي أحد رعداء وأشقيته بني النضير
كان من أوفى الناس للرسول وكانهم ميلا اليه منذ هجرته وكذلك ظهر عبد
الله بن سالم ولا اله الا الله قبل أن تلت الأمانة بين النبي وبين يهود المدينة

كل ذلك يؤيد : ما قيل اليه من ان الغزاة السياسية عند رعداء اليهود
كانت مختلفة كل الاختلاف وهذا كله فرض قد يستند في التبعث عن العلاقات
بين المسلمين وبين قريش واليهود

ويقول الأستاذ الشرح عبد توهب النحر وقد ذكر في رسالته ونحوه
السيرة أن أهل يثرب لما برعوا النبي البينة الكبرى سمعت قريش في تلك الليلة
بذلك البينة مع شبه كانت مريفة لم يعد من وثيم أهل يثرب فمن الذي ألقى
الى قريش بذلك الأمر

لا جوار أن يكون أحد اليهوديين منهم : كان ولونديون لا علم لهم بشي
والذي يفترضه أحد امرين :

الأول أن تكون قريش سمعت الى الأمر ورقت محمداً من حيث لا يدري
حتى اذا اجتمع بمصاره بلغهم حينئذ : كان فقطوا الأمر

الثاني أن أحد اليهود من قريش الموسى : في حيرته في نذار على حث غير

معتادة ففطن الأمر وأمر إلى قريش بما رأى

وقد ذكر المؤرخون أن قريشاً عتبت أهل يثرب على ما كان من أمر بيعة
الرسول فسكت من كان منهم مؤمناً ودخل في بيعة النبي وتكلم المؤمنون فذكروا
أن يكون حصل منهم شيء. ذكره قريش وسخطوا لهم على ذلك فرجع القرشيون
حين سمعوا ذلك . . .

وهذا يكن من شأن هذه البيعة العظيمة فمنها من انحازت ذات النتائج
الخطيرة في التاريخ الإسلامي

والتي أعقد أنه كان من الخلق على المسلمين أن يبتدئوا تاريخهم من تلك
الليلة لأن قيدها لم تكن أقل شأناً من قبعة هدية رسول إلى يثرب . . . ومع
ذلك فلم يذهب شيء كثير من الهجرة حسرات في الليلة التالية لها عن قرب

الباب السادس

لهجرة الرسول الى يثرب

واجلائه بنى قبناع والنضير عنهما

آتت اليهود التي كانوا ينظرون لحقيقة بعد قدومه النبي الى يثرب — مع هذه الرسول مع
يهود يثرب — من الصحيفة — آتت المنقرضين فيها — قيمة هذه الصحيفة — نظام
الحكم في منطقة يثرب قبل هجرة — رغبة الرسول في التأليف بين هويتين المنفصلتين
واليهود — آتت بشأوه التفرقة بين العرب واليهود — بعض ألسنتهم جوهرية سوء
التفاهم أهمها المؤرخون — فبدولة المدينة كان من غير مضمونة — اشتداد الألفة السياسية
بين الرسول واليهود — مثل المنطقة المنفصلة من اليهود في سبيلها لا تقع المياه الى محاربا —
دور المنافقين في هذا التفرقة — يوم بدر — فكانوا يشكك اليهود في الدين يوم بدر —
دعوة الرسول في قبناع الى الاسلام — لاسباب التي أدت الى نشوء العداوة بين
المسلمين وبين قبناع قبل هجرته من اليهود — رد بني قينقاع على دعوة الرسول — جلاؤهم
عن المدينة — آتت قرابة مكة في حلفاء بني قينقاع عن المدينة — يوم أحد — التفرقة بين
النصارى من الاشعاش في هذه الواقعة — تحريك اليهودي مدبري الرسول — قتل كعب بن
الاشرف — نقطة خلاف بين بني هاشم والقبيلتين — أمر رسول الله بن النضير عن
المدينة — استمرار بني النضير على المقاومة شجع زعيم مدبريهم — لزوم بني النضير على
حكم الرسول — مدبر بني النضير — شعر العرب في يوم بني النضير

لا شك أن اليهود كانوا يريدون الاحوال التي طرأت على يثرب بعد البيعة
الكبرى بالبيعة وراغبين نظور الحوادث ههنا شديد ولا يكن يدور في خلدكم
ان سيحدث ما يوجه الحوادث في تيار مصداق نصائحهم ومبدأ لحياتهم ولو أنهم
تيسروا في مظهر الخزيح . يدل على شيء من ذلك لأشاعوا الحرب جهرا ومنضمين
الى حلفائهم من السطون اليهودية أو منضمين مع قريش

ويلوح لي أن اليهود كانوا ينظرون بفارغ الصبر قعوه النبي إلى يترب وكانوا يعتقدون أنه في مصلحتهم فقد نادى فيهم أول رجل منهم رأى النبي في يترب بأعلى صوته « هذا جدك قد جاء » (١)

كان يهود يترب يتشوقون لرؤية الرجل الذي ينشر دعوة دينية تنفق في جوهرها مع عقائدهم وكانوا يعتقدون أن ظهور رجل ليس من بني إسرائيل يدعو إلى توحيد الآلهة وإلى تعاليم النورانية وإلى توحيد إبراهيم وموسى إنما هو ظاهرة غريبة في التاريخ البشري

ولاشك أنهم سمعوا من مصعب بن عمير بعض الآيات القرآنية وأنه كان لهذه الآيات وقع حسن في نفوسهم جعلهم يؤمنون في هجرة النبي إلى يترب آمالاً كبيرة

ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أو على الأقل يرجون أن يتمكنوا من التأثير فيه حتى يدخل في دينهم حيث يتحولون على نحو عبادة الأصنام وقد يحتمل أنهم كانوا يرجون أيضاً أن يتمكن الرسول من التآليف بين المظنون البهيمية وجعلها كلمة واحدة تتناول على التمهوض بهذه المدينة التي كانت في حاجة شديدة إلى الهدوء والسكينة وكانوا يعتقدون أنه لو تم ذلك لأصبحت يترب أعظم مركز للتجارة في الجزيرة ولتسكن أهلها من أن يقصر بها التجارة مكة وغيرها

من المحتمل أن آمالا من هذا النوع كانت نجيش في صدورهم أثناء الفترة التي كانت بين البيعة الكبرى وبين الهجرة

كذلك كان الرسول يرغب في التقرب إلى اليهود نظراً لمساكنتهم الرفيعة من الوجهة الأدبية والفنية والسياسية في البلاد الحجازية وكان يعتقد أن اليهود يدخلون في ذمته وملكته بلا مقاومة بل يرجعون بدعوتهم التي تشبه في جوهرها تعاليم

إدفعني وسبعة ظلم أو أحم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيدهم عليه جميعاً
ولو كان ولد أحدكم

ولا يقبل مؤمن مؤمناً في كفر ولا ينصر كافر على مؤمن وأن ذمة الله واحدة
بمجير عليهم أديانهم وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس

وأنه من تبعنا من اليهود من له النصر والأسوة غير مفلحين ولا مستأجرين
عليهم وأن سب المؤمنين واحدة لا يسب مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله
إلا على سوء وعدل بينهم وأن كل غزاة غرت معك تغرب بعضهم بعضاً وأن
المؤمنين بنى بعضهم على بعض في سبيل الله وأن المؤمنين المتقين
على أحسن هدى وقومه وأنه لا يجير مشرك ولا تقربش ولا نفساً ولا يحول دونه
على مؤمن وأنه من أعطيها مؤمناً قتلاً عن بينة فانه قود به إلى أن يرضى ولي
القتول وأن المؤمنين عليهم كافة ولا يحل لهم الاقبات عليه وأنه لا يحل مؤمن أقر
به في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محمد ولا يؤذيه وأنه من
نصر أو آواه فن عليه لعنة الله وغضبه وبه القينة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل
وأنكم هم المختلفتم فيه من شيء من مردد إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله
عليه وسلم

وأن اليهود يفتقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بني عوف أمة مع
المؤمنين لليهود دينهم والمسلمين دينهم مواليهم وأتبعهم إلا من ظلم وأنهم فنه
لا يوتغ (أي لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته وأن لليهود بني الحجار مثل ما لليهود بني
عوف وأن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف وأن لليهود بني ساعدة مثل
ما لليهود بني عوف وأن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف وأن لليهود بني

(١) وفي القرآن آية صريحة تواتر على الرسول ق هذا الشطر من الزمان تقر هذا النص
من المائدة ولا اكراه في الدين قد تبين ارشاد من ألقى من يكفر بالعلوث ويؤمن بالله فقد
استمسك بالروة الوثقى لا انقسام لها وأمة جميع عليهم (سورة البقرة آية ٢٥٦)

الأوس مثل ما ليهود بني عوف إلا من غلب وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل
 بيته وأن جفنة بطن من تعبته كأنفسهم وأن ثبني الشبهة مثل ما ليهود بني عوف
 وأن البر دون الأثم وأن موالى تعبته كأنفسهم وأن بقاءة يهود كأنفسهم وأنه
 لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينحجز على شئ جرح
 وأنه من ذلك في نفسه فمات وأهل بيته إلا من غلب وأن الله على أمر هذا

وأن على اليهود العقوبة وعلى المسلمين العقوبة وأن بينهم النصر على من حارب
 أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الأثم وأنه ما بينهم امرؤ
 بخيعة وأن النصر المظفر وأن اليهود ينهضون مع المؤمنين ما داموا محاربين

وأن يترتب حرمة جوفه لأهل هذه الصحيفة وأن الجور كالناس غير مصر
 ولا آثم وأنه لا يخرج حرمة إلا بأذن أهلهم وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة
 من حدث أو سرحر يخوف ماله من مردد إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولا على شيء من بني هذه الصحيفة وأمر وأنه لا يخرج قريش
 ولا من نصرته ولا بينهم النصر على من دهم يثرب ولا دعوا إلى مباح يباحونه
 وبباسوته فمنهم يباحونه وبباسوته ومنهم ما دعوا إلى منكر ذلك فإنه لهم على
 المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل نفس منهم من جانبهم الذي قبلهم
 وأن اليهود الأوس موالىهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر
 الحسن من أهل هذه الصحيفة . . .

وقيل أن عريض هذه الآية قوله أن العداوة التي عقدتها الرسول
 مع المشركين واليهود انقسمت إلى قسمين : القسم الأول يشمل على عقود وشهود
 وقعت حقه وشهد بوقوعها القرآن الكريم وأثبتها المؤرخون القدماء أم القسم الثاني
 فيشتمل على عهود غير صحيحة نضحت بعد وفاة الرسول لا غرض من شئ إذ كان
 المظفر يقرن كل ما وعده به النبي ولو لم يكن مكتوباً

ولا يشك المؤرخون في أن النبي عقد مع اليهود عقوداً مختلفة بعد حضوره

إلى المدينة إذ كان يخاف على حياته وحبته انعدام ويود عقد التحالفات مع اليهود الذين أمبوا دوراً هاماً في يثرب . وفي القرآن تأنيب لليهود على تقصص اليهود وهو أصديق دليل على أنه عقدت معهم معاهدات ^(١)

وقد ذكر ابن هشام عفوياً مخافة عقدت بين اليهود وبين الرسول عدا هذه المعاهدة ^(٢) وقال أبو عبيد في كتاب الأموال : أنه كتب رسول الله هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية وإن كان الإسلام طمعت وكان لليهود إذ ذاك نصيب من المظن إذا قتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب الثقة معهم في الخروب . . . ^(٣)

وكانت هناك صحيفة خاصة بينه وبين بني قريظة وبين الرسول وبين يهود خيبر وتيما . وواحد القرى وذكر ابن سعد عقود عقدتها رسول مع يهود بني غديبة ^(٤) وذكر صاحب فتوح البلدان صحيفة عقدت بين الرسول وبين أسرة شريفة من اليهود ^(٥)

وكل هذا يؤيد وجود معاهدات بين النبي وبين اليهود ولكن من العسير أن نأخذ إلى جميعها كما يفعل المستشرقون . ابن اسحق لم يتحدث عن معاهدات مخطوطة وصات إليه وإنما يذكرني برواية عن السابقين وهذا لا يقدح في قيمة هذه الصحيفة التاريخية التي نرجو أن نزيل بعض الغموض من حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - العربية واليهودية بالمدينة

(١) وكان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة فقتلوا ذلك العهد ١ جزء ٢ من ١٠٨
في الفتوح من كتاب جامع البيان لمعمر بن الزبير والرواية عن ابن عباس أنهم في الجزء الأول من جامع البيان من ١٤٢ إلى ١٤٣ روايت كثيرة في تفسير الآية الذين يقتضون عهد الله

(٢) ابن هشام جزء ٣ من ٧٤ وجزء ٣ من ١٩٧

(٣) الروض الابع جزء ٢ من ١٧ طبع معمر

(٤) ابن سعد : رسالة رسول الله لرسلي يكتبه من ١٨ طبع Wellhausen برلين

(٥) فتوح البلدان من ٦٠

أما الفرض الذي كان يرمى إليه لرسول من وراء هذه الصحيفة وما إليها من اليهود التي عقدتها مع بطون يثرب فهو هذه النظم القديمة وإيجاد نظام جديد يمكن به أن تتوحد العناصر اليمانية وأن تعود يثرب بعد فرقة أحيائها مدنية واحدة فقد كانت يثرب منقسمة إلى عدة دوائر وكانت كل دائرة تابعة لبطن من البطون وكانت الدائرة تنقسم إلى قسمين يشمل القسم الأول منها على الأراضي الزراعية بمداها وسكانها وكان من التوزيع والتفويض منه نظم هيئة البطن من أصحاب الأرض الزراعية لعمل في الملاحمة وهذا ما يبطون التي تنفذ الأوامر من الامتيازات والحقوق ومنه كانت تجمع العمل منساجرين من البطون اليمانية وهم أحرار وهم حقوق الأحرار ثم وجدت طبقة العبيد التي لم يكن لها من الحقوق إلا القليل

أما القسم الثاني من الدائرة فكان يمثل الأئمة وكان البطن يملك أملاً أو أئمة وهذه الأئمة كانت منكاً خصباً ولاسر العريضة وكان رئيس الأسرة صاحب السلطان في الأئمة كما كان يظهر زعمها من زعم البطون

وكانت أهمية الأئمة عظيمة في يثرب فكان يفرع إليها أفراد البطن عند هجوم العدو ويرأى إليها الناس ولاطفال والمعرفة حين يذهب الرجال لمقاتلة الأعداء وقد كانت الأئمة تستعمل كالحرب تجمع فيها الغلال والذخائر ذلك أنها كانت معرضة في أمم كثيرة السكينة والهدوء والسكينة الأئمة مرجعاً أكثر الأموال والألاع وكان تقوفاً المنفعة الصانع أن تترك يثرب منه كما كانت تقام على أبوابه الأسوق

وكانت الأئمة تشمل — كما نطق — على العبيد وبيوت المدارس^(١) إذ كانت فخرة الآث كثيرة الأدوات معونة ولاسفر فكان يجتمع فيها الزعماء

للبحث والمشاورة حيث يقسمون بالسكنب القديمة حين يهيمون بأولام العقود
والانفاقت

ثم وجدت في يثرب يعاون ما تكن تملك الآخذ وكانت تقع في الاحياء
حيث تحمي البطون الكبيرة من غيرها من البطون الأخرى وكانت الاحياء
منعدمة إلا ما بقي بعضها بعضاً وكانت مع هذا مختلفة في نظمها الداخلية حيث
يتم كل من بشؤونه

وإذا كانت الآطام في نظمها قد وجدت في شمل الخمار أكثر من وجدت
في أي بقعة أخرى من بلاد العرب فإن ترجيح أنها كانت من ذرة بالنظم الاجتماعية
اليهودية التي كان يجري عليها اليهود في وقتهم الأصلي قسماً

وهذا يعرض هذا السؤال : ما هي غنات كذا طوم ؟ من مصادره العربية وغيره
بالعبرية يقول من حيث الروض (١) لآلهم اسم مأخوذ من العلم إذا ارتفع وعلا
يقال انظم على فلان إذا غلب وفتح والامامات يريان معروفة في الجبل لا
تحمد فيها تأخذ بعدن السماء فهي أيضاً بأقبة لاسم في معادن الكبريت (١)

أما العبرية فلنعمل العلم (٢) من شتى يقال علم غيبية انمضهما وأعلم
لأبيه سدهم والاسم في الجدران والجدران هي التوافيق المصنوعة من الخارج والفتوحة
من الداخل واستعمل لاسم في السور أي الحائط الصخر

وعلى ذلك يمكن أن يفرض أن اليهود كانوا على القدم اسم علم لأنه
كان في امكانهم أن يغلقوا أبوابه وأن كانت له توافيق تماثل من الخارج وتفتح من
الداخل

كانت الوظائف المختلفة من دينية وسياسية تثقل بالوزانة من السلف إلى
الخلف في الأسرة الواحدة التي شغرد بعمل من الأعمال وكانت البطون الكبيرة
أصوب الحكم في يثرب وكان كل من يجتهد في أن ينفرد بالنفوذ

وكان كل بطن من البطون الكبيرة يضم اليه طائفة من البطون الصغيرة
تعتمد من مواليه وكان يشرف على مرأعها ومتجربها وحقوقها وإذا وقعت اعادة
شده واقعة على رعاياه فغالب يكاد أو دفع المدة وكان أفراد البطن الصغير يلجئون
الى أمهات البطن الكبير إذا حاجهم العدو وكان البطن الصغير يتابعه إلى البطن
الكبير مضطراً إلى الاشتراك في الحروب التي توجه إلى البطن الكبير ولا يمي
بالفرق والمميزين ومع هذا حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها ولم تسمح للبطون
الكبيرة بأن تحتل من حريتها وكان من نتيجة ذلك أن نجحت البطون الكبيرة
كل ما يهيئ البطون الصغيرة

وكان هناك شبه توازن في نظام الحكم بين البطون الكبيرة فكانت تنود
بقية البطون إذا هم بطن كبير ولا يستأثر بالمواد

هذا كل ما يمكن أن نفرضه وفقاً من نظام الحكم في غرب ولائنا بالخصط
كيف وصلت إلى هذا النظام فليس لدينا من المصادر ما نعرف به كيف انقلت
البطون الغربية من البداوة إلى الحضارة المتقدمة التي وصلت اليه قبيل ظهور الاسلام
ولكنه من المرجح أن يكون هذا النظام نتيجة حروب وحوادث وقعت في قرون
مختلفة قبل هجرة الرسول إلى يثرب ومن الظن الاحتمالية لا توجد لا متفرقة
بالحوادث رافقة كانت تلك التطور أو متعقة

كان تصدق تلك البطون وتوافقها وفقاً لما كل الرافق في ذلك لأخطار الخارجية
التي كانت تهدده من سائر البلاد العربية وكان يمكن أن يعطي هذا التوافق إلى
شيء من النظام الجمهوري الرافق ولو استطاعت يثرب أن تتمد اتحاداً يقوم على
أساس التعاون والتوازن الصحيح لاستطاعت هذه القوة أن تسيطر سيطرتها على
قبائل الجزيرة العربية

وما يندكر في المراجع العربية من أن بطون يثرب أرادت أن تملك عامها

عبد الله بن أبي وأنها نظمت له الخرز لتوجه فذلك متكوك فيه لأسباب منها
أن ردها عبد الله كان قد غلب على أمرهم به ث فليس من المقبول أن
يرتجح الأوس واليهود بعد قعود النبي إلى ثبيل زعيم من الخزرج وكانوا لهم
من أعداء الأعداء.

على أن عبد الله بن أبي لما يكن دسائماً تقبض على ناحية الخصم في حرب
والما كان ضميماً دسائماً مبرداً لا يستمر على حال . . .

يضاف إلى ذلك أن بعد عرش في حرب كان يفتي على انتقال الرسول
وما كان يمكن أن تعال حرب إلى شيء من هذا فيحرب ويملك المد . . .

كل هذا كان الرسول بعده وكان يعلم أنه يتقدم مع أغراضه المظلمة فلم
يريد أن يهدم نظام يعرب فقد كانت في حاجة شديدة إلى قومه مؤلفين لم
تفرق بينهم الأهواء المتعددة يستطيع أن يوسمهم بأردنه ويتوفاه هؤلاء كانت
سياسة الأعداء ولا حيلة مرقهم شرمهم فكان من الطرم أنهم هذه نظام القوافف
وأن يؤسس نظاماً جديداً وكان سبيله إلى غايته أن يعقد العقود بين بني الخزرج
اليثربية وأن يشرع لهم القرآن من ناحية أخرى

كل ذلك جرى عليه الرسول قبل أن يهاج إلى السيف فهدم نظامهم في السياسة
والدين كما ينبغي . . .

وأما لقصة التي نظام عن ابن السخفي في الهجرة فمفرد يعرف به شيئاً في
سياسة الرسول بعد هجرته إلى يثرب . قال ابن السخفي ومروء من ابن قيس وكان
شيخاً قد عصى به عظيم الكفر شديد العقن على المسلمين لمدير الخلد هم نفر
من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج في مجلس قد جهزهم . . . فقامه
وأراى من أفتهم وجه عندهم وصالح ذات بينهم على لا إسلام بعد لدى كان بينهم
من العداوة في الجاهلية فقتل قد اجتمع ملائكة قبيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا

منهم اذا اجتمع ملائم بها من قرار قمر في شابا من يهود كان معه فقال احمد
اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعثت وما كان قبله واشهدهم بعض ما كانوا
يتناولون فيه من الاشربة وكان يوم بعثت يوماً اقتضت فيه الأوس والخزرج وكان
على الأوس يومئذ حضير من سبائك الاشبال واما أسيد بن حضير وعلى الخزرج
عمر بن النعمان اليربوعي فقالا جميعاً . . . فقال فلكم القوم عند ذلك واشدعوا
وتفادخروا حتى توثب رجالان من الطرفين على كركب أوس بن قيس بن أحمد بن
حارثة بن الحارث من الأوس وجماد بن صحر أحد بني سبعة من الخزرج فاذة ولا
ثم قال أحدهم لصاحبه ان شئت دددته الآن جذعة وغناب الفريقتين جميعاً وقلوا
قد فعلنا بوعدهم القذرة والظاهرة الحرة السلاح السلاح فخرجوا اليها فبلغ ذلك
رسول الله فخرج اليهم فيمن معه من الصحابة المهاجرين حتى جاءهم فقل بوعدهم
المسلمين الله الله استعوى بأهنية وأن بين أظهركم يوم ان هذا كما قال للإسلام
وأكرمكم به وقنع به عنكم أمر الجاهلية والسفاهة كما به من الكفر وأنتم به بين
قلوبكم فعرف القوم أنهم تروعة من الشيطان وكبد من عدوهم فبكوا وابتكوا الرجل
من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم تقدموا مع رسول الله فسلموا فسلموا
وقد استغرق مدح في هذه الهدية عن اليهود أكثر من تقدم مما يدل
على أن الرسول كان يحسب حساباً غير قبيل نفوذ اليهود وسلاطهم

ولكن الذي يدل في هذه الصحيفة ومحب ان لا نجد قاطعون الكبيرة
من الأوس والخزرج وبني قينقذ كراً لهم فكيف تمكن أن يفتد النبي يهوداً
مع البطلون الصغيرة من اليهود دون الكبيرة منهم

ولما استشرق في هذه القذرة ورين : الأول : ان هذه المعاهدة كانت خاصة
بالعرب والبطلون اليهودية الصغيرة لأنها كانت منتشرة بين البطلون العربية
ومقد الخلقة فيها ومعودة من هؤلاء حتى لا يتمكن أن يعتبر لها وجود خاص

والثاني : ان هذه المعاهدة كانت تشمل على البطون اليهودية الكبيرة
أيضاً من بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ولكن مؤرخي العرب المتأخرين
حذفوا أسماءها من هذه المعاهدة فيما بعد لأنه ساء لهم أن يذكر فيها أن الرسول تعقد
مع بطون خالفه وقودته وقومة عتيقة انتهت بذلك مذمة (١)

ويؤيد الرأي الأخير أن المؤرخين لم يذكروا البطون اليهودية التي تعقدت
مع الرسول ضمن من اعتدوا على الأنبياء وروى يوم
ومن المحتمل أن ما جاء في الصحيفة عن يهود الأوس كان شاملاً لبني النضير
أيضاً

وعلى كل حال فليس من شك في أن النبي قد عقد العقود والعهود مع العرب
واليهود بعد حضوره إلى يثرب فعلى ذلك تميل إلى الاعتقاد بأن كانت أكثر
من معاهدة واحدة لأنها تجدد الرسول يغضب من بني النضير لأنها لم يشتركوا
في يوم أحد في حين أنه لم يغضب من بني قريظة أن يشتركوا معه في حرب
المشركين

ومن جهة أخرى فإن عقد هذه المعاهدات كثيرة مع بطون كثيرة قد يكون في
مصلحة الرسول أكثر من عقد مع هذه واحدة نظراً لجميع البطون لأن
المعاهدات الكبيرة تقسم قوة البطون وتضعها من ليوها تديرة وأخرية وإنما
يكون الاعتناء على بعض من البطون الخادمة في معاهدة واحدة كأنه اعتناء
على جميعها

وقد ترى الرسول يحارب بعضاً من البطون دون أن تتحرك البطون الأخرى
وكان الحرب التي تقع بين المسلمين واليهود من بطون اليهود لا تمس صميمها ولم
تنقض شروطها ، وإن عودت هذه الموضع فيما بعد

وقد عطف الرسول به هدية كانت خاصة بيني وبين قريظة (١)

أما روح هذه النواصيات فلا تهم كل الامانة للخدمة التي كان عليها المسلمون
واليهود في الفترة الاولى بعد محيى النبي الذي يعرب . . .

لقد قلنا ان الرسول قد اراد ان يوافق بين القلوب فاحل المسلمين اكل ما
احل لليهود اكله واحل لهم الخروج مع يثيمهم في اليوم اكل لكم العليش ومام . . .
الذين اولوا الكذب على اليك وانقضت من المؤمنين والمؤمنات من الذين
اولوا الكذب من فيكم اذا آتيتهم من اجورهم محضين غير مدغمين ولا
مخاضى اخذان (٢)

كذلك امر المسلمين ان يسموا بعض اسم كان اليهود يسمونه (٣) ولو
وقفت تعاليم الرسول عند حد محاربة المدينة لوثيقة فلسفية وما يكافى اليهود ان
يعترفوا برسالته من وقع نزاع بين اليهود والمسلمين ولكان اليهود قد نظروا بعين
المؤلفا النرجيل ولا احترام تعاليم الرسول ولا يردود وسعدوه بموافقه وانفسهم
حتى يحطم الاصل ويقضى على المقام لثورة انكي بشرط الا يعرض فيه ولا للديار
وبشرط لا يكفهم الاعتراف بالامانة الجديدة لان العقاية اليهودية لا تليق اذ
شيء يزعجه عن شانه وانى ان اعترف ان يومه من شهر في اسرائيل بل
بمقدمون عقيدة واضحة انه بعد ان سمعت صحف النبوة وكتب العهد القديم قد
انقضى عهد بيت الرسل وظهور الانبياء سواء كانوا من بني اسرائيل او من
غيرهم (٤) كما ينفذ المسلمون انه ان يبعث نبي بعد الرسول محمد

هذه العقيدة يجب ان لا تغرب عن الاذهان لانها اساس كل ما حدث بين

(١) ابن هشام جزء ٢٠ ص ٧٤

(٢) سورة البقرة آية ٢١٧

(٣) البخارى جزء ١ ص ٤٩٨

(٤) راجع التلويح كتاب المذاهب في كتاب كبريات

اليهود وبين الرسول من خلاف وتزاع وتولا وجودها ما حدث شيء من الخلاف
أو إمكان في الإمكان أن يتلافى ما قد يثب من ذلك

وتلاحظ هنا على معظم المستشرقين أنهم أهموا هذه النقطة الجوهرية في
بحثهم عن أسباب الخلاف بين الرسول واليهود مع أنه مما لا شك فيه أنه إذا
أهمات هذه النقطة فلا سبيل مطلقاً لتباعد في هذا الموضوع

وبعد التزاع بين النبي واليهود بمناقشة الديانة القديمة بين الطرفين (١)
فكان الحجاز اليهود يوجهون الاستدلال إلى رسول الله ويضعون فيه إلى حد التعمت
فكان القرآن ينزل فيما يدعون أنه (٢)

وكلام الرسل الذين ينزل في اليهود بالمعجزات والذين قولوا إن الله عهد إلينا
ألا نؤمن برسول حتى ياتيهم بقرينة (٣) أنا كفة النور (٤)

(٥) فإني لك أهل الكذب أن تنزل عليهم كتاب من السماء (٦)

ثم انقلبت المناقشة إلى محادثة كلامية شغل الغريزي يوم اليهود ومنهم
وما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم به فريق من الذين آمنوا
الكذب كذب الله ورسوله فظنوا أنهم لا يسمعون (٧) أولئك هم كذاب من عند
الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستمعون على الذين يستكبروا لهم جاءهم
ما عرفوا كفروا به فعدوه الله على الكافرين (سورة البقرة آية ٨٩)

ثم ظهرت المعادلة فتخذ النبي يضع في يهود يثرب وأخذ اليهود يرمون
الانصار بقولهم الكفار فزالت الآيات الكثيرة مشيرة إلى فتور الاحول بين
الرسول واليهود (٨) أولئك الذين حبست أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٢٥ — ١٨٢

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٦

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٣

(٤) سورة النساء آية ١٥٩

(٥) سورة البقرة آية ١٠١

خاصیت ۱۱۱

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون » (٢١)

واسكن كل هذا لم يضعف من عزيمته اليهود فاستمروا على مناقشة الرسول
وتخاصمة الانصار الى ان حضر النزيل المسلمين من الجدة المدينة
« قد نزل عليكم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا
معه حتى يخوضوا في حديث غيره » (١)

فنجح من ذلك أزمة سياسية جعلت نشأة يوم بعد يوم وتعمق النبي بأنه لم
يوفق الى النجاح في تحقيق الفكرة التي كان يرمي اليها من التآليف بين قلوب
اليهود والعرب واتخاذ أمة مؤلفة من جميع شعوب العرب

وهكذا لم يتصل ثمة ثمة طهر شراً من قدومه النبي الى يثرب حتى تغلب الجور
بالقيم الكريمة وجعل كل فريق يتواصى بالحكم والتعاون من الفريق الآخر وكذلك
طرائق تغييرات دينية وظهره يسمي في عرف القرآن الكريم بالسيف وما تليق
من آية أو ناسم. ثبت بخير منهم أو منهم لما نزل الله على كل شيء قدس (٢)
وتحوّل صلاة الصلاة الى الزكاة بعد ان كانت منحة نحو بيت المقدس
و قد يرى تغلب وجهك في الدنيا فتوازيات قبلة ترضاه فويل وجهك شاعر المسجد
الحرام . . . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ومن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون
انه الحق من ربهم وما الله به من غير يعلمون . . . (٣) ويحدث ابن هشام عن
هذا الموضوع فيقول :

وما صرفت القبلة من الشام الى الزكاة وصرفت في رجب على رأس سبعة
عشر شهراً (قبل يوم بعث) من مقدم رسول الله الى المدينة التي رافقه بن قيس
وقد به بن عمرو وكعب بن الاشرف من اليهود الى النبي فتوازي محمد ، ولاك من
قبلك التي كنت عليها وأنت تزعم لك على ملة ابراهيم ودينه ارجع الى قبلك

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) سورة البقرة ١٠٦

(٣) سورة البقرة آية ١٢٦ حديث البخاري جزء ١ ص ١٤

التي كنت عليها تبصرك وتصدقك . . . (١)

وكان هناك طائفة معددة من اليهود أدعت أن تصليح بين الفريقين المتخاصمين وتزيل . . . يتبعها من أسباب النزاع والسكران . . . الخفت في مساعدها لأن السبيل كان قد بلغ الزنى فوجدت هذه الطائفة خيفة من استمرار العداء وتوقعت شراً مستطيراً . . . يضمهم كل من الفريقين للآخر من الخلق والرفضاء وكان مخبريق اليهودي وفريق الرسول من أنصار هذه الطائفة وقد حذر في كيفية معالجة المشكلة التي صارت أعقد من ذنب العصب

وكان هناك عنصر آخر لعب دوراً هاماً في الحوادث البئرانية وهو العنصر الذي يضم أعداء اليهود المسيحيين من بني الخراج فقد كانوا أشد الأقباط خصومة لليهود ولم يكونوا يفتضون لرسول فكان همهم منعصراً في أن يصيبوا الزيت ليزيدوا في إشعال نار العداء بين رسول وبين اليهود وقد عرف بعضهم عند المسلمين باسم المذققيين وكان عبد الله بن أبي من رعا . . . هؤلاء المذققيين وقد استمرت هذه الأزمة الشديدة إلى يوم واقعة بدر الكبرى

ويظهر أن اليهود كانوا يرجون أن يصحح الرسول من عنادهم وحملهم على قبول دين جديد . . . في ينشر دعواته الدينية بين القبائل العربية ويسحق ذلك من أنهم لم يكونوا يرغبون في محاربة الأنصار مع أن يوم بدر كانت فرصة مناسبة لمن كان في مركزهم

وكان النبي لا يريد أن يحارب اليهود في تلك الظروف التي لم تكن ملائمة بل كان يؤجل الدخول معهم في حرب حتى تحسن الأحوال وتكون أكثر ملائمة وفي الواقع كان اليهود يفضلون السلام والسكينة على المصاحبات والتفصيات لأن السلام والسكينة أساس النجاح في الأعمال التجارية والصناعية

ويجبل بعض المستشرقين الى التزمي القائل بأن الحدة كادت ترجع بين اليهود والمسلمين الى ما كانت عليه قبل اعتماد الفخوذ والعصومة من الألفة والتولا. ولولا أن حدثت موقعة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً ميبداً على قريش ^(١) لكانت أصبحت للمسلمين بعد هذا الظفر العظيم تصدب لأمر والهي في المدينة يثرب وشرعوا يأخذون بالنار من الأفراد والجماعات التي كانت اليها وطعنت في أمرهم.

ولم يشترك اليهود مع الرسول في محاربة قريش يوم بدر لأنه لم يكن مشتركاً معهم في المعاهدة أن يشتركوا في الغزوات الخارجية عن دائرة المنطقة البغربية وكذلك كان عدد الأوس والخزرج في هذه المعركة قليلاً وكان أغلب المهاجرين من المهاجرين.

كان النبي في أول الأمر يرجو أن يدخل اليهود في الإسلام بطريق المغالبة أو بالقشة فلهذا تنجح معهم هذه الطريقة صبر عليهم الى يوم بدر حيث صارت بالظروف ملائمة لدخولهم في حرب دموية.

لذلك ظهرت عند الانتصار بعد موقعة بدر الكبرى سياسة جديدة جليلة بحيث صعدوا على أحد أمرين أن يدمج اليهود مع العرب واسطة الخلق الاسلام ثم يعذبهم حتى يجمعهم.

وكان المهاجرون ينتظرون بدور التمبير نتيجة مقومة اليهود في يثرب لأن حالهم كانت مهيئة جداً إذ لم يكن لهم ولا من ولا من ولا من إلى كذا يسكنون مع الأنصار من الأوس والخزرج.

وكان أعداء اليهود من الخزرج يشجعون النبي على الشروع في محاربة

(١) ابن هشام جزء ٢ من ١٩٦ ٢٢١

(٢) تاريخ الخلفاء جزء ١ من ٤٠٦ و من ٤٠٨ في قتل الامويان بان مروان وقتل

اليهود كما وضعنا ذلك من قبل

وبحدثنا ابن هشام عن هذه الأحوال فيقول انه بعد مرور بضعة أيام من
موقعة بدر جاء الرسول الى بني قينقاع وجميع يسوقهم ثم قال يا معشر اليهود
احدروا من الله مثل ما نزل بقرين من القصة واسمعوا فانكم قد عرقتما الى بني
مرسل تجدون ذلك في كتابكم وشهد الله اليكم (١)

وانني لأعتقد ان لأضرار النبي على دخول اليهود في الاسلام سبباً آخر فوق
الأسباب التي ذكرتها وهو ان دخول أهل الكعب في الاسلام يزيد في هيئته
ويكبر شأنه في نظر قرين ذات الحجة السيد وتدخل الجذات الكثيرة في الاسلام
بدون مقاومة

أما الأسباب التي حملت النبي على البدء بمحاربة بني قينقاع من بين جميع
اليهود فترجع الى أن بني قينقاع كانوا يسكنون داخل المدينة في بني واحد من
أعيان الأقوام العربية فارد النبي أن يظهر المدينة وأحباب الأنصار من المشركين
ومن جميع من يخالفون دينه

وغني عن البيان أن بني قينقاع كانوا أهمي طوائف اليهود في مدينة يثرب
فكانت بيوتهم تحتوي على الأموال الفائلة داخل السكنية من الفضة والذهب
وكان العرب يظنهم في كل ذلك

ثم كان عدد بني قينقاع غير كثير فكان من السهل مقاومتهم واستئصال
شأنهم .

وموق كل هذا فقد كانت هناك عدوة بين بني قينقاع وبني اليهود سببها
أن بني قينقاع كانوا قد اشتهر كوامع بني النضير في يوم بعث وقد اتفق بنو النضير
وبنو قريظة في بني قينقاع ومزقوا كل شريك مع أنهم دفعوا الغدية عن كل من

وقع في أيديهم من اليهود وقد استمرت هذه المداوة بين اليهودية بعد يوم بسات حتى وقعت الحرب بين الانصار وبين بني قينقاع فربضهم أحد من اليهود في محاربة الانصار

وقد أشار القرآن الى عداوة اليهود فيما بينهم بقوله : **وإذا أخذت ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم** **وأنهم شهدون أنهم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظهرون عليهم بؤساً** **والمعدون وإن أنوكم أسارى تزدوهم وهو محرر عليكم بخرجه** (١)

فيظهر من هذه الآية مقدار ما كان بين بني قينقاع وبين بني النضير وقرينة من المداوة والبغضاء ويظهر أيضاً أن بني قينقاع كانوا أصحاب منافع وأخرجهم ابن جلدتهم منها وأرغمهم على الانحياز الى بني النضير فاعل المدينة على أن هناك عملاً آخر في قصة كبيرة في حمل الرسول على البنية بمداوة بني قينقاع وهو أن بني قينقاع كانوا من موالى بني النضير وكانت أغلبية بطن بني النضير قد دخلت في الاسلام عند بطن عبد الله بن أبي قحافة كان يظهر الايمان ويبطن الكفر وكانت بطن بني النضير توافق على مشروعة النبي بدون مدبرة



انقل من هذا الى ما روي به بنو قينقاع على أقوال النبي في أجرو بكل حراة وتبيح ما يحمي لا يفراتك تلك تقيت قوة لا عي لهم بطرب وأصبحت منهم فرقة إن والله لئن حاربناك لنحصد الزمان تقوى (٢)

ويظهر من هذا أن بني قينقاع كانت تعتمد على مدخلة حلفهم من الخروج في نزاعهم مع الرسول قبل كل شيء إذ لا يمتدور بطناً صغيراً كبطان

(١) سورة البقرة آية ١٧٣

(٢) ابن عث. جزء ٢ ص ٢٢٤

بنى قينقاع بجروا على اعلان الحرب ضد اغلب بطون يعرب والسكن بنى الخوارج
خذلهم ولم يتحركوا لنجدتهم رغم انه من مواليتهم

وخاصهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن ابي قحافة
يا محمد احسن الى موالى وكانوا حلفاء الخوارج فربط عليه الرسول فقال يا محمد
احسن الى موالى فاعترض عنه النبي فدخل عند الله يده في حبيب دوى الرسول فقال
له الرسول ارسلنى وغضب حتى رآوا وجهه فتلا قل ويحك ارسلنى قل لا والله
لا ارسلك حتى تحسن في موالى اربعة عشر حاكم وثلاثة عشر شاعر فدمعوا من الاحمر
والاسود فحصدهم في غداة واحدة الى واحة نيرة اخطى الدوائر فقال الرسول هم
لك ... وكان محصرا بهم خمس عشرة ليلة ... ثم احلهم الرسول من المدينة
فخرجوا منها الى اذعنات الشام (١)

وبعد ذلك لو قدى ائتت الرسول امر يجمع قومه واملحهم ثم قسمها على
الانصار بعد ان حاربهم الخمس والبنى بنى قينقاع فزارهم ولبسهم وامهاتهم
ثلاثة ايام وبعدهم فو قينقاع من يعرب لو قدى القرى حيث اخطى بهم الخوارج
من اليهود فقاموا ضدهم على ارحب واسعه الى ان رجعوا اليها الى الشام (٢)
وفي بن هذه قصة يذكرها على انها تضمن السبب في اعلان المسلمين
الحرب على بنى قينقاع لان المسلمين لا يحظون اياه بروه عن ابن اسحق
الذى هو المرجع الثقة لاي هذه ثم هي ليست موجودة في كتاب لو قدى لذلك
هم يعبرونها قصة منكرة وغير واقعية وخبرها من امرأة من العرب جلست الى
صانع بسوق بنى قينقاع فجعل يعرض اليها بعض اليهود يروونها على كشف وجهها وهي تاتى
فعمد الصانع الى حذاف ثوبها فعمده الى صوفها ففعلت انكشمت سواها فصحكوا منها
فوقع الشر بين الانصار وبين بنى قينقاع (٣)

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٤

(٢) لو قدى ص ٩٤

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٤

وقد أشار القرآن الى حادثة اجلاء بني قينقاع عن المدينة بقوله : هـ قل الذين
كفروا مستغلبون ويخسرون الى جهنم وبئس المود قد كان لسكينة في فتنين النفاق
فئة تقابل في سبيل الله واخرى كافرة برونهم مشبهه روى العين وتؤيد به سورة
من يشاء ان في ذلك اميرة لاولى لا بعد (١)



يقولون ان امر اجلاء بني قينقاع كان له وقع عظيم في نفوس اليهود فقد امتنعوا
بعد ذلك عن المجادلة لمدينة وكلمو عن رمى منهم بنو قوريس السكك ودمجوا
هبة المسلمين في قلوب الباطون العربية التي لما تكن دعت في الاسلام والتدريج
الجدل امه المبي لتشر دعوته

ثم حدث يوم أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة فخرجت قريش
بجدها وحدها وأهل يثرب ومن تبعها من بني كندة وأهل نهماء وخرجوا معهم
بالفمن القاس الخفيفة وأن لا يقرؤا الخرج أو سيفين من حرب وهو وفد الدرس
ومعه عمرو بن العاص وغيره من أزعماء فقبضوا حتى نزلوا بطن بطن الساحة
من قنطرة على شعير أو لوى قتال مدينة ثم خرج اليهم رسول الله في ألف من
صحبه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد النخل عده فبدأت قريش في ثالث
الدرس وقت علامه بقتل أئمة الدرس ورجع بين يثرب من قومه من أهل
الزياد والنفاق (٢)

وهو يشترك أحد من اليهود في وقعة أحد لا رجل اسمه مخيريق فكان رجلاً
فتياً كثير السخيل وكان يعرف رسول الله بصغره وما يلجد في عمه وغضب عليه
بألف دينه قد برز على ذلك حتى كان يوم أحد (٣)

(١) آل عمران آية ١٥

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٦ — ١١٢

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ١١٠

وقد كانت موقعة أحد في يوم السبت ففي اليهود أن يحملوا السلاح في ذلك
اليوم ورفضوا الاشتراك مع الرسول في غزوة أحد مع عدد من على أن المائدة
التي كانت بينهم وبين النبي سمعهم بالخلف عن المعركة التي تقع بعيداً عن
المدينة كما ذكرنا سابقاً

ولكن مخبري اليهودي قال: لا سمح الله فخذ سيفه وعذته وقال ان
أعيت في محمدي يفتح فيه ما شاء ثم عدنا إلى رسول الله فقال: ما سألني قولي
فقال الرسول مخبري خير اليهود (١)

وفي ابن هشام زعم مسدود مخبري بن اسحق ما خصه ان لا تصدروا ما تقولوا
يوم أحد: ألا نسلمين بحفلات من اليهود فقال لا حاجة لنا بهم (٢)

غير ان المستشرقين يرون في صحة هذه الحديث كما هو شأنهم في كل ما يرويه
ابن هشام عن مخبري بن اسحق ويستدلون على عدم صحته بان الرسول غضب من
اليهود بسبب عدم انضمامهم معه في يوم أحد والخلف من ائمتهم عن ذلك سبباً
الاعلان الحرب على بني المصير كما سبب ذلك فيها احد

ويؤيد صدق تقرير المستشرقين في هذا الزعم ما نقلناه عن ابن هشام نفسه
من انه الرسول على مخبري بن وقوله مخبري بن خير اليهود فانه لما قال ذلك الا لان
مخبري لما يختلف عن تلك الموقعة كما تختلف بقية اليهود

واحد حسب الطبقات الكبرى رواية تفيد ان النبي بعد ان خرج بجيش
المسلمين إلى أحد حتى اذا كان بالشيخين وهم ائمة التفت فنظر إلى كنيسة
خشنة ما وجل فقال: ما هذه قلوب حلفاء من بني من يهود فقال رسول الله:
لا تستعبروا أهل الشرك على أهل الشرك (٣)

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٣

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٤

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧

أما نحن فننقض الطرف عن عدم الرواية لأنها تناقض ما قصصنا عن ابن اسحق . على أن الذي يضمن نكزه في الحاة التي كان عليها اليهود بعد إجلاء بني قينقاع عن المدينة ينصحه جليلاً أنه لا يبق لعبد الله بن أبي موال من اليهود إذ كان بنو النضير وفريضة من أعدائه كما مر ذلك في عدة مواضع
ونخلت الأشهر الحرم بعد يوم أحد فلم يحصل فيها نكاح ولا قتال ثم أتته النبي لحاربة بني النضير

وها نقلة خلاف هامة بين ابن هشام وبين اليعقوبي فإن هشام يقول أن قتل كعب بن الأشرف حدث بعد خروج بني قينقاع من المدينة أي في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة ويدكر ابن هشام أنه بعد قتل بن الأشرف قال الرسول لا من غفرتم به من اليهود فقتلوه فمؤتب محبسة بن مسعود على بن سنانة رجل من تميم اليهود كان يلاصقه ويبيعهم فقتله وكان حويرة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسير من محبسة فمقتله جعل حويرة يضربه ويقول : أي عدو الله أقتلته . والله أحب شعبه في بطنك من الله . أفل محبسة : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك (١)

ولكن اليعقوبي يقول إن النبي أمر بقتل كعب بن الأشرف بعد يوم أحد (٢) أي قبيل محضرته إلى النضير أي في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وكان قتله بمشايعة إعلان الحرب عليهم لأنه كان زعيماً من زعمائهم وكان قتله أبو نائلة أخو كعب بن الأشرف من الرضاغة ومعه أربعة من الأنصار (٣)

ويقول العالم Ismayrsky إن العلاقات بين الرسول وبين بني النضير كانت على ما يراه قبل يوم أحد فلم يزل قتل كعب بن الأشرف حدث بعد إجلاء بني

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٤٤

(٢) تاريخ اليعقوبي جزء ٢ ص ٤٦ وتاريخ الخيس جزء ١ ص ١٦٤

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٧ — ٢٤٤

قيتقاع أي قبل واقعة أحمدة. أمكن أن تكون هناك علاقات حسنة بين الرسول وبين بني النضير لأن كعب بن الأشرف كان من زعماء بني النضير وفوق ذلك فقد كان الرسول يحتاج إلى مدد منهم قبل يوم أحمدة^(١)

وفي أميل إلى رأي اليعقوبي وأعتبره تصحيحاً هذه الحادثة التاريخية الكبيرة إذ لا يشهد أن الرسول يحرم نفسه عن قتل أفراد من اليهود قبل يوم أحمدة وليس هناك أي دليل على أن العدوة وجدت بين الأنصار وبين بني النضير إلا قبيل محاصرة الأنصار لآطمة بني النضير حيث كان اليهود يوجودون خيفة من أعمال الأدهب التي كان الأنصار يقومون بها

ويرتاب المستشرقون فيما يقوله ابن هشام من أن سب قتل كعب القاهو قديمة الزمان التي دعى بها قتل بدر الكبري واليهب المستشرقين في هذا المثلث على أنهم فيها فيه ابن هشام عن وقت قتل كعب ويقولون أنه أعبره الجور لأغلب كعب في الوقت الذي دعي به وبعثه قديمة الزمان التي يدور والله التليوي بالمدن^(٢)

وبعد ذلك البخاري أن كعب بن الأشرف قد آذى الله ورسوله فإنه محمد بن مديونة قتل أريد أن تستمر وتصفى يوسف بن أرقم في نسلكه قتلوا كيف تركه ذلك العرب قال يوسف بن أرقم قتلوا كيف تركه ذلك الأنصار فأنسب أحدهم فوعد أنهن يوسف بن يوسف بن هشام عبيد ولكن تركه السلاح قال سفيان يعني السلاح فوعد أن يأتبه فقتلوه ثم أتوا النبي فأنهروا^(٣)

والجواب لاغنى قديمة يانهم لم يبع بن أبي حنيفة التامة الحلة التي كان غلبه بنو النضير بعد قتل كعب ابن الأشرف

(١) Die Juden ٦٨

(٢) ابن هشام ٢ ص ٢١٣

(٣) البخاري ٢ ص ١١٤

أَلَا يَا أَقْوَمَى لَا أَرَى النُّجْمَ طَائِماً وَلَا الشَّمْسَ لَا حَاجِي يَسِينِي
مَعْدِي خَلْفَ الْكُفِّ بِمُودَةٍ لِحُلٍّ تَكْثِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِينَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ وَفَدَى أَرَى أَسْكَونَ عَلَى لَأَسْرَارٍ غَيْرِ أَمِينَ
فَلَمُوتٍ خَيْرٌ مِنْ حَرَّاجٍ مُوْطٍ مَعَ الصُّنْعِ لَا يَتَى الْخُفْلَ لِحِينٍ^(١)
أَنْشُرَ النَّبَى بَنِي النَّصِيرِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أَطْمَهِمْ وَيَخْرُجُوا مِنْ بَنِي بَنِي مَدَّة
شُرَّةِ أَيْلَمٍ وَلِكَلَمِهِمْ دَفُصُوا الْأَذْنَ هَذَا لَا تَنْدَارَ

•••

وكان انذار الرسول لهم بذلك بمثابة انذار منهم على عدم انقراضهم في
واقعة أحد وكان الرسول كان يعبرها كغزوة موجهة إلى مدينة بنرب فكان على
بني النصير أن يخرجوا لقتال العدو كما تقتضي شروط العهد
ثم يظهر أن بني قريظة كانوا عربطين بهذا آخر غير عهد بني النصير وأن
الشروط كانت غير شروط عهد بني النصير لأنما يعاينهم الرسول بالاشترار في
واقعة أحد كما مذهب بني النصير ولم يشار إليهم بمحكمة محالمة الشروط كما ذكر من
بني النصير

وليس معقولا أن ينصب الرسول من بني النصير لخدمة خروجهم إلى الوغى
في واقعة أحد دون أن تكون هناك موهبة تزيه العرب في تأييده
ويعتقد العلامة Diezendorf أن ما جاء في الحديث من أن يوم السبت يوم عبوس
وغدر يرجع إلى انذار بني النصير بمفوت وأن جميع الأحاديث التي من هذا
النوع ترجع إلى حادثة تاريخية ومن هذا فذهب أن ينصب الرسول من اعتذار بني
النصير قد ترك في نفسه أثراً سائداً من نحو يوم السبت يوجد^(٢)
ويقول الأستاذ النجار أن هذا تقول ليس حديثاً وإنما هو من كلام الناس

(١) الألف ج ٢١ ص ٦٤

(٢) Die Juden ص ٧٠

على أن بعضاً يقتسم به كما أن بعض الناس يتبعون به ويتشبهون بغيره وليس ذلك من الحديث في شيء . . .

وبذلك مؤرخو العرب سبباً آخر لا إعلان الحرب على بني النضير غير امتناع اليهود عن الاشتراك في يوم أحد وعندناهم بيوم السبت فيقول ابن هشام : أن الرسول خرج إلى بني النضير يستعيرهم في ذرية ذوات القنطين من بني عمر اللذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله عطفه فيما قلنا أنهم رسول الله يستعيرهم فلو أنهم رأوا القاسم فعينك على . . . الحديث مما استعنت به عليه ثم خلا بعضهم ببعض فلو أنكم أن تجدوا الرجل عن مثل حاله هذه — والرسول إلى جنب جدار من بيوتهم فعدداً — فمن رجل يعم على هذا البيت فيبقى عليه مسخرة فيرى بها منه والذهب لذلك عمرو بن حمزة أحد من قتلى ذلك فسمعه يلقى عليه مسخرة فأتى رسول الله من الذهب فخر به رد القوم فقام وخرج راسماً إلى المدينة فامسكت التي أصحبه فقام في طريقه حتى أتته إليه فأخبرهم خبره . . . كانت اليهود أدت من القديس به أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسير اليهم . . . (١)

لكن المستشرقين يسكرون صحة هذه الرواية ويستعملون على كذبهم بهذه وجود ذكرها في سورة الحشر التي نزلت بعد إعلان بني النضير

على أن أولادهم بدمية هذه الرواية لا نأخذهم كافية لأنهم في الحرب على جميع بطون بني النضير دافع من حصان هذه الكبيرة بين الرسول واليهود في كل جرم من جهة فرد أو عدة فرد لا يقع على وعائده وأهل بيته دون أن يحس بغيرهم بشيء من الأذى

والذي يظهر لكل ذي عينين أن بني النضير لم يكونوا يتوكلون القدر بل

واغتياله على مثل هذه الصورة لانهم كانوا يخشون شقبة فقلوبهم هذه من انصاره
ولو أنهم كانوا يذوقون اغتياله عنداً لم كانت هناك ضرورة لانقاذ الصخرة
عليه من فوق الخياط بل كان في استطاعتهم ان يذبحوه وهو يخذلهم اذا لم يكن
معه غير قليل من صحابه

وقد أراد بنو النضير ان يذبحوا حكيم رسولاً ويخفوا عن يثرب ولكن
هذه رهطاً من بني عوف بن النحر ج منهم عبد الله بن أبي وداعة بن مالك وسويد
وداعي قد بعثوا الى بني النضير ان اليثوبوا وتلقوا فان لم يسمكوا ان قتلهم قاتل
معكم وان اخرجتم اخرجكم معكم فماتوا ذلك من انصارهم في يثرب (١)

وقد حارب بنو النضير من بني قريظة ان يذبحوهم فماتوا وسرح كعب بن
أسد زعيم بني قريظة انه لا يريد ان يذبحهم خوفاً من الانصار (٢)

ويشير القرآن الى هذه الحادثة وقوله يهود بن النضير بقوله هاتوا الى
الذين نافقوا يقولون لاحرارهم الذين كفروا من اهل الكتاب ان اخرجهم فخرجوا
معكم ولا اضياع فيكم احياناً يريدون فؤادكم انفسكم وانه يشهد بانهم لكاذبون
لئن اخرجوا لا يفرحوا بهم وان في قلوبهم الا يفسدوهم ولئن افسدوهم ليقولن
الادبر ثم لا يفسدوهم (٣)

وكانت اقسام بني النضير حربية جداً وكان من احوال فحده في مكة وجبلة
هالكة لغيركم جميعاً الا في قريظة فحده من يثرب (٤) لذلك امر الرسول
بقطع النخيل والنخيل في يوم عداوة بن زبيدة قد كانت تنهي من الفساد والغيب
على من يذبحه هاتوا قطع النخيل وتغريهم (٥)

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٥٠

(٢) اواندي ص ١٦٣

(٣) سورة النحر آية ١٦

(٤) سورة النحر آية ١٤

(٥) ابن هشام جزء ٣ ص ٥٠ وحديث البخاري جزء ٢ ص ٥٥٢

ويظهر أن قطع النخل وتحريره كان سبباً في تسريب الناس إلى قلوب اليهود
أذ وجدوا أنفسهم بين أمرين إما الاعتناء بحكم الرسول وإما الخروج من المدينة
لهذه المسلمين ومنعهم من حرق النخل وكانت لهم من أمر مرافق الحياة
فخاضوا الاعتناء بحكم الرسول وكان ذلك رأى سلام بن مشكم وقال الرسول
أن يجلبهم ويكلف عن دماهم على أن يهدموا حائط الأبل من أموالهم إلا الخلقة
فحملوا من أموالهم ما استغاث به الأبل فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى
الشام فأخرجت فكانت تمرهم من سرورهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق
وكنانة بن الربيع وحبي بن الخطاب فماتوا في ذلك عامهم (١)

وقبل أن يخرج بنو النضير من مدينتهم هدموا البيوت عن نجف بهم
فوضعوه على ظهر النخيل وانطلقوا بهم (٢) وكانت هذه رواية المهمة سبباً في أن
يقول بعض المستشرقين أن الأحبار كانت غلبة في الأقاليم الصحراوية فأخذها
اليهود منهم ليبيعوها ولكنهم لا يميل إلى بيعها ذلك على هذا القول بل أقول
أن هذه نجف البيوت يتعلق سقيدة تعودية معروفه وهي أن كل يهودي يتعلق
على نجف داود صحيفة تشمل على وصية موسى إلى إسرائيل أن يحنطوا الأبدان
بأنه واحد ولا يبدلوه ولو عذبوا وقتلوا (٣) فاليهود حين يرحلون من مدينتهم يأخذونها
معهم وهي عدة مسعة عند اليهود إلى يوم هذا ويظهر أن يهود بلاد العرب كانوا
يصنعون تلك الصحيفة (٤) في داخل النجف خوفاً من الألفاظ أو
من الأيدي فماتوا عن ديارهم هدموا نجف البيوت وأخذوها

مفسر
المهمة

ورقم القرآن بعدد اجلاء بني النضير ، هو الذي أخرج الذين كفروا من
أهل الكتاب من ديارهم لأول خيبر ، فسلمت أن يخرجوا ووضوا أنهم منهم

(١) جزء ٣ ص ٥١ ابن هشام

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٥٠

(٣) كتب تقنية اصل ٦ آية ٥

حصدونهم من الله ذئابهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون
بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار (٢٣)

ويصف ابن هشام خروجهم من مكة بقوله "انه حدث أنهم انطلقوا
بالنسب والأبواب والأموال معهم فمروا باليمن واليمن يعرفون خلفهم..." (٢٤)

ويقول الواقدي إن الله تعالى حين يخرجهم ولزمهم أحسن رخصة حتى بات
أول حدة منهم ليلة في الجبل وكان يدعو عليهم المبرور ولا يخرج بأمر الله شيء
المسلمين وأما من هجم المدينة فقد نكسوا رؤوسهم بعد ذلك حتى قال سيد الله بن
أبي أنه قد أصبح يشعر بأنه من أجلاء حديوثاً في وطنه غريباً عن بلاده بعد
أجلاء بني النضير (٢٥)

وقد غنم لأمير بقرية الأسيعة التي يستطيع بيع النضير حمولتهم وكان
منها ٥٠ درعاً و ٣٤٠ سيفاً (٢٦)

وقد كانت هذه المدة رسول الله خدمة بعضهم حيث يشاء فقاموا على
مهاجرين لأوليين دون لأمير لأنهم من حبيف وقد دحانه ذكره أعطاهما
الرسول (٢٧) كذا قوله في هذه المدة ما هو لله من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم
وأموالهم ينتفون فصلاً من مكة ويرضون أن يصروا لله ورسوله أولئك هم
الصدوقون (٢٨)

وأما من بني النضير لاجلاء يمين بن عيمر وبنو سعد بن وهب أسداً
على أموالهم فخرجوا (٢٩)

- (١) سورة الحشر آية ٢
- (٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١
- (٣) الواقدي ص ١٦٥
- (٤) الواقدي ص ١٦٤
- (٥) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١
- (٦) سورة الحشر آية ٨
- (٧) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

وقد قيل بنسبة اجلاء بني النضير شعر كثير بعضه مدح وبعضه ذم واهم
ما يلفت النظر من ذلك الشعر قصيدة فهد عبس بن مرداس يذكر اجلاء بني
النضير ويبيحهم

لو ان قطين الدار لم ينحلوا وجدت خللا لندار مدهى وملعب
فانك عمرى هل رأيت فمات سكن على ركن المشط فنبه
اذا جاء بغى الخير قلن بشنة له بوجوه كالدنانير مرجبا
فلا تحبني كذات مولى ابن مشكم ساء له ولا مولى حبي بن الخطا

فقال خوات امراس بن مرداس انت كذيت اليهود وقد كان منهم في
عندوة الله ما كان فقال عبس انهم كانوا انما لى في جاهلهم ما كانوا انزل
بهم فيكم مولى ومولى يشكر ما صنع اليه من نجوى ثم انشد

محوت مدح الكاهنين وفيكم فهد نعم كانت من الدهر توبه
اولئك اخرى ان بكيت عليهم وقومك لو ادوا من ناني موجب
من الشكر ان الشكر خير مضية ووفى مديا لمدى كان امدوم
فصبرت كمن امدى يقطع راسه نبيح عز كانت فيه مرگيا
فما انت بي هرون واذا كره فهدم وفندم للجبوع اذا كان مسفيا
احوت اذا المدح المدح ويكهم وعرض عن شكر ودهم ونك
فانت لو لافيتهم في دبرهم لانيت عدا قد تقول منك
مررت الى العابد كرهت انى نونى بقال ابغى لخير اهلا ومرجبا

الباب السابع

غزوة بني قريظة

تخرج من زعماء بني النضير ابني قريش وعطفي على محاربة المسلمين من اختيار زعماء بني النضير الى بني قريش الوثنيين من تميم هذه الحادثة عرفت ان لاوامر الزورقة . . .
احتجاج القرآن على هذه الحادثة يوم الاحزاب — مطاع قريش وخطان واليهود من دواء هذه القصة . . . تخرج من زعماء بني قريظة على قريش معاهدين مع الرسول —
حذابة سرية بن الرسول بن خطان — مثل يوم الاحزاب — . . . حصار الرسول
ابن قريظة — نزول بني قريظة على حاكم الرسول — اتفاق الاوس على حلفهم بني قريظة —
تهدد حاكم الامماء في زعماء بني قريظة — شعبة غزوة بني قريظة — كثرة
شعر العرب في يوم الاحزاب وبني قريظة

ان رجالا اشرف بني النضير في خير انهم لم يكونوا في الشاة من الانصار
وجعلوا يمشون في الواسط التي توساهم الى قدامهم وتقدم الى مزايعة في منطقة
يلرب فمر من نفر من اليهود فيهم سلام بن ابي الحقيق وحبي بن الحظب وكنته بن
الربيع ان يكرهوا الاحزاب على المسلمين . . . تخرجوا حتى قدموا على قريش بمكة
فدعواهم الى حرب رسول الله وفلوا . . . سكون . . . حكي انما اصابه فقاتلهم
قريش . . . من اليهود انكم اهل الكذب الاول والعلم بما أصبح يخاف فيه
نحن ومحمد اؤدينا خير لم دينه فلو ابل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق
فلا قلوا ذلك لقريش منهم واشطوا . . . دعواهم اليه من حرب رسول الله فاجتمعوا
لذلك واتعدوا له ثم خرج ثوبانك نفر من اليهود حتى جاءوا خطان من قبس عيلان
فدعواهم الى حرب رسول الله واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد

تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه . . . (١)

ومن ينظر إلى حلة بني النضير النعفة التي صروا عليها بعد إجلائهم عن بلاد سكوتها منذ قرون وكانوا فيها أصحاب السلطان والطاق والقوة العظيمة والرياسة الواسعة لا يوجه إليهم أقل لوم على محوالتهم الرجوع إلى أرضهم ويخلصهم عن الانتصار والظفر الذين يصيبونهم على تعذيب أمتهم والتأثر من خصومتهم من هذه سحبة من السحرة البشرية وطبيعة من الطوائف لأن أمة بني وعمل مشروعة مقبولة لدى جميع الأمم.

لكن الذي يلامون عليه بحق والذي يؤمن كل مؤمن بأنه واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هم تلك الحادثة التي حرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود الدين قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية.

نعم إن ضرورات الحروب أوجبت الأمم ستمل الخيل ولا كاذب والنوسل بغيره والأشياء للخطب على العدو ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ولا يصيروا أمة عدو قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عبادة الأصنام مطلقاً لأن بني إسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العلم بين الأمم الوثنية بمسألة الآباء الأقدمين، والذين نكروا نكبت لأنهم في من قبل واضطهد بسبب إيمانهم بأنه واحد في عبوديتي من الأدوار التاريخية كان من واجبهم أن يصحوا بحجبتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخلوا المشركين

هذا فضلاً عن أنهم بالسجود إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحدرون أنفسهم بأنفسهم وينقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالتفوق من أصحاب الأصنام

والوقوف معهم موقف الخصومة.

وقد أشد القرآن إلى عمل الفِر من اليهود ونحوهم مع قريش وعطفان على
الاسلام بقوله « أَمْ لَمْ يَأْتِ الْبُرْهَانُ لَكُمْ أَنْتُمْ كُفَرَاءُ مِنْ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ^(١)

ثم أُنْصِلَتْ جُمُوعُ قُرَيْشٍ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَفَزَّتْ بِمَجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ
رُومَةٍ بَيْنَ الْجُرُفِ وَرِثَابَةٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ بَشَرِهِ وَمِنْ نَبِيهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ
وَأَهْلِ ثَمُودَ وَأَقْلَتِ عَمَلُكَ وَمِنْ نَبِيهِمْ مَنْ أَهْلُ نَجْدٍ حَتَّى رَوَوْا بِسَبَبِ الْقَمَى إِلَى
جَنَابِ أَحَدٍ وَحَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَمَعُوا أَهْلَهُمْ إِلَى سَلْعٍ فِي ثَلَاثَةِ
آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَ هَذَانِ عُسْكَرَهُ لِيُخْلِقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ ^(٢).

وقد أخذ المسلمون آلات الحفر من مَدَنٍ وَكَرَازِينَ وَمَكَائِلَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ
الَّذِينَ بَقُوا عَلَى الْوَلَاءِ وَذَلِكَ بِمَقْصُودِهِمْ خَفَرُوا بِهِمُ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ^(٣)

ويعتقد المستشرقون أن مؤرخي العرب قد اغوا في الخبر يوم الخندق وأدخلوا
فيها الأساطير التي أسد على الباحث سبيل سبل خلاص الصحيح من الحوادث .
وكان الأحبار في يوم الخندق قوة عظيمة لا تقل عن ١٠٠٠٠ مقاتل وكانوا
مُسْلِمِينَ بِأَنْحَارِ الْأَسَدَةِ وَكَانَتْ لِيَهُمُ الْخِيُولُ الْكَثِيرَةُ مِنْ سَنَدِ أَهْلِهَا كَانَ كَامِلًا
مِنْ الْوَجْهِ الْمَدِينَةِ وَامْكَنَهُ كَانَ ، فَصَاعِدًا كَبِيرًا مِنْ لَوْحَةِ الْعَنْوِيَةِ إِذَا تَكُن
لَهُمْ غَايَةُ مَشْرُوكَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ قَوْمِهِمْ وَلِعَالِمِهِمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي أَعْمَالِ الْحَرْبِ

فقد كان السبب في اشتراك عطفان في هذه الحرب أن اليهود وعدوهم بأن
يعطوهم ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع وحدائق خيبر ^(٤) إذا تم لهم النصر وكانت :

(١) سورة النمل ٥١

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧١

(٣) الواقدي ص ١٩٣

(٤) الواقدي ١٩١

قريش يزيد من مواصلة القتال أن تذهب غلى يد واحد
وهذا سبب آخر لما ذكره المؤرخون من العرب والافرنج وهو أن قريشاً
رأت أن وجود قوة مدنية لأهل مكة في شمال الحجاز ضار بهم ومؤيد إلى كد
تجارة مكة فكأنهم قد اضطروا إلى الحرب لئلا يمتكنوا من أن يفتحوا
لتجارهم طريق القوافل إلى الشام.

وقد دخل أبو سفيان وعمر بن الخطاب قريش بين سائر الكعبة حتى انصرفت
أكدهم به وأقسموا أبو سفيان القتال حتى لا يبقى فيهم رقيق من الخيلة (١)
وأما اليهود فقد كان رأيهم غير ندي كان خائفهم من بني قريش وغطفان
كما ذكرنا قبلاً.

وقد كان هناك عمل آخر تضمنت من قوة هذا الجيش العظيم وانقص من هيئته
ذلك أنه لم يكن موحداً للقيادة بل يكن لأمر كل فئة يده في سفير فأنه قريش
لذلك سرعان ما ظهر الخلاف في الرأي والعمل بين قواد الجيش
وبعد أن دامت بجمعة أيام تغير كاهنة تدل فيها الفريقين متدوشات
والمتنازعات اتضح زعمه لأحزاب من الحرب قد لا تسعى إلا إلى التفرقة بين
قريظة اليهم فقد كان يفهم على هؤلاء المسلمين من جهة وعدم إمكان جيوش
الأحزاب أن تعرض لهم من جهة أخرى مما يزيد في قوة المحصورين الذين
كانوا يباغضون منهم المؤمن والساجد وأتت الحفر وكانت أعينهم بين جيوش
المسلمين والأحزاب بين به السور الذي لا يخترق.

لذلك أخذ حبي بن الخطيب صاحب مشروع يوم التخندق يؤثر في أبناء محله
من بني قريظة ويحرضهم على تخلف له هبة التي كانت بين كعب بن أسد
والرسول ويقول له قد جئتكم بعد الدهر ويحرضه جيشك قريش وسدنتهم

حتى نزلتهم بمجنوع الأسير فلا يفتح في قول الأمر لأن
الزعيم القرظي أفي أن ينقض صهيته مع لأعصار وقت يحيى بن الخطيب جثني
والله بذل الدهر وبجهاه قد هراق دونه فهو يرشد ويريق ليس فيه شيء ويحك
فدعني وما أنا عليه فاني ما أومن محمد لا صدق دونه فديزل حتى يكعب يغفل
له في المدرة والقريب حتى سمح به طاب وأعطاه عهد وميثاق حتى رجعت قريش
وعطفان ومناصير محمد دخل معك في حداث حتى يصيرني ما أذكر لك
فانقض كعب بن أمية عهد وبري كان بينه وبين رسول الله (١)

وقد ذهب هذا العمل للمسلمين لأنهم عموما يتحمل أن ينجم من انضمام
بني قريظة إلى الأعداء وتقرت جيوش لأحزاب بني نزيب وقد عظم البلاء
والدماء الخوف حتى قتل المؤمنون كل ضل ونجم الاتفاق بين بعض المؤمنين حتى
قال أحدهم كان محمد يمينا كسوا كسرى وقبض وأخذوا اليوم لا أومن على نفسه
أن يذهب إلى القنطرة والله أشد على الناس الجلاء بعد رسول الله بعض
رجاله إلى قاضي عطفان فأعطاهم ما شئت ثم التمسوا على أن يرجعوا عن مهاجرتهم
وعن أمية به أخرى بينه وبينهم الصريح حتى كسبوا الكسب (٢)

وقد كان هذا الاتفاق بمثابة هزيمة الدمة جيوش لأحزاب إذ أخذ القواد
بعده ياتونون الكدس وأنجحت كل فئة أصدر الشر الأخرى ثم فسد الأمر بين
الأحزاب وبين بني قريظة حيث شعر بنو قريظة أن تغيير أخذ يطرأ على الحالة
فصاحبوا من حلفائهم رهائن من الدس وأخذوا قريش وعطفان يخيمون على قريظة
ويقولون لهم إننا قد هلك الخلف والخوف فاعدوا لقتال حتى نتأخر
محمد فادعوا اليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا يعمل فيه شيء وأست مع ذلك
بالمعز نقال معكم محمد وقد نخطي إلى أشد عليكم فقال أن تنتمروا إلى بلادكم

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

وتتركوهما ورجل في بلد ولا طاقة له بذلك ، رسولان زاهدان حتى قطعان وأما
بنو قريش وعظماؤهم فلو والله لا يدفع إليكم رجلا واحدا من رجالكم فإذا كنتم
تريدون القتال فخرجوا فقاتلوا بني عدي بن قريظة

وأما بني عدي فخرجوا في يومئذ في سيرة طويلة فمات منهم من جوع وقهر
ونظر مع آئتهم ثم لم يبق قريش وعظماؤهم فماتوا جميعا وأجمعوا في
البلاد (١)

وقد وافق المستشرقون على وصفهم الخلفاء التي سردها إلى هذا وأما
الذي لا يوافق عليه فهو ما جاء في تاريخ العربيه من أن بعد أن كانت هذه
بين المسلمين وبين قريش وعظماؤهم من بعد من هذه الصحيفة فماتوا جميعا
والكاتب ثم قال الحمد لله (٢)

لأن ذلك قد وافق ما وقع في ذب روح الشقاق بين الأحرار بعد ذلك
هذه الصحيفة بين الرسول وبين عطفان لا قبله

على أن عطفان لا يشر في القدر إلا بعد في تاريخ خبير وقد علم الرسول
ذلك من العلي فمات عطفان ، وبعد وقصص عطفان ، وبعد به الرسول على ،
انفتحت مع اليهود عليه وبن كان قبل ذلك كانت قريش تسيه لانه رأيت أنهم سيقول
بهذه الآية يوم أن يفتت قمره واحدة من دونه

وبالاحقة له ، وبالاحقة له أن يورث الرسول محمد بن محمد هذه الصحيفة وتاريخه
أيضا تشبهه ، يقال عن الرومان أنهم حصار جيوش القوقاز لمدة يوم ، أو حدث أنه
بعد أن تعهد المصورون بأن يدفعوا غرامة في ثمانية جيوش الموحشة فمات بطلان
أبطال روم فقتلوا هذه المرفق فقتلوا روم ، لا تشترى استقلاله ، وتاريخ
والتي ساقطت عن وطني هذا التاريخ ولكن روم دفعت العرب لمدة وعدت جيوش

(١) ابن عساق ج ٢ ص ٨٤

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٧٧

القلوة إلى وطنها . (١)

وهذا كسؤال يتردد في نفس الباحث وهو : لماذا يضرب أبو قريظة من قريش
وغطفان وهم أرجال قبل تلك الصحيفة لكن يظهر أن قريش لما نذرت أن الشر
لما جاء من ناحية غطفان لأن الصحيفة كانت من قبيل الله هدت القرية التي
تقع بين القوم في الوقت الحاضر (٢)

وهي بك من بني - فقد تخلص المسلمون من خطر جسيم كان يهدد كون
مهمهم وينصر يستولوا بقر

وقد أخرج من الظهار بني قريظة إلى جيب من الأحبار ونقصهم المعاهدة التي
كانت بينهم وبين النبي أن رسوله يذهب عنهم بعد تحكيمه من جيب من الأحبار
بل بدأ يهدمهم في نفس اليوم الذي حدث فيه قريش وغطفان تتحلى عن المدينة
حتى أنه أمر من كان معه معه وقبيل ألا يصبر أعصر إلا بني قريظة

وهذا يقدر حتى بن أحطاب الذي كان سبب في نقص المعاهدة بين بني قريظة
وبين المسلمين . كان قد نهد غيبه كعب بن سعد بن وقى بمهارة وانعم إلى
أبناء جلدته ودخل معهم الحصن حيث استبرأ وحصنهم من حمى وشتم بن نسيلا
حتى أجهدهم الحصار

ولقد اهل إذا كان قد حدثت مذبحة بين العرب بين أبناء هذه الأمة ثم
ما تحدث

لكن يظهر أن بني قريظة كانوا يميلون إلى الفدوى والى لاهم كانوا رجال
فلاحة ووراعة قد يكونوا في القوة والسكن والخص المربي بالهجرة التي كان عليها
بوقريظة وبني النضير وهم يؤيد ذلك أن بني النضير كانوا يدفعون تدية كاملة

(١) ابن هشام ٣ ص ٧٤

(٢) ابن هشام ٣ ص ٨٣

بخلاف بني قريظة الذين كانوا يدفعون نصفها فقط^(١)

من أجل ذلك كانت العرب ينظرون إلى بني قريظة بعين غير التي كانوا ينظرون بها إلى غيرهم من البعثون اليهودية الأخرى

ونفس معنى هذا أن بني قريظة لما سكن لديهم أية كفاية حربية بل معناه أنهم كانوا أقل من البعثون الأخرى في ذلك ومع هذا أبلاوا بلاء حسن في يوم يمت وأبدوا من الشجاعة وقوة العزيمة ما يستحق الاحترام وأيضاً فهم قد منعوا حملهم حرباً وشعرين ليلة ولم يغزوا إلا حين أيقنوا بذلك

على أن الواقدي يصرح بأنه حدث قدام بين اليهود وبين المسلمين أثناء الحصار حيث كان الفريقان يتراميان بالسهل والحدوة^(٢) كما يذكر ابن هشام أن بعض الانصار من التخرج وبنى حاضرة قتلوا في هذه المقاتلة الضعيفة^(٣) ولم يجرؤ بنو قريظة أن يخرجوا من الآلهة مرة واحدة طوال مدة الحصار لأن عدد المسلمين كان يربو على الآلاف بينما كان عدد اليهود لا يتجاوز سبعةائة إلا قليلاً ولما أيقنوا أن مقاومة جيش الانصار لا تفيدهم فبلا وأنهم سوف يقعون في قبضتهم مكر حائل لزمهم دعوا إلى الرسول أن ابعث اليهم أبا لبيبة المستنيرة في أمرنا فأرسله الرسول اليهم فصاروا رؤوفاً به وأرحم وجهش اليه النساء والصبيان يسكنون في وجهه فرق طمء وقالوا له يا رسول الله انظر إلى حكمة محمد قال نعم وأشار بيده إلى خلقه أنه قد صدق وقال أبو لبيبة فواتته ما رآته قد رآه من مكانها حتى عرفت أنني قد خنت رسول الله ثم انطلق أبو لبيبة على وجهه وذات رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من حديد وقال لا أبرح من مكاني هذا حتى ينوب الله علي مما سمعت ومنه الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً وأقام أبو لبيبة مرتبطاً بخندق ست ليل تأتبه

(١) الواقدي ص ٢١٢

(٢) ابن هشام ص ٣ من ١٠٤

(٣) ابن هشام ص ٣ من ١٠٤

لأمراته في كل وقت صلاة فتعلم الصلاة ثم يعود فيربط بالجدع إلى أن أحلقه النبي (١)

ويظهر مما جاء في كتاب الواقدي أن بني قريظة قبلت أن تنزل على حكم الرسول لأنهم اعتقدوا حق الاعتقاد أن الأنصار يملكونهم كما علموا بني قينقاع والنضير (٢) ورأى كل هذا هو سبب خيعة بني نضير إذ أشار إلى العنق تلميحاً إلى الحكم الذي سينفذ في بني قريظة بعد خضوعهم

وكان بنو الأوس يعتقدون كما اعتقد بنو قريظة في نتيجة حكم الرسول فأنهم لما أصبحوا نزل اليهود على حكم رسول الله فتواثمت لأوس فقتلوا رسول الله بهم كأموالهم دون الخرز وقد فعلت في موالي الخواتم بالأوس ما قد علمت قتال الرسول ألا أرضون به معشر لأوس أن يحكم فيكم رجل منكم فلو إلى قل فذلك إلى سعد بن معاذ . . . ثم حكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتبني الدار والبيت . . . (٣)

ولا شك أن اليهود لم يسكروا بنظرهم إلى هذه الخيانة من حلفائهم بني الأوس ولا إلى غدور سعد بن معاذ بهم ولم ينجحوا كما نجح عبد الله ابن أبي حلفاءه من بني قينقاع . . . (٤)

وكانت بنو قريظة حول الجبل قبل إعدامهم يقرأون في كتاب اليهود ويتناقشون في شؤون الدين لأسمائهم إلى حيث اتفقوا على أن ينصرفوا إلى آخر دمع من الحياة (٥)

أما تنفيذ حكم الإعدام في رجال بني قريظة فقد نعلم أن الرسول خرج إلى سوق المدينة ليقدم بها خديج ثم بعث إليهم فغضب أعدائهم في تلك الخنادق

(١) ابن هشام جزء ٣ من ٨٩

(٢) الواقدي ٣١٣

(٣) ابن هشام جزء ٣ من ٩٢ — حديث البظري ٢٠ من ٢٢٩

(٤) ابن هشام جزء ٣ من ٨١

(٥) الواقدي من ٢١٦

بمخرج يهيه اليهم ارسلا وفيهم حيي بن اخطاب وكعب بن أسد وأمس القوم وهم سائلة
والكثر لهم يقرب سموا ثمة و... التي يحيي بن اخطاب و... حلة قدسية (ضرب من
الوشى) قد تنقذ من كل ناحية قدر النية شالا يسنبه أحد فقد نظر الى رسول الله
قل أما والله ما كنت غافيا في عماؤك ولكنه من تحفل الله بخذل ثم أقبل على
الناس فقال يهيه الناس انه لا بأس بأمر الله كعب وقدر ومصلحة كعب الله على
بي امر القيل ثم جنس فخر رات علقه (١)

وقد اقترح كعب بن أسد وعيم بن فريضة على أبيه جلدته قتل عروجه
من آخذه ان يسفوا لاسلامه فيأمر على دمه وأمواله وأهله ونسبه
فقالوا لا نفعل حكمنا بالورقة بهذا ولا نستبدل به غيره (٢)

هذه الحفل لعل على بسويع الذرية في نفوس بني فريضة ونسبه ما كانوا
ليعلموا بكون في سبيل ثمتك بدعيه وتحفظه على مذله

وقد قد رتب بني فريضة أهلهم والمعر في الشؤون الخرابية فاستدعوا قدامهم
الأخرى ورسم ثمت من حاديت لأن هذه ده قال كعب بن أسد لموه اذا
أقبلتم على هذه (المدحول في لاسلامه) وير فاقبل أسد و... ثم يخرج الى
محمد وأصحابه وحلوا في بين السيف ما عرفت ورما لاسلامه حتى يحكم الله بيننا
وبينهم فان ثمتك هناك وما عرفت ورما لاسلامه حتى يحكم الله بيننا
لجند الناس ولا يذ... فلو غافل هؤلاء الناس كين في حيز العيش بدعهم قال فان
أقبلتم على هذه فان ثمتك لينة السميت والله عني أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا
فيهم ولزوا بعد عريب منهم فمرد فكم... سبيل خيرا وتحدث فيه ما لا يمكن
تمن كان في... لا من قد سمعت فمرد... ما يخلف عديك من السيف قول ما رت
رجل منكم مد ولعله قد لينة وحدة من... حيا... (٣)

(١) ابن هشام - ٣ ص ٩٢

(٢) ابن هشام - ٣ ص ٨٨

(٣) ابن هشام - ٣ ص ٨٨

ثم قتلوه ناضحاً حتى أنقضى لاجبة قدمه ذات ففُرب عنه . . . (١)

وكان المسلمون لا يقتلون في غزواتهم النساء والنهارى وكل من لا ينبت من الرجال (٢) لكن في هذه الغزوة قُتلت امرأة واحدة وقد انطلقوا به لقتل وعلى نفرها علامة الخيبر والآنهم حتى قُتلت عائشة زوج الرسول ففول الله ما أُنشئ عجيباً منهم، طيب نفساً وكثرة ضحكهم وقد عرفت أنهم قتل (٣)

وقد نجى في ذلك اليوم أربعة من اليهود . بقى لأنهم اعتنقوا الاسلام فقاموا على نساءهم وفراشهم وأموالهم وقد بنى ثلاثة منهم في المدينة لهم وابيهم فقد خرج على وجهه من يثرب ليلة الاسلام وبمصر بعد أن أبى ذهب (٤)

ولا يكن الثلاثة الذين سموا من بنى قريظة أو من بنى النضير بل كانوا من بنى هذيل وهم يثرب من اليهود العربىة التي تهودت وه يكن عددهم فرادهم اليهوديين كبيراً في يثرب

وهم يكن من شيء فقد قضت هذه الغزوة القضاء الدائم على يثرب اليهود في يثرب وقد كان المقصد على اليهود هو دئهم يثربون لأوس وخرج من المدينة الأولى لجواربهم هم في يثرب وقد بذلت في هذا السبيل جهود عظيمة في قترات مختلفة ولم يوفق حتى جاءت الحوادث بعد الفجرة خلقت قلوبهم وانماهم السياسية في وقت كانت حادثة فيه تلك الآمال

وقد طرأ تغيير عظيم على يثرب بعد خروج اليهود منهم إذ تدهورت شئونها التجارية والصناعية تدهوراً شديداً ولم يكن بهذا مدينة صريح الرسول ولولا تكن عصمة الدولة لاسلامية في عصر الحقد لكانت يثرب شاماً

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ — ج ٢ ص ٢٩٩

(٢) حديث البخارى ج ٢ ص ٢٥١

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٩٤

(٤) ابن هشام ج ٢ ص ٩٠

يذكر بعد تلك الخواص في الجزيرة العربية
وقد اتصلت شأن هذه المدينة بعد عصر خلافة الراشدين ولم تعد اليها
مكانتها القديمة من الوجهة التجارية والصناعية

هنا ، يحيل اليه المستشرقون وقد يكون من الصعب تقدير هذا الرأي
وتجريد من الصحة على أن هناك بقعة جوهريية يجب أن نذكرها ونحن نبحث
أسباب الضعف الذي حار على العرب بعد أن بحيث لهم سلطة اليهود

قد يظهر لكل واحد في تاريخ المسلمين بعد الخديعة وغزوة بني قريظة
ظاهرة جديدة في منطقة يثرب أولاً وفي الحجاز كله بعد زمن قصير ، هي أن
مرافق الحجاز من زراعة وتجارة وصناعة أصبحت مهملاً شيئاً وأخذ أفراد البدو
وغيرهم يتجهون نحو الشواطئ الحجازية التي سفلت العرب من حيث لهم من الغنائم
وبعد مكنت لهم فيها يملك هذه الأساطير في الجزيرة العربية

وبعد غزوة تبوك أحدثت الجيوش الإسلامية تغيراً كبيراً في سورية والعراق ومصر
وأفريقية الشمالية فزاد في الأعمال القديمة معروفة في الجاهلية قبعة كبيرة في كسب
الزاد والحرث والجمال والسلاح إذ كانت تدار لأرض من ير أو غير قيادته جداً
بالسيرة بل تغلب الفتح من مختلف الثغرات

وكذلك أهمل العرب أعمالهم الزراعية وتركوها بأيدي العبيد الذين جاءوهم
من الأمة المغلوبة

ولا يمكن هذه الظاهرة فتمسك في العنصر العربي وحده بل نجد ، شأنه
لكل الأمة في ظهور الانتقال من الفخر والبطولة في ذلك والاستعداد فقد بدأ أن
الأمة اليونانية أخذت بعد خروج الاسكندر الأكبر تمنح تلك التفرق لنعط
في الزراعة والتجارة وتبني في بلادهم من مصائد الغزوة ضلعت في جلب ما في
التيارات الشرقية من غنائم الكثيرة وفي مثال هذه الظاهرة يشير من كتب في

تاريخ روم بعد فخره لأمم العالم القديم

أما لاهل الذي وقع في منطقة يثرب فقد ظهر أثره بعد زمن قصير في مكة
فانه هويت شعوبهم التجارية ولم يمد سمع في التاريخ لاسلامى شيئا عن قول
مكة الى يثرب والله ونحن لانست غشوا فريش وبعدهم وجدوا روقهم فيها
اليسطهم في التماك الاسلامية وولا الكمية مكة فقامت كسائر مدن الجزيرة التي
تتراقى ولا تعظم بظهور الاسلام بل فوسعت خلية من اهلها العرب الذين ملوحت
بهم مضامير الفلوج

على ان لا يكون له حسين يرى ان الخطاط يثرب والحداد عدة من توجهه
مادية يمكن ان يثبت عن هذه اليهود وجلائهم وقد كان ابيحة لانهما لا انفصال
النشاط العربي في حوض الخرج خارج لبلاد العربية وهو يرى ان اليهود لم اهتم
ظهور مدني الى المسلمين حتى كانت الفلوج لحوار من طهر الطبيعي على هذه
الارض التجارية التي لا يمدوا ولا مضارين ولا تقسم لانفسهم مدعيات
أعربى الخراب والمب تسمع في العراق والشام ثم مديرت ثم غيرة من البلاد التي
فجعت على المسلمين

في النهاية مادية نحو الدراسة اليهودية في يثرب فوالسحة فقد فسر رسول
الاسلام من المذهب الفلصا ومن المذهب والاربع على انهم حرم وولم يثبت بعد
انفسهم دعوة لآدم التي اعلنت من اليهود وما بقي من الاموال بعد هذه
التمهدين ولا كانت خطا في يثرب انما الدولة الفلصا التي ظهرت بظهور الفلوج بعد
غزوة بني قريظة فكانت في حجة سيرة الى الامم التي تسعد على انفسهم
لمشروعهم مهمة في حجاز وأرض الشام

ثم انشهر هذه الامور فريش في القليل العربيين مؤمنة من فريش وغيره
فسيبانه فيما بعد

وقد انفقوا ففقدت صولتهم بعد يوم فريضة بعد سمع فلم شعلا

أقول لا تنقض إرادة النبي وأصحابه كما كان يفهم ذلك من قبل

أنه النساء والمراري قد بعث بهما الرسول إلى نجد فبقيت عندهم خيلاً وملاحاً
وقد اصطفى لنفسه من نسائه قرينة ربيعة بنت زيد فكانت عنده حتى توفيت
في حياته ويقول صاحب كتاب الطبقات إن الرسول صلبه من قبله الخليل وكان
محباً لها وكانت لا تملك له ثمنه وقد قيل هذا لو كنت سألت رسول الله
في قرينة لأعقبه . . . و . . . كانت امرأة جميلة وبينة . . . فزارت عليه قبره
شديدة فظلتها تظلمة وهي في موضعها ما ترج عشق شبيب وأكثرت البكاء
فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الحال فاجتمع فكلمت عنده حتى . . .
شده . . . (١)

وفي سورة الأحزاب آيت يعلم غيبه في قرينة ورد الله الذين كفروا
بخطيئتهم لم ينالوا بها نقى الله ذنوبهم الذين وكان الله قوياً عزيزاً وأنزل الذين
ظاهروهم من أهل الكتاب من حبه وبهده فدفق في قلوبهم الرعب فربما اتقوا
وأنصروا في لقاء أولئك الزميمة ودينهم وأموالهم وأولادهم فاعلموا وكان الله على
كل شيء قدير (٢)

وكذلك قال العرب شعراً كثيراً في غزوة قرينة وغزوة خندق وهو شعر
لم يوجد له نظير في الغزوات إلا في هذه من هذه وهو يدل على ما كان ذلك
الغزوة من وقع شديده في النفوس

ومما قلته جيل بن جويل النعماني يروي في قرينة :

| | | | |
|-----------------|--------|--------|--------|
| ألا يا سعد سعدى | سعدى | سعدى | سعدى |
| أمرت ابن سعد بن | سعد بن | سعد بن | سعد بن |
| فداهي | فداهي | فداهي | فداهي |

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٢

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٤ - ٢٧

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| وبدلت النوالى من حضير | أسيد والدوائر قد تدور |
| وأقربت البويرة من سلام | وسعية بن الخطيب ففى بور |
| وقد كانوا بجلدهم ثقالا | كما نقلت بحيطان السمخور |
| فإن بهلك أبو حكي سلام | فلا رث السلاج ولا دنور |
| وكل الكاهنين وكان فيهم | مع اللين نظارمة العاقور |
| وجدد المجد قد بنوا عليه | بمجد لا تقيمه اليسور |
| أقيموه مرة الأوس من | كانكم من الخزاة عور |
| نركم قدركم لا نرى فيها | وفقد القوم حامية نفور |

الباب الثاني من

غزوة خيبر

الاصحاب التي حملت الرسول على محاربة أهل خيبر — أهمية معاهدة الرسول مع فريش
ففي هذه الغزوة من اوجهة السياسية والحربية — مرافقة فريش الحجاز لغزو خيبر — فهدو
بن قطفان بمخالفاتهم أهل خيبر — تنصل حوث آلاء خيبر — سلام بن مشكم وبقيّة زعماء
خيبر — المناطقي الخريصة في بلاد خيبر — حصول خيبر المنيعة — الحاج اليهود وطلب
الصلح — لماذا لم يحمل الرسول أهل خيبر د — رأي من عشاء — آراء المستشرقين —
مقام خيبر — سمعت التوراة والرسول — زواج النبي بصفيّة بنت حيي بن أخطب — محاولة
زقيّة ابنة الحارث الانتقام من ارسولها — لماذا تزوج الرسول بصفيّة بنت حيي د — حضور
يهود وادي القرى وهدم وتبناه لرسول — نتيجة غزوة خيبر

ارتفعت فرائض يهود خيبر لما وصل اليهم ، حل بحوانهم في يثرب من
التنكيل والتقتيل وأوجسوا خيفة من قعة المسلمين عندهم من جراء شعور بعضهم
لبني فريش ومخطفان مع حيي بن أخطب على محاربة الانصار

وقد صرح سلام بن مشكم زعماء خيبر بن خطر ايتهدد كيان اليهود في
الحجاز وأبان لهم أن الواجب عليهم أن يدعوا الى تأليف كتلة منهم ومن يهود
وادي القرى وتبناه ثم يزحفوا على يثرب دون أن يعتمدوا على البطون العربية في
هذه الغزوة ولكن بعض الزعماء عرضة في هذا الرأي^(١) وكانوا في هذه الاثناء
يرسلون الوفود بلاموال الى المدينة لئلا يندفع عظيم من الباء والقدارى . . .^(٢)

(١) الواقدي ص ٢٢٤

(٢) الواقدي ص ٢٢٩

وقد عاى الرسول بعد يندور فى خلد يهود خير فخذ ينهيا فخذهم ولكنة أجه
الى أجه قصير لاسب سبانية وأخذ لاصير يرسون الوفود لقتل رعد خير
كفدت بالفرونة

وكان من تلك الصحر زعيم كبير النعم والميعة فى خير وهم سلام بن
أبي الحقيق والى يمين يرم

أ. الأول قد قتل غيلة على فرسه فى خير بسطة حمة من رجل بنى
الخارج قصير خير وحملوا على امرأه سلام وفوقها إيه ينامون ليلة
فقدت لها الأوب فهدموا على سلام وطعنوه بسيفهم وهو على فرسه لا يدري
يهم (١)

ونلاحظ أن هذا القتل لا يكن بعد مزية قرينة مغيرة بل جرى قبيل غزوة
خير وكان أبو الحقيق من أصحاب العقول لرحمة وراد المسلمين أن يخلصوا منه
قيل أن أسيرهم لك ينام و بين اليهودى حبة خير

ونما كرمه لى وهو اليسير بن يرم فم كان يجمع إلى غلمان يجمعهم
العقود والانه فت يكونوا مع اليهودى حالة دمل أهل خير فى حرب مع المسلمين
فبعث اليه الرسول عبد بن ربيعة فى نفر من صحبه فقدموا إلى اليسير بن
يرم بخير وكلمه وقالوا له انك بن قدمت على رسول الله فإنت لا يزالوا
به حتى إذا كان بالنفر فم خير على سيفه فم إلى الله اليسير على مسيرة ففطن له
عبد الله بن أسس وفتح به ثم ضرب به بالسيف فقطع رجليه وضرب به اليسير بخراش
فى يده من شوحط فم ودم كل رجل من لانه وعلى صاحبه من اليهود فقتله
الرجال واحد فمات على رجليه (٢)

وقد يدل هذا على صحة رواية الواقفى من أن بعض زعماء خير لم يوافقوا

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ١٢٢

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ١٢٠ — تاريخ الخلفاء جزء ٢ ص ١٦

من انتقامه لرسول بعد أن حاربته وكادت له في بدر وأحد وانفذ
 ولما سمع القرشيون بسير النبي إلى مكة خرجوا معهم العوذ المغفل وقد لبسوا
 جلود البوم^(١) وتزلقوا بشي حلوى به هدون لله أن لا يدخلهم المسلمون عنوة أما
 الرسول فلم يأت للقتال ولكنه جاء لزيارة البيت الحرام
 ولا شك في أنه قد ظهرت فاني بعد يوم فريضة سبسة جديدة إزاء قريش
 فقد أراد أن يأخذهم برفق ولكن أي رفق ؟ انه رفق القوي الذي يرى أن
 يصل إلى غرضه بدون أن يحكم الشف وليس رفق هـ كرفقه بمكة يوم كانت
 قلبل الانصار

ويحدثنا ابن اسحق أن الرسول قال : لا تدعوني فريش اليوم إلى خطبة
 يسألوني فيها صلة أزواج الأسطينية^(٢)

فلما وقعت فريش أن الرسول يميل إلى يهودشاهما تنردد في القول
 أما نص عهد الهدنة ذات نعتقد أنه كان قول من وصل اليها في كتاب
 السيرة فقد جرت مفاوضات كثيرة قبيل الهدنة ولا تكف قريش بقول مهمة
 وانه حلت شروطاً واضحة تضمن منسحبها وفوقها لأمن

والذي يرجع إلى آيت سورة الفتح التي يشرحها ابن اسحق يرى أن الاخبار
 القليلة التي وصلت اليه عن يوم الحديبية يرجع الفصل مهم إلى الآيت أكثر من
 الروايات التي لا يفي منها المبدء لا القليل

أما انصار الرسول فقد غصبوا وذكروا د غطفوا أن شروط الهدنة في صلح
 قريش وكانوا يودون أن تدفع حكم الرسول بلا شرط ولا قيد وفي عهد الهدنة

(١) قبل العوذ جمع عذوهي الناقة التي تم ولدها بريد ثم خرجوا بدوات الاطيان
 من الابل ليترودوا إليها ولا يرسوا حتى ينسروا عهداً وصحابة في زعمهم . . . (الروض
 الانف جزء ٣ ص ٢٦٦)

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٥٢

قل عمر بن الخطاب كانه اثبتوه ه علام تعطى الدثبة في دينك ه (١)

وبارغم من تودة المسلمين على شروط الهدنة فقد كان في قبوضه من الرسول
دلالة كبيرة على بصره بالمواقب وعدمه بالسياسة المدققة وبؤيد ذلك ه فله الزهرى
فما فتح في الاسلام فتح قبل يوم الخديبية كان أعظم منه لما كان القتال حيث
التقى الناس فقد كانت الهدنة ووقعت الحرب ثوارهم وآمن الناس كلهم بعضهم
بعضاً والتفوا فتفاوضوا في الحديث والله راعى في حكمه أحد في الاسلام بمثل شيئاً
الا دخل فيه واقد دخل في تيمم السنين مثل ه كان في الاسلام قبل ذلك له
أكثر . . . (٢)

أما الآيات التي تتعلق بيوم الخديبية فهي فتوى على سورة الفتح يجمعها
ه إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليظهر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ه إن الذين يدايعونك الله يريهم الله يد الله
فوق أيديهم فمن سكنت فانه ينكت على نفسه ومن أوفى الله به عليه الله فسيؤتيه
أجراً عظيماً ه ه وهو الذي كف أيديهم عنك وأيديكم عنهم بمكة من بعد
أن أظهرهم عليهم وكان الله به نعمون بصيراً ه الذين كفروا وعدوا عن المسجد
الحرام والهدى ه مكروه أن يبنوا محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لما لغوهم
أن تظلمهم فتصيبكم منهم مرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو توالوا
اعدت الذين كفروا منهم عند أليها إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حمية
الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألهمهم كلمة التقوى وكانوا
أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليم الله صدق الله رسوله الرقيب ليدخل
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محققين رهوسكم ومقصرين لا تخفون فعلي ما لم
تلموا فجعل من دين ذلك فتحاً قريباً ه

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٤٨

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٦١

وتتلخص الأسباب التي حملت النبي على غزوة خيبر فيما يأتي :

(١) أراد من يهود خيبر ما افهموه من تحريض قريش وغطفان على محاربة المسلمين

(٢) كانت جموع اليهود في خيبر من أقوى القواف ياأساً وأوفرها مالا وسلاحاً ولم يكن هناك أي أمل في أن يعتنقوا الدين الاسلامي بعد ما انتهت التحدية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين يهود يثرب أن اليهود من يدعوا في الاسلام ، وهذا كان الغرض الذي يرى اليه الرسول صلى الله عليه وسلم هو جمع العرب على دين واحد وتأليف كلمة متحدة منهم فقد كان هناك عنده في هذه الحال أن يقضي على يهود خيبر حتى لا يكونوا حرجاً شديداً في سبيل تطبيق ذلك الغرض

(٣) ما يحبه النبي قوة تقف في سبيل نشر دينه إلا قوتين اثنتين قوة قريش وقوة اليهود لذلك وضع نصب عينيه القضاء على هاتين القوتين لينظروا له الجوار ويسمكون من نشر دعوته ، أما بقية القبائل الجاهلية فيمكن من القوة والجاهلورة بمثل ما كانت قريش واليهود

ويظن أن صاحب السيرة ما نقله أحداد كثيرة عن غزوة خيبر لذلك لجأ مؤرخو العرب - وقد كانت لهم سيرة ابن هشام الياييع الذي يستفون منه جميعاً - إلى الأخبار والروايات المتطرية في ذلك بعض روايتهم مختلطة بكثير من العجايب والغرائب كما ستوضح ذلك فيما بعد

ومما لا شك فيه أن غزوة خيبر كانت ذات شأن عظيم في تاريخ الفتوح الاسلامية إذ كانت كل قبائل الجاهلية تراقب نتائجها بعناية وتعلم شؤونها على حسب ما كان يراعى لها من نتيجة مستقبل السيف بين الانتصار واليهود وقد كان أعداء الرسول الكثيرون في بداية العرب وحضرتهم يعتقدون أملاً كبيراً على تلك الغزوة

وقد اتقسم أهل مكة قسمين : طائفة منهم ترجح أن النصر سيكون حليف

اليهود ومما افقده تروى أنه سيكون من نصيب المسلمين وكثيراً ما تراهن بعض الأفراد من كان الطائفتين بسبب ذلك^(١)

وقد كان الاهتمام بهذه القزوة شديداً جداً في مكة أثناء القتال حول آباء خيبر حتى أن الخديج بن عطاء لما ذهب إلى مكة بعد ذلك شرب الخمر بغير المسلمين خذع أعظم. وقد فرغوا عندي من شربهم يسرهم أعزاه محمد حريه ما سمعوا بينهم قط وأمر محمد أميراً وقال لهم خيبر لا تقبلوا حتى يبعث به إلى أهل مكة فبعض اليهود بين أظهرهم كان كان أحد من يخدمهم ويخرج أهل مكة هذا الخبر وقد خلو أن الكلمة أيقنهم "صعدياً" إلى "اللات والعزى" . . .^(٢)

وأما اليهود خيبر فقد أوردوا في غطفان بسببهم لأنهم كانوا من خلفهم وشتموا فلم تصف لهم خيبر أن يذهبوا إلى مسعين فدم^(٣)

والكن يقولون غطفان التي اشهرت بدمهم يوم الخندق اشحت بدمهم خيبر أيضاً إذ بعد أن شربت غطفان بعد ما ظهرت ملاحم الجيش الإسلامي دس غلاف في قلوبهم واستولوا عليهم الفرج فرجعوا على أعقابهم وقدموا في أهلهم وحلوا بين الرسول وبين خيبر^(٤)

والكن يظهر أن غطفان لم ترجع على أعقابها من حراء السوف من ملاحم الجيش الإسلامي كما يقول ابن هشام لأن من رويته أخرى تقول إن الرسول قد بعث إلى بني فزارة من بني غطفان وكانوا قد قدموا بخربة المسلمين مع يهود خيبر يطلب منهم أن لا يعينوه وأن يخرجوا عنهم على أن يعطيهم من خيبر شيئاً مما هم فيه عليه ويقولون خيبر لا يجوز أن يفتح الله خيبر ثم من كان هناك

(١) الواقدي ص ٢٨٩

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٨٦

(٣) تاريخ الخبيص ج ٢ ص ٤٨

(٤) ابن هشام ج ٢ ص ١٧١

من بني فزارة قتلوا الذي وعدت فقال لكم ذو الرقية نجبل من حبال خيبر^(١)
وقد جاءت هذه الرواية في كتب المؤرخين لوقا قدي حيث يقول : إن عبيدة
وعيم بن فزارة قد غلب وما يغفل ذو الرقية لأن أوفسها لم تكن خضبة^(٢)
أما اليهود منهم بعد أن قدوروا وخيمهم سلام بن مشكم * أدخلوا أموالهم
وعبائهم في حصن الرمنج والسلاط وأدخروا ذخائرهم في حصن الرمنج وجمع القمل^(٣)
وأهل الحرب في حصن حنة وسلاحهم بن مشكم مع أنه كان مدبراً جده ودخل أعانة
منهم وعرض الرمنج على الحرب^(٤)

وكانت حصون خيبر منيعة على رؤوس الجبال وكان رجليها مدبرين قد
منسوا القمل والصلح وكانوا أصحاب سلاح كثير وسموا آلات الحدم في رد
عدية المقبرين عن أعينهم^(٥)

وكان الرسول قد جاء بخيبر لا انصار مسلحين بكل ما غنموا في الغزوات
السابقة وكذلك انضم اليهم كثيرون من قبائل العرب البادية طمعاً في أموال
اليهود

وكان من نتائج أول معركة بعد أن التقى المسلمون حامل حصن حنة أن وصل
عدد حرجي المسلمين إلى ٥٠^(٦)

وعلى العموم فإنه من الصعب معرفة عدد القتلى في هذه المعركة لأن مؤرخي
العرب — كما قلت — لم تصابهم أخبار كثيرة عن غزوة خيبر وفصلاً عن ذلك
فإنه من المعروف أن المؤرخين في التاريخ العام لا يذكرون عدد القتلى والجرحى
من جهاتهما إنما يذكرون في عدد القتلى والجرحى من العدو

(١) تاريخ الخبيس ٢٠ من ٦٠

(٢) الواقدي من ٢٧٩

(٣) تاريخ الخبيس ٢٠ من ٦٠

(٤) تاريخ الخبيس ٢٠ من ٦٠

(٥) الواقدي من ٢٨٦

وقد نكح اليهود في أول عهد الغزوة بشكبة شديدة بسبب وفاة زعيمهم
سلام بن مشكم في حصن نخلة وكان المسلمون يحاصرونه أثناء ذلك^(١)
وقد وجد في هذا الحصن أولاد بني قحظة وكانوا أصحاب تروقة طائلة في خير
حتى قالت عائشة زوج الرسول عن هذه الأسيرة : « شيع رسول الله من خيل
الشعير والتمر حتى فطحت دار بني قحظة »^(٢)

وانتقلت القيادة بعد وفاة سلام بن مشكم إلى الحارث أبي زئبب الذي
خرج بعد ذلك من حصن نخلة فماتوا بحبس الأسلامى فقتلهم أمية بن الخزرج
الذين يدعوا الفداء واضطروا إلى أن يرجع إلى الحصن ثم تجمع جماعة من اليهود
راغبى الجاهل وهجموا على الأسير حتى وصلوا إلى حائل نزيهة بالقرب من الرسول
فبعث الرسول أبا بكر الصديق بزيارة إلى الحصن فأتى ورجع وقد يكن فتح وقد
جهد ثم بعث إلى الفداء عمر بن الخطاب ورجع وقد يكن فتح وقد جهد فبعث الرسول
عليه وهو أرمم فبعث في عينه ثم قل خذ هذه نزيهة فاقض بها حتى يمسح الله عليك
فقد دنا من الحصن خرج إليه أهله فالتفهم فصر به رجل من اليهود ففاح لرسوله من
يده فاستول على ربه كان عبد الحصن ففرس به فارتل في يده وهو ينادى حتى
فتح الله عليه ثم أقام من يده حين فرح . فتفقد كل في نذر ثمانية اجتمعوا على
أن يقتلوا الباب فلم يقتلوه^(٣)

أما صاحب تاريخ الخبيس فيسرد هذه الحبر ويلاحظ أن الذين أوردوا
خلق رب الحصن كانوا سبعين وه يحركوه إلا بعد جهده . . . وقد حمله على بن أبي
طالب على ظهره وجعله قدقرة حمل عليه المسلمون حصن ثم أتى ذلك الباب
وراء ظهره فماتين شعير^(٤)

(١) تاريخ الخبيس ٢٠ ص ٥٠

(٢) تاريخ الخبيس ٢٠ ص ٥٣

(٣) ابن هشام ٢٠ ص ١٧٦

(٤) تاريخ الخبيس ٢٠ ص ٥٦

وفي أثناء هجوه الانصار على حصن ناعم قتل البطل الخيري مرحب بعد
مبارزة عنيفة مع محمد بن مسلمة ^(١)

وتذكر هذه المبارزة بحسب رواية صاحب الخيـس بالروايت الخرافية
عند قدماء الاغريق

والذي يمكن ان نستلحه من هذه الروايات ان معركة عنيفة دارت حول
حصن ناعم دون ان ينقلب المسلمون على اليهود فامر الرسول انصاره ان يقطعوا
اربعة من نخيل اليهود ليدخل العرب في نفوسهم ^(٢)

وقد اصبح ابو بكر الصديق الرسول بن يسمع عن قطع بقي لاشجار فقال ^(٣)
وسقط حصن ناعم بعد ان قتل قائده حذرت بن زبيب ^(٤)

وكال حصن ناعم من الحصون المهمة في منطقة افاد التي كانت بها اطماع
عرب يهود لاس

وكانت بلاد خيبر منقسمة الى ثلاث مناطق عربية الاولى افاد والثانية
الشق والثالثة الكلبية

وبعد ان سقط حصن ناعم توجه المسلمون الى حصن القصب بن مـ ذ
واحفوا عليه ففرق اليهود شملهم وسقط الرسول ان ينجز رجاله ويجمعهم ففقدوا
والفقدوا السور ولكنهم وجدوا بعد سور آخر في خلي فتركوا بعد جهاد شديد
ولما اتى اليهود الى حصن آخر هو حصن الزبير في نفس منطقة افاد ^(٥)

وكان مقاتلة المسلمون قبل فتح حصن القصب بن مـ ذ في حالة جملة شديد
لقدالة المؤمنين عداهم وكثرة جيوش فوجهت جمعة منهم الى الرسول لشكوا اليه

(١) ابن مـ ذ ج ٣ ص ١٧٥

(٢) تاريخ الخيـس ج ٢ ص ٥١

(٣) الواقدي ص ٢٦٨

(٤) تاريخ الخيـس ج ٣ ص ٥٥ — الواقدي ص ٢٧١

(٥) الواقدي ص ٢٧٤

ونطلب منه ما تعد به وبشها . فلي يجد الرسول شيئا يعطيهم إياه فقل اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه^(١)

وقد أذن الرسول للانصار في أكل خوم الخيل^(٢)

وحدث أثناء ذلك أن أحد السفين اغتمت شتين اغتمتها بعد أن دخلت أولاهم الحصن فحطسها تحت يديه وأقبل بهم إلى الرسول فذبحوه وأكلوها وكان هذا الرجل إذا حدث هذا الحديث بكى^(٣)

لكن بعد فتح حصن العميق بن معد وخذ السفين طعاماً وودكا كثيرا^(٤)

ويظهر لي أن معداً هذا لا يكن عم الحصن كما أشعر بذلك تسمية الحصن به بل تعرف الصخرة العالية في اللغة العبرية بمعد معد

وقد كان هذا الحصن على صخرة عالية كما ذكر ذلك صاحب تاريخ الخراسان^(٥)

أما حصن الزبير فقد كان منبعا حداثا حتى أن المسلمين لما استطاعوا فتحه على عظمه قد بدؤوا من جهود ألا يهتدوا أن يهتدوا يهودي فهدموا ما كان لهم بقطعة الماء عن المحصورين وكانت هذا الماء يجري في القنطرة من تحت الأرض وتظهر اليهود إلى أن يخرجوا منه . وبعد ما رآه عبيدة بن جراح وأوفوا إلى أبيه جلدته في منطقة أطام الشق^(٦)

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١١٣

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٧

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٧

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٤

(٥) على أن تسمية الصخرة بمعد في اللغة لا يمنع من أن يعطون أم فراس مسمى تعاد أيضا لأن معد في اللغة العبرية المنبع وهو يطلق على انحدار ورماد وتعدا كما في التاج ص ٥٧٠ ج ٢ وقد سمي العرب هذا كثيرا فخص بلحاذا الذي يقع إليه الخائف قل صاحب القاموس ا وسوا طائفاً وعائداً ومعداً ص ٣٦٩ ج ١

(٦) الواقدي ص ٢٧٦

ولما أصبحت آطام منطقة النطاة في أيدي الغزاة اتجهوا إلى إقليم الشق
وشرعوا يحصرون قلعة أبي وهي على جبل شجران
والسنة تعرف مما جرى أثناء حصار هذا الحصن أكثر من أنه حدثت
مبارزات بين أفراد من اليهود والمسلمين انتهت بطرح القلعة
تحت الرسول بعد ذلك ببقية حصون منطقة الشق في أيدي اليهود أقلية أهميتها
من الوجهة العسكرية وقصد أرض الكنانية حيث حشد اليهود في حصن القموص
الذي تجتمعت فيه جموع اليهود من المدبرين من الحصون الخيرية الأخرى
وكانت القموص تحت قيادة بعض الأشراف من بني الخفريق وكان في هذا
الحصن أثناء هذه الأمرة وقد كان هذا الحصن اسم آخر وهو نزار ومطاه بالغة
العبرية الحج (٢٥)

وقد اختلف بعض مؤرخي العرب في أخبار حصن القموص فمن
هشام والواقدي يقدسان بعض الأخبار عن أنهم في حين يأتى صاحب تاريخ
الجبس بنتمس هذه الأخبار على أنها حدثت أثناء الحصار حول القموص (١)
على أنها لا تعلق أهمية كبيرة على أخبار كهده لا تعيدى الخدلة فهم فنيلا
لأنهم روايت حياية أكثر من حوادث حقيقة

اسم الحصن حول حصن القموص عشرين يوماً حيث انتهى بإمكان
المسلمين من فتحه بسهولة وقع في قبضتهم سبع من النساء والذكراى ضمنها الرسول
بين أنصاره ومطفي الغلة ثم صفية ابنة حبي بن أخطب
وبما كانت الجيوش الإسلامية تحاصر توطيح والسلامة في إقليم الكنانية
عذب اليهود الصالح وسأوا الرسول أن يعطينهم دمه فاجبرهم إلى صلبه وحرق
دمه (٢)

(١) تاريخ الجبس ٢٠ ص ٥٥

(٢) ابن هشام ٣ ص ١٧٩

وهذا تتسائل لماذا عامل الرسول يهود خيبر بخير انعامه التي عامل بها يهود
يثرب ؟

ويتلخص الجواب على هذا السؤال في أن خيبر كانت واسعة الاطراف وفيها
من الحدائق والمزارع والنجيل ، يحتاج الى يدي الكثيره التي درست أشغال
الزراعة والفلاحة ولم يكن من العرب من درس ذلك الا التزر القليل وفوق ذلك
لم يرض الرسول أن يترك من أنصروه من يستوطن هذه الارض ويعمل بها
لاحتياجهم اليهم في الاعمال الخريجه وما يمكن في الامكان ترك هذه الارض لتخبطه
بوراً لا تنتج زرعاً ولا ثمرآ لأن الدولة الاسلاميه الناشئة كانت في أشد الحاجة
الى الاموال الكثيره فلم يكن يد من الابقاء على اليهود ليعملوا في هذه الارض
ويتجروا منها الزرع والتمر ولذلك كانت شروط الصلح التي عقدت بين الطرفين
في مصلحة المسلمين أكثر منها في جانب اليهود

هذا الى أن يهود خيبر لم ينفقوا ، يفرحوا برسول ويثير حقداء عليهم
كما فعل غورهم وكل ، كانت معهم لا يعدوا شريك بعض اعداء بني النضير
اللاجئين الى يهود خيبر في تحريض قريش وغطاء على المسلمين في يوم الخندق
فما دامت شوكة اليهود في الخندق قد اكثرت قريش ، يخافون من وجود يهود
خيبر في ارضهم بل كان في وجودهم مصلحة كبيرة حيث يستأجر مجاهدتهم في
الاعمال البحرية والزراعية لاكثر من واردات الحكومة الجديدة كما ذكرت آنفاً
ورتاب بعض المستشرقين في قول الواقدي (إن المسلمين لم يتركوا يهود
خيبر سوى ثوب واحد لكل منهم وسوى أسلحة ودرابهم)^(١)

ويؤيد المستشرقين في رأيهم هذا قول الواقدي نفسه يقول في نفس
الصحيفة التي ذكر فيها ذلك إن اليهود قد جاءوا من منطقة الكنديه ثمراء غنية
القموص وهذا المساء والندوي من أيدي الغافرين فمن أين جاءوا به يشعرون

به الغنائم وينهبون النساء والقدراوى اذا لم يكن المسلمون تركوا لهم الا ثوباً واحداً لكل واحد منهم

والواقع ان الرسول خمس بلاد خيبر وقسمها على الانصار وعلى اصحابه ونسائه بطريقة الأممهم واقام اليهود على اراضيهم على ان يعطوا نصف ثمارها للمسلمين وكان رسول الله يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص (١)

وهناك امر يستوقف النظر وهو انه كان من بين الغنائم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة فلما جاء اليهود يطلبونها امر النبي بنسليمها لهم . . . (٢)

ويعدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون الى النبي بالعدل ويحفظون له هذه اليد حيث لم يعرض بسوا اصحابهم المقدسة ويذكرون به ذلك . . . بعد الرومين حين تغلبوا على اورشليم وفتحوها سنة ٧٠ ب . م . اذ احرقوا الكتيب المقدسة وداسوها باجسامهم وما فعله المسلمون من القدراوى في حرمان قطعهم اليهود في الاندلس حيث احرقوا أيضاً صحف التوراة . هذا هو اليوم التاسع بين الفاتحين من ذكرهم وبين رسول الاسلام

وقد قلنا ان الرسول قد اصطفى نفسه حقة بنت حبي بن الخطيب بعد ان قيل زوجها كنانة بن الربيع ويظهر ان بعض الانصار خدعوا على النبي من هذا الزواج اذ كانت اعرس رسول الله بصفة بخير أو ببعض الطريق وكانت التي جعلها رسول الله وشطبه وامسحته من امرها ثم سائر ابنة ملحدان فبنى بها رسول الله في قبة له ودفن ابو ايوب خلفه منوشحاً سيفه بحرس رسول الله ويخوف

(١) ابن هشام ٢٠ ص ١٩٠ — ١٩٧

(٢) تاريخ الخلفاء ج ٢ ص ٦٠

بالقبة حتى أصبح رسول الله قد رأى مكانه فلما ملك بأبو أيوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قُلت أبها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فحفظها عليك... (١)

وقد كان المسلمون يحقن في خوفهم على الرسول وقومهم على حراسته لأن يهود خيبر كانت تقومهم فدمايت بقتلهم على لا تصور الذين قتلوا أمصارهم وانفسوا أمواتهم وأحضرهم لصلواتهم وهي شريرة بشرية لا يخلو منها أحد إذ ليس في الدس من يغفل على نفسه الصبر والله أن فقد قتل يهود خيبر رجالا من المسلمين بعد أن رجعت جيوش لا تصور إلى المدينة (٢)

وبدل على مبلغ ما كان في نفوس اليهود من الاستياء ما أقدمت عليه امرأة يهودية من عمل رافع غاية القدوة إذ قالت أن تلتهم موهبة فهدت ربيب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصابة بجنون مسمومة ووضع يدها على الرسول فتناول الدراج فالتصق بها فارتفع معها بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله وأما بشر وشاهها وأما رسول الله فلهظ ثم قال إن هذا العظماء يخبرني أنه مسموم ثم دعه يهد وعلمت قتل ما حلت على ذلك قالت تلفت من قومي ما يخف عليك فقلت إن كان مذكرا استرحمت منه وإن كان نيبا فسيخبر فتجوز عنهم رسول الله ومات بشر من مكانه التي أكل (٣)

واقام أثر هذا العمل سحطا شديدا في نفوس مؤرخي العرب على هذه الخيانة التي حاولت أن تعطل حبة الرسول بمثل هذه التكبدة

ولكن يجب ألا يغيب عن البال دعوة الخلفاء إلى الخيانة بعد أن قتل أيوب وكان رعيها شريفا ومات زوجها وكان قديما ذا عهد نزيه ومهابة في

(١) ابن هشام ٣٠٠ ص ١٨٢

(٢) ابن هشام ٣٠٠ ص ١٩٥

(٣) ابن هشام ٣٠٠ ص ١٩٩

مثل موقفها لا بد أن تسقط تحت سلطان الغضب وتضفي لوجي الانتقام لاسيما
وهي مالهة له قدرة عليه

والمؤرخ الذي ياتفت إلى هذه الاعتبارات كلها يأسس لهذه المرأة بعض
العدل فيما أقدمت عليه من عمل متكر

أما صفية بنت حيي بن أخطب فقد أقامت على الولاء والوفاء لزوجي الجديد
وبقيت معه قرينة مخلصة إلى أن انتقل إلى جوارده

وقد أثنى النبي بعمله هذا أثر الفتحين العظماء حيث كانوا يزوجون من
بنات عظماء المهاجرين الذين كانوا يفتحون ويحفظون من بعدهم ويحفظون من بعدهم^(١)
ولقد كان بعض أسد الرسول يهمل من صفية بكبرياء وعظمة فكان ذلك
يؤلمه ويسكم فقال لها النبي : قولي لمن إنك ابنة هرون وكان غمك موسى
رسول الله^(٢)

ويحدث ابن سعد أن نبي الله في لوجع الذي وفي فيه اجتمع اليه ربه
فقال صفية بنت حيي : والله يا نبي الله لو ددت أن الذي بك في فمها أو واج
إلي وأبصره رسول الله فقال مضمض^(٣) فبطن من أي شيء يا نبي الله قل
من الله فزكن بعد أحسن والله لم يصادف^(٤)

وقد توفيت صفية سنة النبي وحميل في خلافة معاوية بن أبي سفيان
ودفنت بالقيع^(٥)

وفي أثناء محاصرة المسلمين لموطئج والسلامة من أعداء خير أولي رسول

(١) راجع حديث البخاري ١٠٦٦ من ١٠٦٦ صفية بنت حيي سيدة نريضة والنسب لا تصح
الأنس . . . فأثقف رسول الله

(٢) الواقدي من ٢٧٩ — ابن سعد ج ٨ من ٩٩

(٣) أي أمكن أفواهكم فقد تجمعت

(٤) ابن سعد جزء ٨ من ٩٩

(٥) ابن سعد ج ٨ من ٩٣

بعض جنوده الى قدامك لم اقمه شمال بلاد خيبر وكان قدام هذه البعثة محبسة بن مسعود قد دعا أهلها الى الاسلام وما رأى أن لا مبل لهم في الصبح وأرادوا أن يحاربوه جاءت اليهم أخبار خيبر فوقع في ألومهم خوف عظيم فأرسلوا جماعة من اليهود الى النبي حتى يعاينوه فبعد القيل والقيل الكثير استقر الأمر على أن يعطوا النبي نصف أرض فداك ولم تصف فرضى النبي فداكهم على ذلك^(١)

فكانت فداك خاصة للرسول لأنه ما يوجب عدهم بجبايل ولا دكا^(٢) ولما فرغ الرسول من أمر خيبر توجه الى المدينة عن طريق وادي القرى فلما سمع أهلها جنود المسلمين نهباوا لقتل وعرض عليهم الرسول لاسلام فآبوا عليه ذلك وقاتلوا ذلك اليوم الى الليل ثم نساخوا وأقروا بالنبي على أن يرضيهم وذرارهم وأموالهم

ولما وصل أمر خيبر وملك ووادى القرى الى يهود نجا، خافوا وقبلوا الجزية^(٣)

وقد سرد الواقعي حوادث مبعوثات وقعت بين جماعات من يهود وادي القرى وجهود من المسلمين^(٤) رأيت ألا أنقلها لعدم أهميتها

وعلى كل حال فقد قصت غزوة خيبر على استقلال اليهود السياسي في البلاد الحجازية قضاء نهائياً بعد أن قصوا عصموا وطويبة وهم يستمعون به وينقيون ظلاله فأخذت حاكم الاقتصادية تدهور شيئاً فشيئاً حتى وصلوا الى المدوك الاسلام من العقر والفاقة وقد قدوا ما كان لهم من زئير ونفوذ عند العرب في الجزيرة العربية

(١) تاريخ الخبيس ج ٢ ص ٦٤

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٩٤

(٣) تاريخ الخبيس ج ٢ ص ٦٤

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٣

وقد جاء الواقدي بقصة تدل على ما وصل اليه اليهود بعد غزوة خيبر من سوء حال وغضاضة عيش فقال عن انتهت اليه روايته : كانت عدونا أن يخرج في الجاهلية أثناء الفتح من يثرب إلى جهة خيبر وفدك حيث كنا نجد عند اليهود القمار الواقعة والاموال الكثيرة وحببت كنا نقبل منها خفة ولا كرامة فيها تركنا الضبط الشديد بعد غزوة خيبر خرجت اليهود كما كانت فوجدنا تدهر قد انقلب عليهم ووجدنا الخشب قد ضرب أثناء يديهم حتى لم نجد أحداً من الأغنياء والأشراف بل كل معقل منهم في قدر مدفع يجهدون أنفسهم في أعمال الملاحاة وكذلك نجد من يذهب من يقاتل أثناء الحفوة التي أخذتها منهم في الجاهلية بل كانوا ينظرون اليك بعين البغض والافتاد وكان يهود نطاة والشور في سوء شديد أما في آراء الكنيانة فقد سمعنا بأن حلة السكان أحسن وقت بينهم مسرومين^(١)

وهذه الوثيقة التاريخية أكثر برهان على سوء حال اليهود في خيبر بعد الغزوة فضلاً عن أنها تؤكد ما جاء في سيرة ابن هشام عن الدمار والتخريب الذي أصاب خيبر أثناء الغزوة
أما وجود منطقة الكنيانة في حلة أحسن كانت عليه منطلق نطاة والتفق فيرجع إلى أن أعقب آخوهم صالح الرسول فقامهم على أرضهم ولم ينس لأنصار من حلة القوم وذكروهم شيئاً

(١) الواقدي ص ٢٩٢

الباب التاسع

أجلاء اليهود عن اليهود الحجازية

وقد وقع الخصومة بين اليهود والمسلمين بعد غزوة خيبر — بعد الفتح بين اليهود — وجود عناصر يهودية في المدينة حول بيعة الرسول — كتب الرسول إلى بطون العرب واليهود — الصحيفة إلى آل أبي حنيفة — رأى صاحب فتوح البلدان هذه الصحيفة — اكتشاف من الكتاب في المقبرة اليهودية بدمر — رأى المؤلف في هذه الصحيفة — حاله اليهود في البلاد الحجازية بعد وفاة الرسول — لما طرد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أغلب يهود حبيش — أحدثت يهودية في هذا الموضوع — قصة ابن هشام في أجلاء عمر بن الخطاب طوائف اليهود — رأى ابن سعد صاحب الطبقات في هذا الموضوع — صحيح البخاري وأدريسه في هذا الموضوع — وعود اليهود في بلاد الحجاز إلى نهاية القرن الماضي عمر في بلاد — طوائف اليهود في بلاد العرب إلى الآن

قلنا إنه كان من نتائج غزوة خيبر أن قضى قضاء — على القوة السياسية والاقتصادية والتدينية التي كانت لليهود في إقليم الحجاز وقد ترتب على هذا أنه انقطعت الخصومة بين المسلمين واليهود ووقف تبادل المطاعن والمذاب التي كانت متبادلة بين الطرفين ويدل على ذلك أن رسول الله لم يزل عليه شيء كثير من الآيات القرآنية التي تتضمن ذم اليهود والظعن فيهم بعد هذه الغزوة على خلاف ما كانت من ذلك في الفترة التي كانت بين يوم بدر وغزوة خيبر وقد عاش اليهود الذين لم يخرجوا من الحجاز مسلمين لا يحسبهم أحد بسوء وعاد عدد منهم إلى المدينة بدليل مدح بعضهم من ذكر في سيرة ابن هشام وفي

كتاب الله ذي القوس وقد استنجت ثم قرأت في هذين الكتابين عن
 البقية الباقية من اليهود في المدينة بعد غزوة خيبر أنهم كانوا جميعاً من بني قينقاع
 وقد كان هؤلاء قد جلوا عنها فلهذا هو السر في عودتهم اليها وما هي الأسباب التي
 دعت إلى ذلك ؟ لا يمكن من سبب لأجله إلى قينقاع عن المدينة إلا امتناعهم
 عن اعتناق الدين الإسلامي فهم لم يرتكبوا شيئاً من الجرائم التي توغر صدور
 المسلمين وثأؤهم بالحقد والمغنية عليهم بعد توطيد سلطانهم وتثبيت قواعدهم
 وأذن فليس ما يمنع من عودتهم بعض الأسر من بني قينقاع إلى المدينة واستيطانهم
 فيها لا سيما وإن وجودهم في المدينة كان ضرورياً للائتماع بهم في استثمار الأموال
 الكثيرة التي جلبت إلى يرب من غنائم البطون العربية واليهودية المغلوبة على
 أمرها وكان بنو قينقاع يحسنون كثيراً من الصناعات لا سيما صناعة الصباغة
 أما العرب فلم تكن لهم حرفة بهذه الصناعات من أجل ذلك فقاموا بالاعتناء
 عن وجوع بعض اليهود إلى يرب فقبل عدد منهم عليهم وعكفوا يعملون في
 أعمالهم القديمة

وف توفى عبد الله بن أبي بكى عليه اليهود ووقف الذي على قبره وعزى
 ابنه وأبسه قبسه^(١)

وقد خرجت أسماء الأوس والخزرج جميعاً إلى حبيبة ابنة عبد الله وشاركوها
 في البكاء عليه وضربن بأيديهن على وجوههن وكثر الفؤاد من بني قينقاع
 والمتفقون حول مريرهم حين لم يخط نفسه إلا خبر ألسه فرفضه فغضب ذلك ابنه
 الخفيف حتى في ذات يوم أن يخلق السب في وجهه فشنعه والد وفتح فعدله
 وأتى عليه باللائمة وقال له دعهم فإن قريشهم متى يشق صدرى العليل ويخفف
 من آلامي فقد شاركوني فيما نزل بي من التوايب وقد كان عبد الله بن أبي مهبلاً

فهم حتى قتلاه يعبد الله لو أن قديك بعد الله وأموالك . . . ومات أراحوا
أن يستأروا يدونه دون لأتجمل ولكن لبيدة بن العبدت ثمر بصريهم وقدم
أسدون بأعماله الدفن وخلف رسول الله ذلك وأقفا لا يتحرك من مكانه حتى
تمتأ الضريح بالتراب وتوارت الجنة عن العيون وأعادهم فيه قبط ومثاقول
بثمنون التراب عني رؤوسهم من شدة حره وآلامه . . .¹¹¹

وقد أثرت عند النصوص التي تقدمت - فأما في العهد القديم واليهودية
على أن يشكروا في صفة بعض الأحاديث التي تقول إن النعمة - فبما من اليهودي
المدينة قد تم جازوه - على في حياة كرسول^(١٢)

ويؤيد شكك. ووجدنا من يوريت وخصوصا في نسخة ابن أبي
 كان يه من اليهود بعد خروجه جبر روح الله مع حلي. ثم أورد بعد ذلك
 جميل (أن لا يغفل اليهود عن يهودهم) ^(١٣)

وعنى هذا الحق وهو على عهد النصارى ان لا تضع الجزية وحقوا
منه - كمن يدعى باسمه (1)

وقد دخل يهود بني نادية وشريش في حلف برسولكم محمد بن عبد الله
مصدقته عن (بعثة رسول الله ابراهيم) فوكتب برسول الله باسمه الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله بني نادية ان لهم امة وعليهم الجزية ولا
عدي ولا جلا قتل مد والشر سعد وكتاب خلفه من سعد وعمر قوم من يهود . . .
وكتب رسول الله اسمه الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لاني

(۱) اوقات ص ۱۱۹

(٣) واصحاب كثر العمل حديث يقول ان محمداً بنى اليهود من ثمانية فدانوا اقرى القوم ولما رأيت يخرجون من ارضك التي واثق اوى ان يخرجكم واقرهم من ثمانية (٢٠٣ من ٢٠٣) : (حديث ٦٢٤٩)

(۳) اہل ذریعہ ۷۱

٧٨ - ٢٢٧٤١١ (٤)

عريض طمعة من رسول الله عشرة أوسق فبح وعشرة أوسق شعير في كل حصاة
وخمسين وسقاً ثمر يوفون في كل عام خبثه لا يظلمون شيئاً وكتب خالد بن سعيد
وبنو عريض قوم من يهود . . . (١)

وأهم من كل هذا ثلاث الخلق والاميريات التي منحها الرسول لأهل بني
حبيبة وأهل مكة وحملت اليه وثيقة الرخبة في هذا العدد من مروجين
مختلفين ونحن نقول الصديق الذين يذهبوا إلى شخص منهم بعض النتائج المترتبة
خوف وعتا

يقول صاحب المراجع الأول وهو البلاذري : إن رسول صالح أهل مكة وبني
حبيبة (الصواب حبيبة) على أربع غروبهم وغروبهم (العربك خشب يصطاد
عليه) أربع كاهنهم وحققتهم وثنى أربع ثمرهم وكذب اليهم :

سم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حبيبة (حبيبة) وأهل
مكة سلام الله فله الأول على أنكم رجعون إلى قريبتكم فدا جده كما كذب في هذا
وأنكم آمنون وأنكم ذمة الله وذمة رسوله وأن رسول الله قد شعر أنكم ذنوبكم وكل
دم اتعتم به لا شريك لكم في قريبتكم لا رسول الله يجبركم كما لا يجبر به
نفسه أن رسول الله يرانكم وديفتكم والبرك والخفة لا ما عفا عنه رسول الله
أو رسول رسول الله وأن لكم بعد ذلك أربع ما أخرجت تخيفكم ورابع ما صادت
عرككم ورابع ما أخرت له فكم وأكم قد نرينم بعد ذلك ورفعتكم رسول الله
عن كل جزيرة وسخرة أن سمعتم وأنتم منكم كرمكم وبعثوا من بينكم
ومن أئمتهم في بني حبيبة (حبيبة) وأهل مكة من مسلمين فهو خير له ومن أنماهم
يشرك فهو شر له وأيس عليكم أمير إلا من أنفك أو من أهل بيت رسول الله . . .

(١) بحث رسول الله الرسل بكتبه : ابن سعد ص ١٨ فتح الشام Wellhausen : بوليا

(٢) انظر : ص

وكذب علي بن أبي طالب في سنة ٩ . . . ١١١

ويضيف المؤلف الى هذه الوثيقة التاريخية أنها وصلت اليه من بعض أهل مصر الذين رأوا الصحيفة بعينها وهي من جلد آخر دأب الخط
وأما النص الآخر لهذه المصهدة فقد وصل اليه بعد اكتمال آثار قديعة في
المنجزة اليهودية بمدينة القسطنطينية حيث عثر عليه تحت القاض وهذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله طيبة لأهل حيدر وآل صف وذراريهم
ما دامت السموات والأرض

(سلاط) الله إني أحمد اليك الله تبارك لا إله إلا هو . . .

أما بعد فإنه أنزل الوحي اليكم وحدثني في فراكم وسكني دياركم فرجعوا
آمين بآمن الله وأمان رسوله ولكم دمة الله ودمة رسوله ولكم دمة الله على أنفسكم
ودونكم وأموالكم ورفيقكم وكل من معكم أيدكم وليس عليكم أداء حربية ولا
تجزأكم فاسية ولا توطأ أرضكم ولا تعدون (ولا تعزبون ١١) ولا تصفون
ولا يجعل أحد عليكم ولا تمنعون من الجاس المشقة والمعنات ولا من ركوب
الغبار وليس أصناف السلاح ومن فتنكم فقتلوه ومن قتل في حربكم فلا يقاد
به أحد منكم ولا له دية ومن قتل منكم أحد مسلمين بعداً فحكمه حكم المسلمين
ولا يمتد عليكم بالتحش (ولا تجزأون منزلة ١٢) أهل الذمة وإن استعنت
تعاون وإن استعفتم ترفقون ولا تطالبون ببغض ولا بصفر ولا بسمراء
ولا كراع ولا حنفة ولا يقطع لحيكم شمع نعل ولا تمنعون دخول مساجد ولا
تخرجون من ولاية المسلمين ولا يوفى عليكم إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله
(واسم ١٣) لجنازكم الى أن تصير الى موضع الحق واليقين وتكرموا تكريمكم

والكبرياء صفة ابنه عمكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن يكرهوا
 كرمكم ويحبوا عن مسبتكم ومن سافر مسك فهو في أمان الله وأمن رسوله ولا
 إذا في الدين ومن منكم اتبع دلة رسول الله ووصيته كان له ربيع ما أمر به رسول
 الله لأهل بيته أعطون عطاء قريب وهو خمسون ديناراً ذلك بفضل مني عليكم
 وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أجمعين في هذا الكتاب فمن
 أطلقه في حبيته وأهل خير ومعتك لا خير فهو حبيب له ومن أطلقه له بشر فهو شر له
 ومن قرأ كتابي هذا أو قرأ عليه أو غير أو خالف شيئاً مما به فعليه حنة الله ولعنة
 الألعاب من نزلت عليه والناس أجمعين وهو يرى من ذممي وشتمني يوم القيامة
 وأن كلفه ومن كلفه هذا كلفه الله فهو في النار وكفى دليلاً وبلاغاً لكونه
 ومن حضر من المسلمين وكتب على بن أبي طالب بخطه ورسول الله صلى الله عليه
 وآله حرقاً يوم الجمعة الثلاث الأولى لآل بيت من رمضان سنة خمس مئتين من الهجرة
 بعد محمد بن رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته الغدري . . . (١)

ويشاهد أن هذا الله هذه التي استخلص ما يجب أن يكون خلاصه
 ووصفه في كتابه كانت معروفة لدى العامة والمؤرخين من العرب في مصر
 وقد حفظه غير اليهود في هذه قرون طويلة التي أن تدرت مائة الف سنة في
 عهد الخليفة وأصبحت قوماً حذراً وحدث هذه الحقيقة تحت أن من تناول
 يهودية التي أن كشفت حديثاً

كان لا شك أن هذه الحقيقة مهمة كما لحقت محقق ومعاينات كثيرة
 جداً بعد أن نقل رسول الله صلى الله عليه وآله لأن الذين كانت بأيديهم معاينات
 صحيحة قد أقرهم عليهم الخلفاء الزنادقة ويقتضوا من سرورهم تبع نقل (كما
 تقول هذه نسخة)

وأنا نعلم أن بطوناً عربية كثيرة اندفعت إلى تزوير الكتب باسم الرسول
وقد حافظت عليهم.

ولا غرو أن تظهر رسائل مبيعة في عصر الانتماءات التي حلت في الأقاليم
الإسلامية من جراء الخصومة التي ظهرت بين الأئمة على من أبي طالب وبين
عصبة مدوية من أبي سفيان بعد مقتل عثمان بن عفان في ذلك وقد يكون أيضاً
المعنى كل الحق أن ذلك في صحة هذه المصادقة التي نحن بمقدمه.

لكن ماذا نرى في ذلك رسول قد منح أمراً غير قطعية من أهل خيبر
حقوقاً لا يمنحها لغيره اليهود من غير أن يفرار على الأرمي وأبقاهم نصف الثار
فإن هذا كان من حق كل يهود خيبر وقد نص على ذلك ابن هشام والبخاري
كما نص على أنه كانت هناك عقود وعهود بين الرسول وبين أمم يهودية في
خيبر كما سيأتي ذلك فيما بعد.

أما أسلوب هذه الصحيفة وألفاظها فغير شبيه كبير بأسلوب المصادقة الكبيرة
التي عندها الرسول مع اليهود بعد هجرته إلى يثرب وهذا مما يحل بعض المستشرقين
على الاعتقاد بأن المصادقة من هذا النوع يمكن ملاحظة لاهم كانت موجهة إلى آل
صدية زوج الرسول أي إلى حبيبة في مقدم وخيبر.

وأما الأسلوب التي حدثت على أن ذلك في صحة هذه الصحيفة فهي:

- (١) ما يذكر المسمون أن حبة الرسول يؤخذون بالهجرة لأن هذا ما
يتقرر إلا في زمن خلافة عمر بن الخطاب على أن سنة خمس التي وجدت في دليل
هذه المصادقة أنه يدل على أن كاتبها كان يجهل جهلاً تاماً تاريخ غزوات الرسول.
- (٢) لأن مسير المسلمين إلى خيبر كان في سنة سبع من الهجرة ولا يمكن
أن يعقد الرسول عقد مع آل ربيعة صديقه قبل التحاقه به وقد كانت هي السبب
الوحيد في منح رسول آل بني حنينة ثلاث الخفوف الكثيرة إذ فرضنا صحة هذه
الصحيفة.

(٣) ان السنة الخامسة للهجرة كان النزاع فيها بين الرسول واليهود على أشد ما يكون من الحدة والقوة وقد نزل في تلك السنة بعض آيات قرآنية تكاد تكون من نازظين في اليهود وتوبيخهم شديد فليس بمعتقولا أن يعقد الرسول في تلك السنة مثل هذا العقد مع أمية حينة الخيرية دون أن يكون هناك عمل خاص يدفعه الى ذلك لاسيما أن آية صفة كانوا من زعماء القوم ومن أتباعهم مما رآه في تنفيذ مشروعات الرسول المدنية والسياسية

(٤) المقبول أن المعاهدة لم تكن تشمل أهل خيبر ومقتضا جميعا كما جاء في المعاهدة حيث يقول فيه « إلى حينة وأهل خيبر وقت » بل كانت موجهة إلى حينة وأهل في خيبر وقت لأن هذه الحقوق والأمنيات لم تمنح الا لآل صغية دون غيرهم من اليهود وقد غير هذا التطبيق السير معنى المعاهدة جميعا

(٥) نص المعاهدة على أن الرسول يسمح لكل يهود خيبر بأن يخدموا السلاح ولا يعاقبوا على فعل الشريك في حقوق لم تمنح لقوم مغلوبين لأنها بمثابة تحكيمهم من وسائل الاختصاص واللائمة من عليهم وأدولهم

(٦) ونص المعاهدة على أن كل أهل خيبر يخدمون من العطاء مثل ما تمنح لبطون قريش على أن هذا العطاء بهذا المعنى لم يعرف أبدا الذي فصلنا عن تعدد بتدبيرهم دينارا

وغير ذلك مما جاء في الصحيفة من الحقوق والأمنيات التي لم تكن الا لآل الرسول دون سواهم من الناس وغير معقول أن الرسول يمنح اليهود حقوقا لم يمنحها لقمة المسلمين وأن يسوي بينهم وبين آل بيته

(٧) على أن حوادث عمر بن الخطاب مع يهود خيبر دليل كاف على عدم وجود حقوق من هذا النوع لكل يهود خيبر كما سيوضح ذلك فيما بعد

على أن هذه العقود التي كانت لبعض الأسرى لم تغير بوجه عام الحال التي آل إليها اليهود في البلاد الخجارية لانهم لم يرجعوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية

من نروثة طائفة وسلطان كبير إلى أخذوا في التدهور شيئاً فشيئاً ولم تعد كل الظروف
الحسنة التي صدقوا بها في إيقاف حركة هذا التدهور.

والسبب في ذلك يرجع إلى عرافة الشريعة التي وضعت على حواصلهم
الزراعية وثمة أشجارهم التي كانوا يدفعون عنها لأصحاب الأسهم من المسلمين
أما الدخول الباقي فلم يكن كافياً لتكوين مكانة خيرة ولا يكن ذلك كقبلاً من
يوجدهم كعادتهم الأولى . . .

ثم جاء عمر أمير المؤمنين وأمير رجلاء أعقاب بطون اليهود من خيرة وفدك
كما يذكر ذلك ابن هشام فيقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في روضة إلى
خير فيفسد ثمرها ويعدن عديدها في الخوص لله توفى الله نبيه نوره أبو بكر
بديهم على المعاملة التي عدهم عليه الرسول حتى توفى ثم قرأ عمر صدراً من
أمراته ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله في وجهه الذي فقه الله فيه لا يجتمع من بحيرة
العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الخبر فإرسال إلى اليهود فقال إن
الله عز وجل قد أذن في جلالكم فقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجتمع من بحيرة
العرب دينان فمن كان عند عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله من اليهود فليأتني به أتفقه له ومن
لم يكن عند عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله من اليهود فليستجيز للجلال فأجلى عمر من لم يكن
عند عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله . . . (١)

ومن هنا استنتج أنه كانت هناك عقود لبعض الأسرى اليهودية وأن عمر الذي
أمر رجلاء أعقاب هؤلاء اليهود من خيرة وفدك لم يفرغ من اليهود وادي القرى
ونباء يسوء

ويؤخذ من هذا أن أهل وادي القرى ونباء كان لهم عقد خاص لم يصح
للخليفة بخرابهم من بلادهم لا كما يعتقد بعض مؤرخي العرب أن نباء ووادي

القرى ما تمكن من أرض الخجور لأن الخجور في تلك الأمانة ما تمكن مبيعة بدقة
الى درجة أن يقال إن وادي القرى ليس داخل في الحدود الخجورية بل العكس
كان هذا الوادي منطقة تابعة لخبر الخجورية وكانت اليهود لم يكن يسكنونه
يعتبرون من يهود خبر

ويذكر العلامة *Levy* نظراته على بعض الأحاديث تتضمن الأمر
بإخراج اليهود من بلاد الحجاز كحديث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...»
وحديث: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب...» وحديث: «أخرجوا
يهود الحجاز وأهل البحر من جزيرة العرب...»^(١) ويثبت العلامة المذكور في
صفحة هذه الأحاديث ويقول: «لم يثبت بمذوبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم...»^(٢)
ثم أن المسلمين لا يقولون على الأحاديث إلا ما كانت صحيحة وفهم في قبولها
وتأويل خاص ففهم الحديث اليهودي ثم الحديث مسلم وفي الدرجة الثالثة وفي
المكاتب السنية

ولأن السائق قصة أخرى عن سائب الخراج عمر بن الخطاب هو أئمة اليهود
من حيدر ويقول: «حدثني نافع عن ابن عمر قال خرجت أنا ونزير بن نوفل وابن
الأسود إلى أموال الله بخيبر فوجدناهم قد قتلوا نفراً في أموال الله قال فعدي على
تحت الليل وأنا نائم على فراشي فحدثت يدي من مرفقي فلهذا أصبحت استعرج
على صاحب ي فأتيت في فداي من صنع هذا بيت فقلت لا تدري قول فأمجد من
يدي ثم قدما في علي عمر فقال هذا عمل يهود ثم فوه في الدرس خطيباً فقال أرى
الناس أن رسول الله كان يعمل يهود حيدر على أن يخرجهم فاشدوا وقد عدوا على
على عبد الله بن عمر فقلعوا يديه كما قد بلغكم مع عدوهم على الاتهام في قيسله
لا نشتك أنهم أمجد به ليس أنه هناك عدو غيرهم فمن كان له من بخير فيلحق في

(١) كذا المتن ج ٢ من ٢٧٤ طبع حيدر آباد — حديث ٨٨٧٢ و ٧٤ و ٧٥

(٢) Die Juden zu Medina من ١١٢

فأتى مخرج اليهود فخرجهم . . . وذا أخرج عمر اليهود من خيبر ركب في المهاجرين
والانصار وخارج معه حذر بن حذير وكان خديص أهل المدينة وحاسبهم قديم
خيبر على أهل جماعة الأسير . . . (١)

أما ابن سعد فذكر في هذه القصص ويقول : إن رسول الله ﷺ أتاه الله عليه
خيبر فقسمها على سنة والثلاثين مديناً جمع كل مدينة مائة مدينة وجعل انفسهم لثوابه
وما ينزل به وعزل النصف الآخر فقسمه بين المسلمين وسير النبي فيها قسم بين
المسلمين الشق ونظفه وما حيز معه وكان فيها وقف لوصية والكنيسة وسلاة وما
حيز معه من فداء عتق الأموال في يد النبي وصحبه ما يكن لهم من العرب ما يكفون
عمل الأرض فدفعها النبي إلى اليهود بمائة مدينة على نصف ما يخرج منها فلم يزالوا
على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب وأكثر في يد المسلمين العمل وقبوا على عمل
الأرض فأحلى عمر اليهود في الشق وقسم الأموال بين المسلمين (٢)

فعلى ذلك ينضح حديثاً أن السبب الذي حذر عمر على إعلاء أغلب موقوفات
اليهود من خيبر يرجع إلى كثرة الأسرى الواقعة من الأسرى الذين كانوا معه
الحرب بعد فتوح بلاد الشام والعراق وورس وكان هؤلاء الأسرى ذوي خبرة
بالأعمال الزراعية كيهود خيبر

وما كان يهود خيبر يدفعون نصف حصلات لأرض آخر المسلمين أصحاب
الأسير أن يكون لهم كل هذه الحصلات فيمكنوا من ثوبين ثمرهم الكثيرين
من جهة وليوجدوا هؤلاء الأسرى عملاً يقومون به من جهة أخرى فأشروا على
أمير المؤمنين بجلاء البطون التي ما تكن قد عقود خاصة مع رسول
ويحدثنا البخاري أن عمر أجلى يهود خيبر في ثياب وأربعة (٣)

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٩٢

(٢) ابن سعد ج ١ ص ٨٢

(٣) البخاري ج ٢ ص ٧٢ — وص ٢٩٠

والواقدي رواية تؤيد صحة ما رواه البخاري يقول فيها : ان عمر اجلي آل
الخزرج أبي زبيب المشهورين إلى أربعة أرض فلسطين وكان أحداثا ، خذرت
قد التقى في يوم من الأيام بقافلة من الأعراب في جوت أربعة ، وهي راجعة من
الشام إلى حيدر فزع ابن الخزرج إلى وفده وحن إليه واشتد به الشوق حتى آمنه
الامر فحارب الأعراب بقوله انه كان يود يوم اجلي عمر أمره من خبير ان
يدخل في الاسلام حتى لا يبعد عن اوص أجداده ولكنه خشي أن يحرقه
الغلمان ويقولون لقد ضيع الخزرج بجهنمه وأمره ووفده لاجل دينه ودين آفته
فجاء ابنه فقدم به . . . (١)

أما الأمر إلى سكك هذه المهدات مع الرسول فقد أقرها عمر
واقام على أملاكه وأمواله .

وقد بقيت الأغلبية باليهود في وادي القري إلى القرن الحادي عشر وكذلك
وجدت جوامعهم في جهات نجا في القرن الثاني عشر للميلاد
ثم انهم وجدوا في حجاز وأطرافه شيئا فشيئا حتى احتلوا في بقية الأعراب
واندبحوا بهم ذلك بسبب الضغط الشديد الذي حل بهم في عقود
الاضطرابات التي حدثت بعد أن أعرب توهن ولا فلاح لال إلى الدولة العباسية

• • •

أما في بلاد اليمن فقد بقي فيها اليهود من قبل الفتح القديمة وما يزال لهم وجود
في جهات مختلفة من أطراف الجزيرة العربية إلى يومنا هذه رغم أنهم إلى التي
حلفت بهم في ظروف شتى ، والله بحكم لا مستب حكمه

(١) الواقدي ص ٢٧١



المراجع

تنقسم مصادر هذا الكتاب الى عبرية وعربية وأجنبية

مصادر عبرية

תורה נביאים וכזבים (תנ"ך)

חלמוד בבלי

דברי ימי ישראל ד"ר שמשוני

היסתוריה ישראלית ד"ר קלוזנר

דברי ימי ישראל גרין

שפורי העמים

مصادر عربية

القرآن الكريم

سيرة ابن هشام

فتوح البلدان للبلاذري

تاريخ الخلفاء للدينوري

صحيح البخاري

كذب المذري الواقدي

أمثال السيداتي

تاج العروس

طبع مصر

طبع لبنان

طبع تونس

طبع لبنان

طبع برلين (ترجمة المانية)

طبع مصر

| | |
|--------------------|--|
| طبع مصر | معاهد التنصيص |
| • بيروت | نوادير آية زينة الانتصاري |
| • • | ديوان السمبول المنطوية |
| • مصر | طبقات الشعراء لابن سلام الجعفي |
| طبع أوروبا | تاريخ البغوي |
| • بولاق | خلاصة الوفا والخبر دار المصطفى تلمهودي |
| • مصر | تاريخ الامم والملوك تغلبي |
| • • | تاريخ ابن خلدون |
| | تاريخ الامم والاسلام للخصري |
| طبع برلين | طبقات ابن سعد |
| طبع حيدرآباد بلخند | كثير العمال (مجموعة من الاحاديث النبوية) |
| | أديان العرب تأليف الشيخ محمد أمين الجوزي |
| طبع برلين | رسالة رسول الله مكتبة لابن سعد |
| طبع مصر | كتاب الاغاني للامام أبي العرج الاصبهاني |
| طبع مصر | ديوان الخاقاني |
| | مقالة في الاسلام من كتب المسلمين |
| طبع مصر | الروض الالف شرح لسيرة ابن هشام |
| | معجم البلدان لياقوت |
| | مجلة الجامعة المصرية |

مصادر أجنبية

(الأنية ونجارية وفرسية)

H. Dozy : Die Israeliten zu Mekka.

Morgenthau : The relation between Arabs and Israelites prior
to the rise of Islam.

Burney : Israel's settlement in Canaan.

Gaussin de Percy d l'histoire des Arabes avant l'Islamisme.

Welhausen V : Skizzen & Vorarbeiten.

Glaser : Sammlung.

Glaser : Skizzen der Geschichte und Geographie Arabiens bis
Mohammed.

Wuestenfeld : Geschichte der Stadt Medina.

Calvest de Sacy : Memoires sur divers evenement de l'histoire
des arabes avant Mahomet.

Lamence : Les Juives a la Meque.

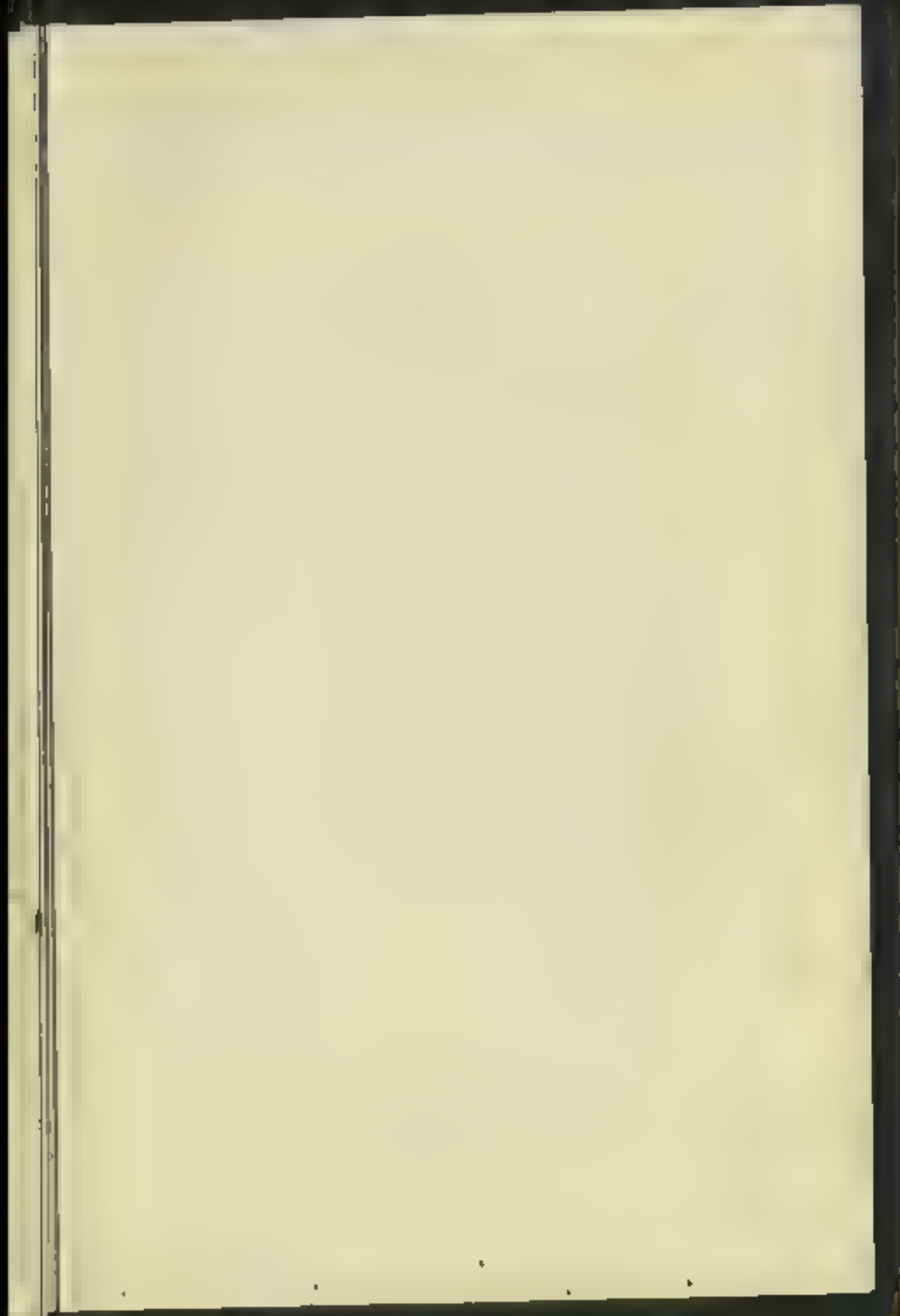
Nicholson : A literary history of the Arabs.

Leszynsky : Die Juden zu Medina.

Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft.

Jewish Quarterly Review.

Journal Asiatique.

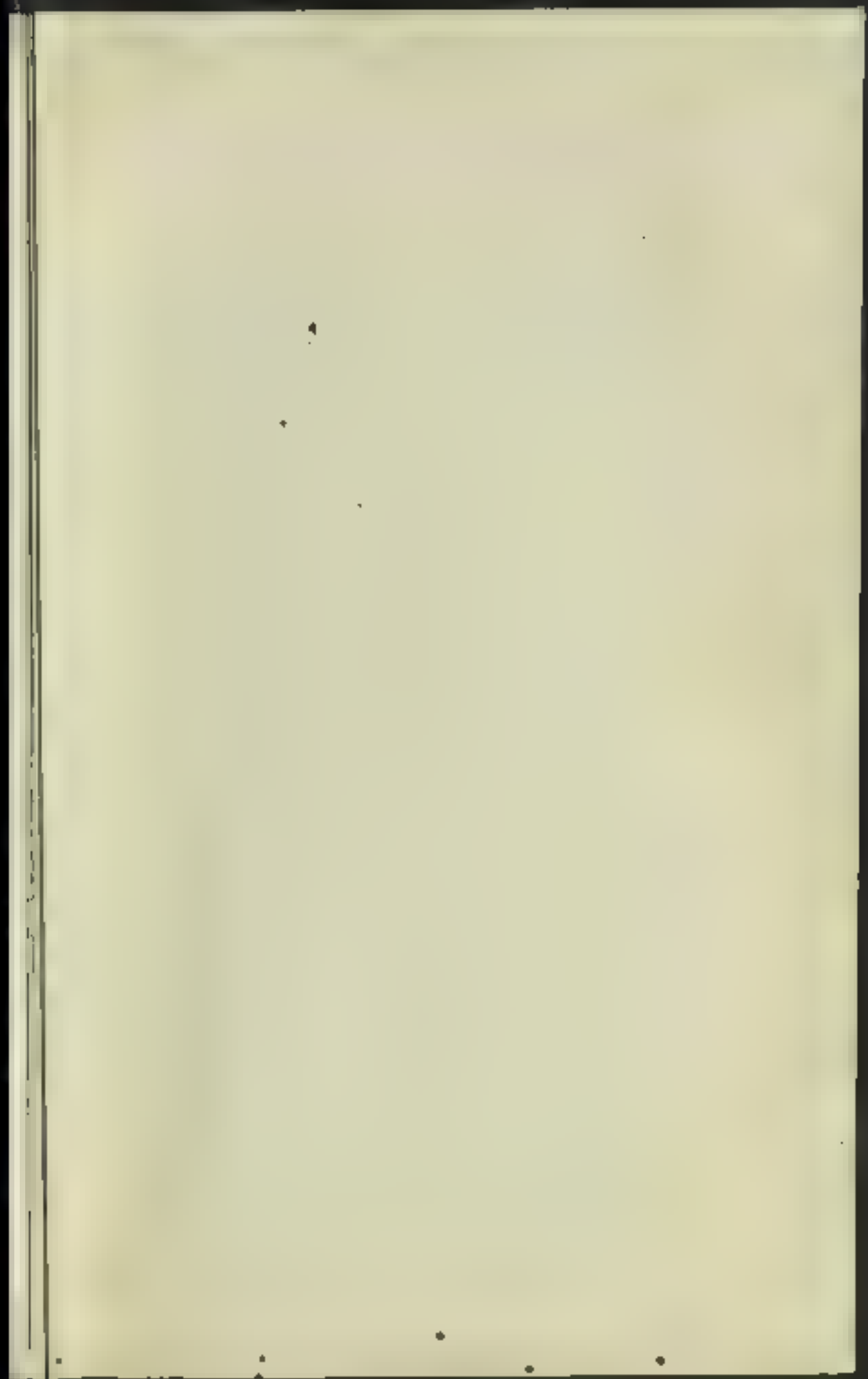


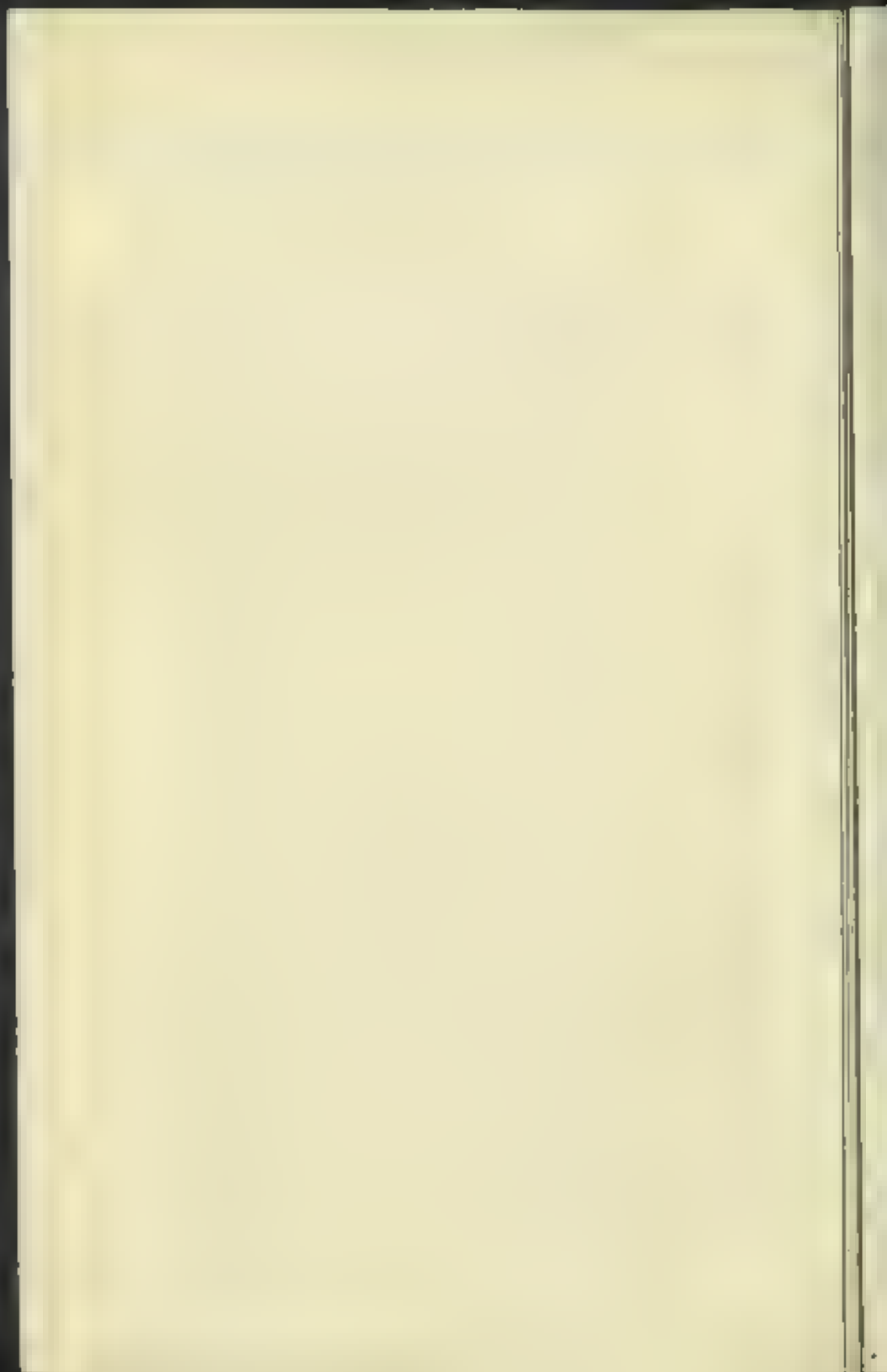
فهرس

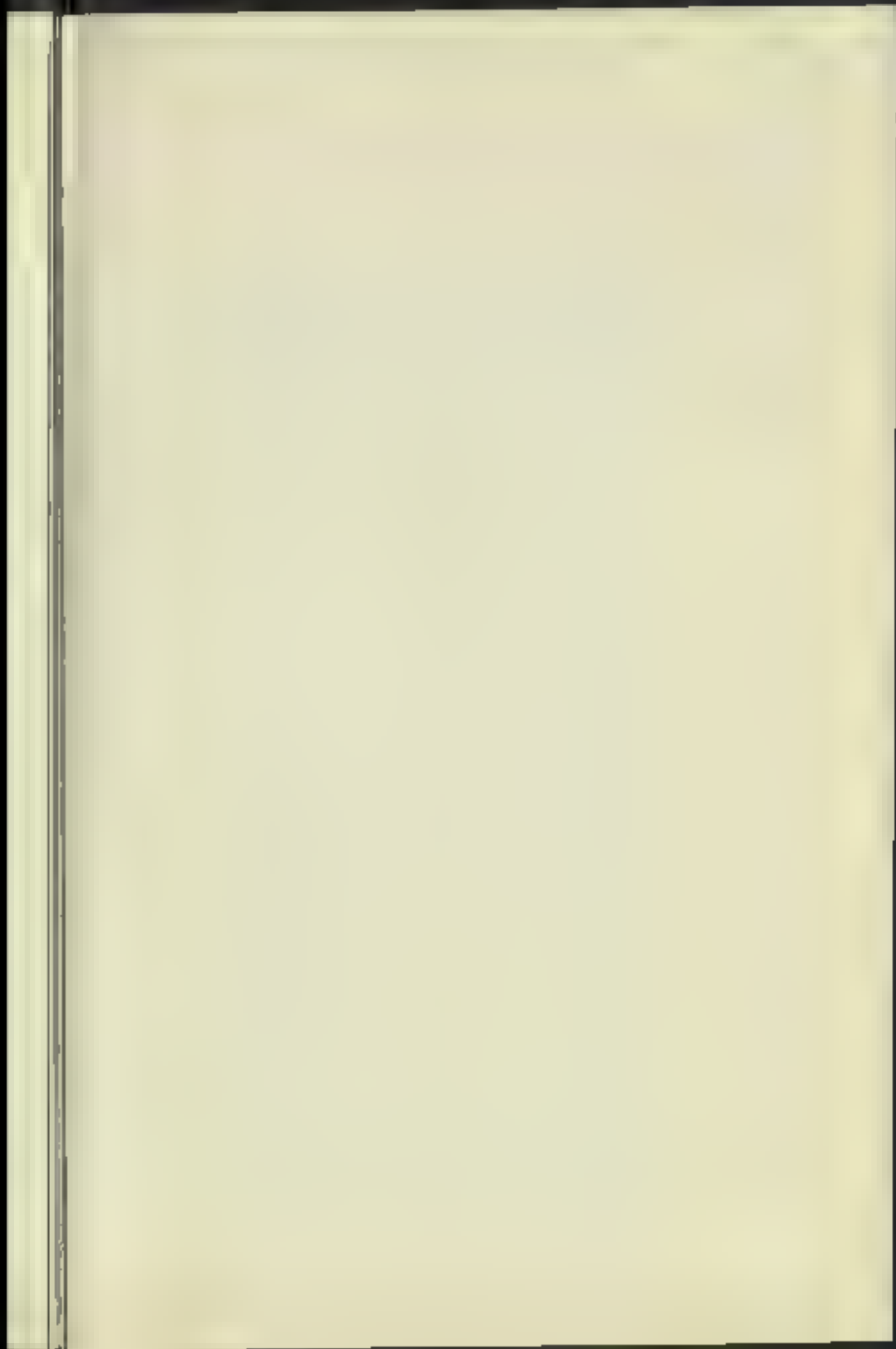
صفحة

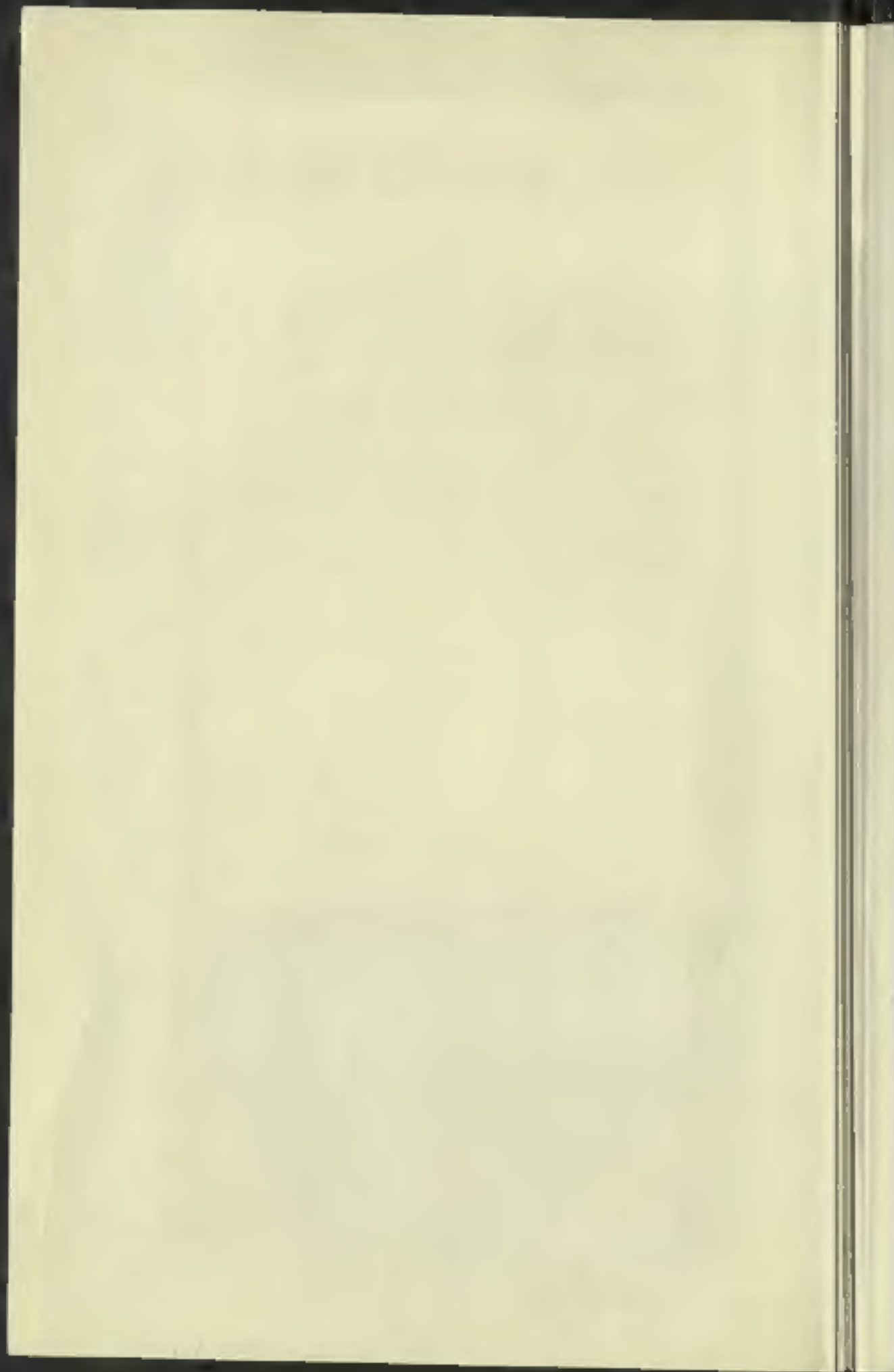
الموضوع

| | |
|---|-----------|
| مقدمة مختصرة الدكتور محمد - بين أسناد آداب اللغة العربية بخدمته | |
| المصرية | ٥ - ٦ |
| تصدير المؤلف | ٦ - ٧ |
| الباب الأول : اليهود في بلاد الحجاز | ١ - ٣٤ |
| الباب الثاني : ظهور اليهودية في بلاد اليمن | ٣٥ - ٤٩ |
| الباب الثالث : يهود يثرب وحواشيهم وعلاقاتهم باليهود | ٥٠ - ٨٠ |
| الباب الرابع : أحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الاسلام | ٨١ - ٩١ |
| الباب الخامس : مكة ويثرب اول حركة اسلامية | ٩٢ - ١٠٩ |
| الباب السادس : هجرة الرسول الى يثرب واجلاؤه بني قينقاع والتصدير عنها | ١١٠ - ١٢٠ |
| الباب السابع : غزوة بني قريظة | ١٢١ - ١٥٦ |
| الباب الثامن : غزوة حبيش | ١٥٧ - ١٧٤ |
| الباب التاسع : اجلاء اليهود عن البلاد الحجازية | ١٧٥ - ١٨٦ |
| المراجع | ١٨٩ |









JAFET LIB.

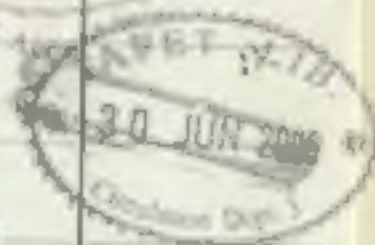
DATE DUE

JAFET LIB.

1 - DEC 1993

JAFET LIB.

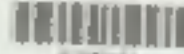
10 NOV 1994



LIB.
391

ولفسون، إسرائيل
تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY



0102041



CA
296
B456EA
C.I